سلسلة

رسائل آخر الزمان (٥)

أخطر سنوات الأرض

١٤٢٠ - ١٤٤٤ هـ

١٩٩٩ - ٢٠٢٣ م

البطشة الكبرى

وبداية أحداث اليوم الأخير ...!

احمد ابو النور

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ ما أسألكم عليه من أجرٍ وما أنا من المتكلّفين . إنْ هو إلا ذكرٌ للعالمين . وَلَتعلَمُنَّ نَبَأَهُ بعدَ حينٍ .

صدق الله العظيم (ص : ٨٦-٨٨)



موجز الحقيقة

....

كان الرحمن ... وما كان معه شئ أو أحد ...

وكان جميع خلقه في مكنون قديم علمه الأزلي الأبدي المحصي الجامع المحيط ... وأخرج - تعالى - المخلوقات من مكنونات العلم إلى حيِّز الإظهار بقدرة غير مسبوقة ولا ملحوقة ...

خرجت المخلوقات في نظام بل في نظم عديدة وعجيبة ، واستوى بناء الكون واستقر ، وكان دور إخراجنا إلى مسرح الظهور ...

هذا الإخراج الذي صاحبه - إن جاز التعبير وبسماح من الله - أغرب مداولتين في الملأ الأعلى ... أخبرتنا بهما الكتب السماوية ....

الأولى كانت محض استفسار - سمح به الله تعالى - ولا غبار عليه ... خاصة أنه قد أتى من أهل ذكر وتقوى ومعرفة بالرحمن ...

أما الثانية فكانت محض حسد وكِبْر فاحت رائحتهما من نفْس وكلمات مُتمرِّد على مُراد الله ...!!!

فحين أخبر الرحمن تعالى أنه جاعل في الأرض خليفة .. كانت المداولة الأولى حين سمح الله تعالى للملائكة - جنود مشيئته وأهل الذكر - بالكلام ... فقالوا .. « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك »[1]

.. « قال أني أعلم ما لا تعلمون » ...

ولهذه الحوارية ... ثمة جذور قديمة ... جذور أقدم زمنياً من موقف المداولة ذاته ... فقد كانت عوالم الجن هي المخلوقات المُكَلّفة بتعاليم الله ... وقبل خلق الإنسان ، وكانوا هم سكان الأرض والبحار والهواء والسحاب ... الخ ...

---

(1) البقرة ٣٠

وكانت لهم صولات وجولات ... كبنى البشر تماماً ... فهذا ذو دين وذلك لا يعرف عن أمر الدين شيئاً ... وهذا عادل وذلك ظالم ... الخ ...

لكن أمور هذه العوالم قد تفاقمت إلى درجة عظمى ، فأرسل الله تعالى عليهم جيوش الملائكة ، وفيما يقال أنها - أو بعضها - كانت بقيادة المُكَرَّمْ من بنى الجن « عزازيل » ، والذى صار فيما بعد حامل مسمى « إبليس » لعنة الله عليه .

أرسل عليهم تلك الجيوش وشتتهم إلى كل خراب ومهجور فى الأرض ... وكأنما أخليت الأرض منهم تماماً .....

وعلى هذا ... فقد كان سؤال الملائكة واستفسارهم .. عن هذا الذى سيستخلفه الرحمن فى الأرض ... تأثراً بساكنى الأرض القدامى ..... ومن قبل ظهور الإنسان أو الجنس البشرى بكليته ...

فهم - أى الملائكة - أهل تقوى وذكر .. وجنود لمشيئة الرحمن ..

ومن المنطقى أن صاحب هذه الحال ، إنما يريد لكون الله الإعمار .. ولساكنيه التقوى والرشد ... ولا يريد أهل المخالفة والجرائم ...

وعلى هذا ... فقد كان ردهم - المسموح به من ربهم - « **أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** » ....

وثمة رد هنا على أصحاب الرأى القائل بأن مقولة الله تعالى « إنى جاعل فى الأرض خليفة » إنما تعنى خليفة لمن سبق الإنسان على الأرض ، أو مجرد أقوام تخلف أقواماً .. !

حيث لو كان الأمر كذلك ... لما تضمنت كلمات الملائكة .. « **ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** » ... والتى تعنى ضمن ما تعنى ... « نحن أولى باحترام مراداتك يا رب لأننا أهل طاعة وذكر وتقوى » أى نحن أولى بهذه الخلافة ... والتى لابد وأن تعنى أن مراد الله تعالى منها - وهو أعلى وأعلم -

إنما انصبٌ فى هــذه المقـولـة على خــلافـتــه هو فى أرضــه بمرادات شــرائعــه وأحكامه ... وإلا لو لم تحمل المقولة هذا المعنى ، فلماذا أقحمت الملائكة حميد أفعالها فى الموقف ... ؟!!

فـهم لا يُذكِّرون الله تعـالى - وحـاشـا - بشئ قد نسـاه ..!!! ..لا..فـهى مفاجأة كاملة ...أن اختيار الله تعالى لخليفته فى أرضه ... قد تعدَّاهم اختياراً .... لأنهم لا يرون أفـضل منهم قـيـامـاً بمرادات الله طبـقـاً لما يعلمـون ... ليس استكباراً .... ولكن ... ولله المثل الأعلى ... فكأنما هناك مـهـمـة ضـخـمـة ... وعرض قـائد العملية الأمر على جنوده ... قائلاً أنه سيكلف بها « فلانا » ... فـما كان من الجنود الأكـفـاء القدامى ... إلا وأن قالوا نحن نقوم بهـا ... فنحن كذا ... وكـذا ... وكذا ... من بـاب الحرص الشـديد على نجاح المهـمـة ، وليس من باب الإعتراض على القائد ولا من باب الإستهزاء بـ « فلان » ...!!

... هكذا كان الأمر ...

وقد حسم رب العزة - جل شأنه - الأمر ... بـأنه محض علم غـير مـعروف ولا مـفـهـوم لديهم ...وحيث حُسِمَت الحوارية من الله تعـالى بقـوله ... « إنى أعلم مالا تعلمون » ...

وهنا صـمتت الكلمـات ... وضرب الله تعالى لملائكته مثلاً ... ليثبت لهم أن علمهم قـاصر على ما علَّمـهـمُ هو تعالى إياه ... ولا يتعـداه ... فعلَّم آدم كل شئ ... ثم عـرض علـى الملائكة مـا تعلمـه آدم فى صـورة مـدركـة لـهم ... قـائلاً ... أخبرونى فقط ... ما أسماء المعروضات عليكم ... ؟!

« ... فقال أنبـئونى بأسمــاء هؤلاء إن كــنتم صادقين » ... أى إن كنتم أهــل صدق فيــمـا ذهــبتم إليــه فــى حواركــم أنكم أولى بالخلافة ... من آدم ... !!!

فماذا كان ردهم ... « قالوا سبحانك لا عِلْمَ لنا إلا ما علَّمتَنَا ، إنك أنتَ العليم الحكيم » ...

« قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون » ...[1]

أي أنني كنت عالماً بما أبديتموه في حواركم وما كان مكتوماً غير معلن في نفوسكم ... وهذا ردي عليه ...

فما كانَ من الملائكة - بالرغم من براءة منطق الحوار ومحركاته - إلا وأن اعتبروا أنفسهم في نهاية هذا الحوار ... أهل تقصير ... بل وأن موقفهم الذي كانوا فيه إنما كان لهم فتنة أو اختبار ... وهذه هي صفة أهل التقوى الأوابين ... فظلوا يطوفون بالعرش مستغفرين تائبين ... حتى تقبل الله تعالى ذلك منهم ، وأمرهم ببناء بيت له بالأرض يطوف به الناس مستغفرين تائبين على نمط طوافهم بعرشه الكريم العظيم ... فكانت الكعبة ...

(١) البقرة الآيات : ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .



الشيطان حقيقة

وعلى الصعيد الآخر كان عزازيل والذى بلغ ما بلغ علماً وعبادة ومقاماً كريماً بدليل كونه وسط جحافل الملائكة بالدرجات العلا ...!!

والذى تروى عنه بعض الآثار ... أنه كان مُعلِّماً لطبقات أو لصنوف من الملائكة ... وقائداً لجيوش ضخمة منهم ... بل وكان على رأس المرسلين لعقاب أهل الأرض السابقين ...

لقد بلغ ما بلغ ... وهو أهل تكليف بشرائع الله تعالى ، لكنه لم يكن أبداً - بالرغم من رفعة مكانته التى بلغها - أهل خلافة لله تعالى فى أى شئ ...

لا هو ولا بنو جنسه ...

لكن ثمة تحليل منطقى هنا فى هذا الصدد ... يشير إلى أن الجن ساكنو الأرض والعمار قبل البشر كانوا أهل تكليف وشرائع ... بدليل أنهم حين تمردوا وأفسدوا فى الأرض كان عقاب الله تعالى لهم ... وإلا ... لو لم يكونوا أصحاب شريعة وكتاب وبشارات وإنذارات ، ما هو منطق إفسادهم من عدمه ... وكذلك منطق استحقاقهم العقوبة ..؟!

فالله تعالى لا يعاقب حتى يُذكرَّ ويُنذر ويُحذِّر ويمهل ... وإن كان عزازيل قد وصل لهذه المرتبة ، فمن المنطقى أنه كان أحد مُعلِّمى بنى جنسه الكتاب والشرائع ومرادات الله تعالى ...

وقد كانت فتنة خلق آدم وما تلاها من سلسلة أحداث ومواقف ... نقطة تحول عظمى فى عوالم الجن وكبيرهم عزازيل ...

فبعد ورود الحوارية الملائكية السابقة حين خَلْق آدم وبعد خلقه ... تتابعت الأحداث ...وبعد أن علم الملائكة من ربهم أن موضوع آدم واستخلافه ... إنما هو محض قرار رحمانى يفوق معارفهم ... إستسلموا لأمر الله تعالى ومراده مستغفرين حتى من مجرد استفسارهم ، ومما وقر واستقر فى نفوسهم وإن لم ينطقوا به ... وتوالت الأحداث ...

... « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » [1]

لقد كانت الجولة الأولى خلق آدم وإعلان قرار الرحمن تعالى باستخلافه فى الأرض عاملاً بشرائع الله مقيماً لحدوده فاعلاً لمراداته ...

ثم كانت الجولة الثانية وهى « **اسجدوا لآدم** » بعد أن علمتم أننى قد وضعت فيه ما يليق بخليفة لى وما ليس لكم به علم أو معرفة من أى نوع ...

وهذا محض أمر إلهى لا يقبل المداولة أو المناقشة ... فماذا كانت إجابة الأمر ... ؟!

... « فسجدوا إلا إبليس » ...

لقد سجد أهل التقوى ... عباد الرحمن ... وامتنع كبير بنى الجن وشريفهم عزازيل ... قائلاً ... « **أنا خير منه ، خلقتني من نار وخلقته من طين** » ...

إن طاعة أمر السجود ، هى طاعة ومحض تقدير لصاحب الأمر قبل أن تكون تكريماً أو تشريفاً للمسجود له ... آدم ... ولقد استجاب الملائكة ... وامتنع كبير بنى الجن ... مبرراً رفضه ... بأفضليته على المسجود له ... !!

... بل وتناسى تماماً الأمر وصاحب الأمر ذا القدر العظيم ... جل شأنه ...

... إذن أين هنا موقع الله من نفس عزازيل ...؟!

لم يكن بداخله غير نفسه وحسده لآدم وتكبره عليه ... بدليل ... « **أنا خير منه** » ... « **أنا** » ...!!!

إن نفسه هى المتكلم الأوحد هنا ...وبعد أن ارتفعت فوق كل القمم وانهارت بجوارها كل الأشياء ، ولا مكان لشئ أو لأحد سواها ... « **أنا** » ...!!!

(١) البقرة : ٣٤ .

واستمع أيضاً لقوله ... « أأسجد لمن خلقت طينا »[1] و... « لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماءٍ مسنون »[2] ...

وإن الأمر واللهِ لخطير ...!!!

فالعاصى متى عصى ...إنما يستحى أن يُعْرَفَ أمره ... أو يُهتك ستره ... حتى وإن كان مُصًراً على المعصية ... خاصة وإن كان يعصى ربه وإلهه تعالى ... ولكن أن يتحول العاصى إلى مُبَارِز لله تعالى ومُجَاهِر بمعصيته ورافضٍ لحكم ربه قائلاً ... « أأسجد لمن خلقت طيناً » ؟! ...

وبمعنى ... « ... عايزنى أسجد لـ ده » ... !! ... « لا ... مش أنا اللى أسجد لـ ده » ...!! والتى يحملها قوله البغيض ... « لم أكن لأسجد لبشر خلقته ... » ...

ولاحظ أنه كان فى حضرة الله تعالى ... وهو لا ينكر على الله قدرته أو أنه الخالق ... لا ... هو معترف بذلك لربه تعالى ... بدليل ... « خلقتنى من نار » ... « وخلقته من طين » ... فهو غير مُنْكِر لأصول الحقائق وأنه مجرد خلق ... وأن الله تعالى خالقه وخالق آدم وخالق كل شئ ... هو لا ينكر هذا ... بدليل ... « خلقتنى » ... و « خلقته » ... !!

فإن كان يعرف أن الآمر هو الخالق رب وإله كل شئ ... فماذا إذن ... ؟! إن القصة برمتها هى محض حسد وكبرياء نفس كبير الجن السابق ، لكنها وصلت إلى حد العصيان الجهرى القذر والتمرد العلنى وبأعلى صوت ... تجروءاً على الرحمن جل شأنه ... !!!

(١) الإسراء : ٦١ .

(٢) الحجر : ٣٣ .

ولاحظ أنه لم يكن لإبليس شيطان يوسوس له ليضله عن الصراط المستقيم ... لم تكن معه سوى نفسه ، والتى ذاق منها هو أول ما ذاق ... وكان أول ضحية لها ... نعم فـ « إبليس » اللعين هو ضحية نفسه الحسودة المتكبرة الكافرة ... ولم يكن له مستشار سوء غيرها ... !!!

فهو تحدث بهوى نفسه قائلاً ما قال ... مُصرًّا عليه حسداً وكبراً ... !! ولذلك فهو قد وضع هوى نفسه فى مقام المُطاع بدلاً من ربه ... !!!

... وبدليل أنه قد عصى أمر ربه مع سبق الإصرار والترصد ... ليس هذا فحسب ... بل مبرراً بوضوح أسباب عصيانه ... !!!

ولذلك فهو قد أطاع نفسه وعصى ربه وإلهه ... بل ووضعها فى مكانة أعلى من مكانة ربه وإلهه ... بدليل ما حدث ... ولذلك فقد عبد نفسه واتخذ إلهه ... هواه ... !!!

... « أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلَّه الله على علْم » ... (1)

أى الذى عبد هوى نفسه وأطاعها وسيَّرته كأنما هى إلهه المعبود المطاع ، « وأضله الله على علم » ... إنما تعنى أن الفعالية المطلقة لله تعالى ، فهو لطالما لم يُوقف مسيرة ضلالة العبد فهو قد سمح له بها ، ولكنه لم يجبره عليها ، وبمنطق أن الذى يختار الضلالة ويستحب العمى وهو عالم بحقيقة الأمور ، ... لا يتساوى مطلقاً مع الضال بجهل وعن غير عمد ... وهذا هو حال اللعين عَبْد هواه ...

ولئن دققت النظر فى حوارات اللعين السابقة ... لوجدت تشبثه البغيض بمادة خلقه وهى النار ... وتفضيله إياها عن الطين أو عمن سواها ... « أنا خير منه خلقتنى من نار » ...

(1) الجاثية : من ٢٣ .

ولذلك تجد أن كل بنيه - قاتلهم الله - وذريته وجميع حزبه ... تجدهم جميعاً عبدةً للنار ... !!!

ولقد سولت نفس هذا الحسود المتكبرٌ له ... فعلته القبيحة فى هذه الحضرة العلوية ... وكأنما سيكون قائد الإنقلاب العظيم ... وضد من ؟! ضد إرادة رب العالمين جل شأنه ...!!!

قاتله الله ...

ولكن سيناريو الأحداث لم ينته بعد ... وبعد انقلاب نفس كبير الجن السابق ... « قال فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين » [1]

فبماذا رد عابد هواه ...؟!

لقد رد الحسود المتكبر ... بما هو أغرب من الخيال ... ردٌ بجُرأة على رب العالمين مُصراً على المعصية مستقراً فيما ذهب إليه ، وليس لديه أية نوايا لتغيير موقفه ... « قال رب فأنظرنى إلى يوم يبعثون ، قال فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم ، قال ربُ بما أغويتنى لأُزيّنَنَّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلَصين ، قال هذا صراط علىَّ مستقيم ، إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين ، وإن جهنم لموعدهم أجمعين » [2]

لم يحاول اللعين أن يقول « أستغفر الله » ... لا ...

بل أعلن أنه ناصب آدم وذريته العداء إلى نهاية المطاف ... وليكُنْ ما يكون ...!

(١) الحجر : ٣٤ ، ٣٥ .
(٢) الحجر : ٣٦ ، ٤٣ .

بدليل أنك لا ترى فى موقفه سوى الرغبة الإنتقامية من جميع بنى آدم إن استطاع أو تمكّن من هذا !!!

وانظر خلال ثنايا هذا الحوار ... تجد اعترافه التام بأن الله تعالى ربه ... بدليل « ربِّ » ... وتكرار هذا فى أكثر من موضع خطابى ... فى نص الحوار ... !

وانظر لمضمون طلبه الغريب ... « **فأنظرنى إلى يوم يبعثون** » أى أنه عالم تمام العلم بالشريعة وبالحياة وبالممات وبالقيامة أو بالبعث من أجل الحساب وبالإستقرار النهائى فى مقامات أهل الثواب أو العقاب ... بدليل ... « **إلى يوم يُبعثون** » ... أى يريد أن يُؤجِّل إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين ... ولا يذوق الموت من لحظة وقوفه بين يدى الله تعالى وحتى ممات جميع الخلائق ثم قيامتهم أو بعثهم بعد مماتهم ... يريد أن يكون حياً .. طيلة هذه السنين ....!!

إنما يريد أن يأخذ فرصة غير مسبوقة ولا متكررة ... وهى مساحة عرض زمنية للأداءات الإبليسية تغطى كامل مساحة أجيال وقرون آدم وبنيه ... لا تفوته منها فائتة ...!

... بل يريد أن يكون منفرداً فى الكون بعد فناء جميع المخلوقات وكل بنى آدم ... « إلى يوم يبعثون » ... أى بالمسافة الزمنية الفاصلة بين فناء جميع الخلائق وقيامتهم ... يريدها كذلك ... يريد أن يكون حياً خلالها ! لأنه لا يريد أن يرى سوى نفسه ، ولن تتكرر له هذه الفرصة إلا فى هذا التوقيت ... أن تكون نفسه وحيدة منفردة الوجود فى الكون الذى ماتت جميع مخلوقاته ... أو من شاء الله منها ... ! ... إذ لا استفادة فعلية له فى هذه الفترة المرحلية الفاصلة سوى ذلك ...!

أرأيت عابد هوى نفسه ....!!!

وتابع معى إصرار اللعين على عبادة هوى نفسه ... وتأليه ذاته البغيضة عاصية الرحمن ...

فلقد ورد فى الأثر [1] إن إبليس اللعين لقى سيدنا موسى ﷺ ، فقال يا موسى أنت الذى اصطفاك الله برسالته وكلمكَ تكليما ، وأنا منْ خَلْق الله تعالى ، أذنبتُ وأريد أن أتوب فاشفع لى إلى ربى عز وجل أن يتوب علىَّ ، فدعا موسى ربهُ فقيل : يا موسى قد قضيت حاجتك ، فلقى موسى إبليس فقال له : قد أمرتَ أن تسجد لقبر آدم ويُتَاب عليك ، فاستكبر وغضب وقال : لم أسجد له حياً أأسجد له ميتاً ...!

وكأنما كان يريد اللعين أن يختار له الله وسيلة تكفير تتماشى مع ما ذهبت نفسه إليه ... !

ولنتابع معاً بقية الحوار ...

... « قال ربِّ فأنظرنى إلى يوم يبعثون » ...

أراد أن يُنْظر - كما أوضحنا - للحظة معينة أمْلَتْهَا عليه نفسه ... لكن رب العزة جل وعلا ... قال له ... « فإنك من المنظرين ، إلى يوم الوقت المعلوم » ...

إنه وإن ذهب المفسرون إلى نواحٍ شتَّى فى تفسير يوم الوقت المعلوم ... إلا أنَّ - والله تعالى أعلى وأعلم - وصف اليوم الوارد فى الآية بـ « يوم الوقت المعلومْ » لا يشير إلى إجابة الله لطلب الإنظار إلى يوم البعث ، وإلا لوقف الحوار عند « فإنك من المنظرين » وكإجابة للطلب السابق لهذا الرد ، ولكن « الى يوم الوقت المعلوم » إنما تشير لتاريخ أو لزمن محدد آخر بخلاف ما طلب اللعين . إذن فهذا اليوم الذى يُؤجِّل إليه موت إبليس اللعين ليس يوم القيامة ، لأنه لو أُنظر إلى يوم القيامة لما ذاق - إذن - الموت أبداً لأن ما بعد القيامة ... حياة بلا موت ... !

(١) تلبيس إبليس ، لابن الجوزى البغدادى .

إذن فيوم الوقت المعلوم هذا هو يوم قبل يوم البعث أو قبل يوم القيامة ... وقد قيل فيه اجتهاداً الكثير ... ولكن أفضل القول ... والله أعلم وأحكم ... أن هذا اليوم ... هو يوم لا يكون لإبليس اللعين دور يؤديه ...!

فماذا تراه يكون هذا اليوم[1] ...؟!

إنك إن عدت للنص القرآني وللحوار الدائر تجد خطة إبليس المعلنة والواضحة « قال ربِّ بما أغويتنى لأُزَيِّنَنَّ لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين ... » .

وانظر لمطلع هذا الحوار ... « ربِّ بما أغويتني » ... أى بحق إضلالك لى يا رب ... !!!

انظر لبشاعة وقبح المتحدث والحديث ... !!

... وكأنما يُحمِّل إبليس اللعين سبب ما يحدث كاملاً وبرمته لله ... وكأنما هو من كل شئ برئ ... بل وضحية لإضلال الله تعالى له ...!!!

أنظر ولاحظ ... مَن المتكلم ...!! إنه كان ذا مكانة ومقام رفيع وسط بنى جنسه وبين الملائكة وكان عَالِـمَاً ومُعلِّماً ومن أكابر قادة الجيوش العلوية ...

ولكن حين سقوط النفس ... تحدَّث كأجهل جهول ...!

... لأنه امتطى جواداً ليس له ركوبه وارتدى رداء ليس له ارتداؤه ... وهو الكبرياء ... وقد قال فى ذلك رب العزة تعالى ...

« العزة إزارى والكبرياء ردائى فمن شاركنى فيهما قصمته » ...

وفعلاً قُصِمَ اللعين الجهول عابد هوى نفسه ... وُطرِدَ للأبد من رحمة الله تعالى ...

---

(١) لنا عودة إن شاء الله لهذا اليوم مرة اخرى .

وانظر لخطته العجيبة مستغلاً خفاءه عن نظر بنى آدم ...

« ... لأُزيِّنَنَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين ، إلا عبادك منهم المخلصين » .

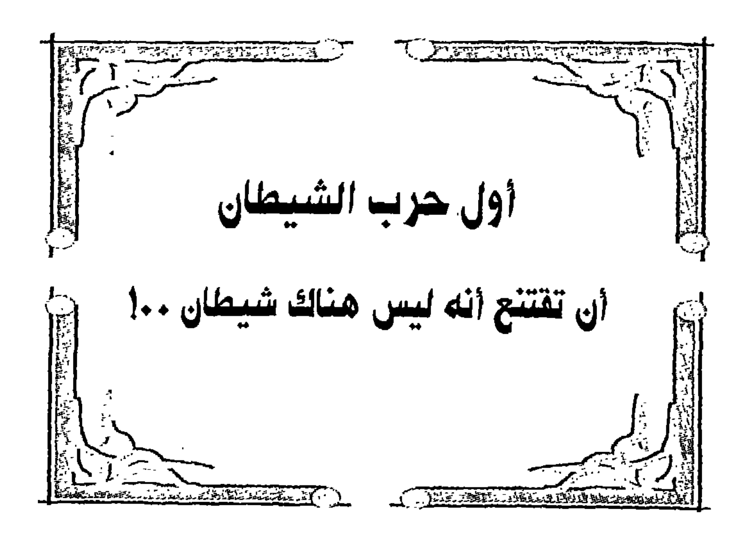
إذن وقبل وصول آدم وبنيه إلى الأرض ، كان من ضمن استعدادات استقباله تزيين كاذب بهدف إغواء بنى آدم ... أى تزيين الأرض وما عليها بزينة براقة ... وإكسابها جماليات ليست أصيلة فيها ... وإنما مُقْحَمَة عليها ... وإظهارها بما ليست عليه فعلاً ... ولاحظ أن نفسك التى بين جنبيك هى من عوالم غير المرئيات بالنسبة لك وكذلك إبليس وذريته برمتهم ...

ولذلك فمعظم الزينة إنما تكون بمثابة نقل عدوى نفس إبليس اللعينة المريضة الى نفس ابن آدم ... فى خفاء تام ... وجميع مرض إبليس إنما استقر فى نفسه ... ولذلك ... فجوهر خطته موجه لنفسك وينصبُ على تحويل نفس ابن آدم وتغيير مساراتها من طريق ربها إلى الطريق الإبليسى اللعين ... أو إن استطاع اللعين لصيَّر نفسك مثل نفسه ... نفساً متمردة على ربها ناقمة على مراداته رافضة شرائعه وتعاليمه ... وإن شئت فقل ... أنه لو استطاع اللعين أن يُنَصِّب من نفسه رباً لك ولنفسك لفعل ...!

وكحد أدنى ... فإنه يُصيِّر لك بعضاً مما تحب وتهوى ... كسيِّد لنفسك وكحاكمٍ لها ... لينطبق عليك ... ما قاله رب العزة تعالى ... وتكون ممن اتخذ إلهه هواه ... وكإبليس[1] اللعين تماماً ... !

« ومفيش حد أحسن من حد » ...!!

(١) إبليس أى اليائس من رحمة الله ، وهى مشتقة كلفظة من أبْلَس أى يئس فهو يائس من رحمة الله تعالى .
وكلمة شيطان : لها وجها اشتقاق ، من شَطَنَ بمعنى بَعُدَ ، وشطنه أى خالفه عن نيته ، وشاط شيطا أى هلك هلاكا ، وأشاطه أى أهلكه ، إذن وعلى هذا النحو الإشتقاقى ... فإن شَيْط إنما تعنى هلاك ... ويكون معنى « شيطان » أى الهالك هلاكاً كبيراً .



أول حرب الشيطان

أن تقتنع أنه ليس هناك شيطان ..!

....

كما ورد فى الكثير من الآثار المدوُنة لدى أهل الكتاب ، وعلى لسان بعض أنبيائهم ... فى هذا الصدد ... وكتوبيخ لإبليس اللعين ...

... « سَقَطْتَ من السماء يا كوكب الصــبح ، يا من كنت جمال الملائكة وأشرقتَ كالفجر .. حقاً إن كبرياءك قد أسقــطـك للأرض . »

وكتكرار فى بعض هذه المدوُنات أيضا لما حدث حين موقف الأمر بالسجود **... أن رب العزة جل شأنه قال ... « ليَسْجُدْ تَواً كل من اتخذنى رباً لهذا التراب – أى لآدم – فسجد له الذين أحبوا الله ، اما الشيطان والذين كانوا على شاكلته فقالوا ... يا رب إننا روح ولذلك ليس من العدل أن نسجد لهذه الطينة – أى لآدم – ولما قال الشيطان ذلك أصبح هائلاً ومخوف المنظر ، وأصبح أتباعه مقبوحين لأن الله أزال بسبب عصاينهم الجمال الذى جمــلَهم به لما خلقهم ، فلما رفع الملائكة الاطهار رؤوسهم رأوا شدة قبح الهولة التى تحول الشيطان إليها وخر أتباعه على وجوههم إلى الأرض خائفين ، حينئذ قال الشيطان ... يا رب إنك جعلتنى قبيحاً ظلماً ولكننى راض بذلك لأننى أروم – أى أنوى – أن أبطل كل ما فعلتَ – أى يبطل كل ما فعل الله !!! – وقال الشياطين الآخرون ... لا تَدْعُه ربًاً يا كوكب الصبح ، لأنك أنت الرب ، حينئذ قال الله لأتباع الشيطان ... توبوا واعترفوا بأننى أنا الله خالقكم ، أجابوا ... إننا نتوب عن سجودنا لك لأنك غير عادل ، ولكن الشيطان عادل – لاحظ أنهم لا يعتبرون اسم الشيطان فى حد ذاته وصمة !! – ولكن الشيطان عادل وبرئ وهو ربنا ، حينئذ قال الله : إنصرفوا عنى أيها الملاعين لأنه ليس عندى رحمة لكم ... » .**

إن الشيطان اللعين ... واقع وحقيقة ... لكن الإنسان ... دائماً ينسى ...!

إن الله تعالى ... لما خلق الإنسان وفضله على كثير ممن خلق ، ومنهم إبليس وذريته ، وبالرغم مما كان فيه من مقام ومكانة ذات رفعة ... إلا أنه حين استشعر هذا التفضيل وهذا التكريم لم تهدأ نفسه ... وناصب آدم وكل بنيه العداء منذ الوهلة الأولى ...!

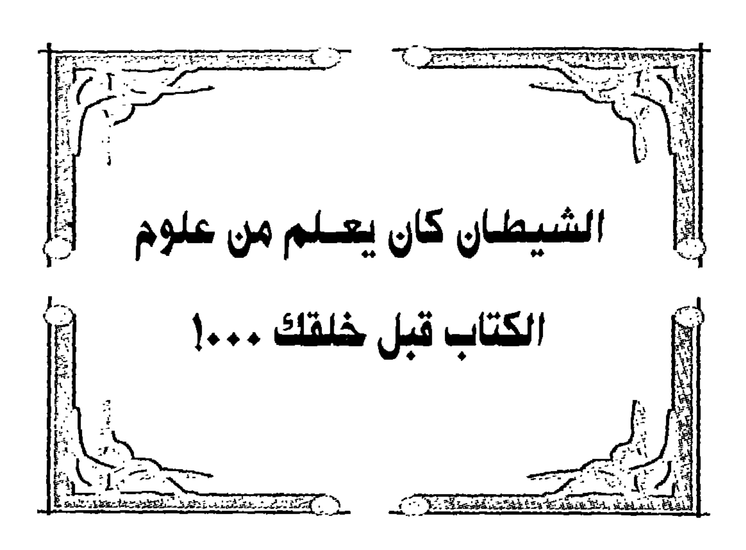
ولقد كان للحسد والكبرياء اللذين اعتملا بنفس اللعين أكبر الأثر وأعظمه فى إسقاطه فيما سقط فيه هو وبنوه ... وبعض الذرية من جنسه وجنسهم ... ممن اتبعوه ... واتبعوهم ...

إنك لو حللت الأحداث بمزيد من التدقيق ... لفهمت فوراً أن سبب هذا الإنقلاب الهائل غير المسبوق وغير الملحوق أيضاً - والله أحكم وأعلم - هو المكانة التى أعطاك إياها الرحمن جل شأنه ، والتشريف الذى أطال به قامتك كمخلوق بين جميع المخلوقات حين اصطفاك بخلافته فى الأرض ...

... خليفة لله تعالى ... الجميع كانوا يريدونها ... لكن المولى تعالى اصطفاك لهذه المهمة ...

أي ... لقد صار إبليس وبنوه وذريته ومن اتبعهم ... أعداءك بسبب مكانتك التى كرمك الرحمن بها وأعدك لها وأمدك بكل ما يلزمك لإتمامها ... وبالتالى فإنك مُسْتَهْدَفُ من عدوك من أجل مكانة ، أدْمَنْتَ الغياب عنها وعدم الإلتفات إليها ... ، ويساعدك عدوك ... دون وعى منك ... على المزيد من التجاهل لها ... وعدم إدراكها ... وبالتالى فالنتيجة ... غياب الهدف الحقيقى لوجودك كما أراد ربك ... والإلتفاف إلى أهداف أخرى فرعية مُفْتَعَلَة لا تُوصِّل إلى شئ ... وإنْ هى إلا باب من أبواب « التزيين الزائف » للأحداث ، وكما وعد عدوك وأعلن خطته الإجرامية منذ الوهلة الأولى ...!

ولكن أهناك خطة بدون معرفة سابقة وكافية من المُخطِّط ... ولضمان نجاحها حين تنفيذها ؟!



الشيطان كان يعلم من علوم الكتاب قبل خلقك ...!

....

لقد كان إبليس اللعين ... من أهل العلم والعبادة ... لسنين عديدة مديدة لا يعلمها إلا الله ... وكان من أهل الدرجات العُلا والتمكين ... بل وكان من أهل الرئاسات والتشريف ...

ولا يصل إلى هذه المكانة أو ما شابهها ... إلا أهل علم وعبادة وطاعة ... خاصة وأنها مكانة الـمُكرَّمين والمقرَّبين من رب العالمين ... وليست مجرد مقام بين أهل الدنيا ... ولكنها مكانة أعطاها وأقرها الخالق جل شأنه ...

وعليه ... فإن العلوم التى كان يحملها هذا المتمرِّد اللعين والتى آتاه الله إياها ... إنما - وكما رأينا سابقاً - لابد وأن كانت تحمل معاني الثواب والعقاب والأولى والآخرة ... وإقرار الحق ... ومحاربة الباطل ... إلخ ... مِنْ كل ما يُتَصَوَّر وأن يشمله أى منهج من الله تعالى لعباده ...

الأمر الذى لم يكن من الصعوبة على اللعين أن يْستنبط منه كيفية تزيين جميع المنزلقات اللطيفة الناعمة والتى هو على دراية كبيرة بها قبل خلقك ... وبدليل تجنبه إياها طيلة سنوات وسنوات ... ووصوله لما كان فيه ...

فالأمر بالنسبة له ... معلوم تماماً ... ما هى طرق المهالك ... وكيف تُصاغ زينتها بحيث تُؤتَى بطيب نفس ... بل وباشتهاء نفس ...!

فالمهالك هى ما حرَّم الله تعالى ... والمسالك الحقة هى كل ما يقرب لله تعالى ... وقد توعَّد اللعين أنه سيقعُدنَّ لنا على الصراط المستقيم ... أى على طريق الحق ليدلُّنا على طريقٍ غيره ... فلا نكون على الصراط المستقيم ولا إلى ربنا واصلين ...!!

... « قال فبما أغويتنى لأقعُدنَّ لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين » (١) .

(١) الأعراف : ١٦ . ١٧ .

لاحظ أنه يقول دائماً ... « بما أغويتنى » ... وكأنما يُكلِّم خلقاً من خلق الله ... وليس بأسلوبٍ مُتأدِّبٍ فى حضرة الله تعالى ...!

وكأنما - ولله تعالى المثل الأعلى - يقول شخص لآخر « حَدفَّعَك تمن اللى عملته فِيَّا غالى ... » ... !!!!!!!!!

ولكن الله تعالى ... هو العزيز ... الغالب الذى لا يُنال ...

فترى ... من ذا الذى يتوعده اللعين بأنه سيدفع الثمن ...؟!

إن اللعين لو استطاع انتقاماً من الله فى ذات الله ... وحاشا لربنا الله الملك العزيز العلى المتعالى ... لفعل ...!!!

لأنك ترى دائماً فى حواراته نقمته على ربه وعلى مراداته ...!

... لكنه ... خلق من خلق الله ... ساقط من الساقطين ... بل وفى الأذلِّين من لحظة سقوطه وإلى أبد الآبدين ...

إنه لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ... ولذلك ... فالتوعد من هذا الساقط هو توعد لمخلوق ... بماذا ... بأنه سيكون له بالمرصاد وكقاطع طريق ... « لأقعدن لهم صرطك المستقيم » ...

إن الساقط وهو يؤدى دور قاطع الطريق ، إنما يريد أن يثبت لله تعالى أن هذا الذى كرمته علىَّ ليس بأفضل منى ... وسأقوده إلى عكس ما أنت تعدّه له ...!

ولكن الله تعالى حسم القضية منذ الوهلة الأولى ... « إنى أعلم مالا تعلمون » ... ولعل بداية الخطة التى أعدها الساقط بعناية لسقوط كل بنى آدم ... إنما تبدأ باستبعاد فكرة الشيطان اللعين من مخيلتنا تماماً - بل - وإسقاطها بالكُلِّية من حياتنا ... وأداء ما نؤديه فى الحياة ، فى غيبة كاملة عن حقيقة سبب وجودنا ...وعن حقيقة الحرب الدائرة على أشدها من الشيطان الرجيم ضدنا ...!

إن الله تعالى ... قالها منذ الوهلة الأولى ... « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » [1]

« ولا يَصُدَّنكُمُ الشيطان إنه لكم عدو مبين » [2] ... « إن الشيطان للإنسان عدو مبين » [3]

« أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ، بئس للظالمين بدلاً » [4]

....

إن الأمر لواضح وجليّ ...

ولكن أليس الإلتفات لحقيقة الشيطان اللعين وتعريته وإبراز حقيقة العداوة التى ناصبنا إياها منذ الوهلة الأولى ... هو من بيِّنات ومعالم السير على الصراط المستقيم ...؟!

إن الصراط المستقيم ... هو طريق الرحمن ... الطريق الممهَّد المؤدى إلى الله ... بما يريد الله ... والحرب الشيطانية ما هى إلا مطبَّات صناعية من كل نوع على هذا الطريق ... لكنها مطبَّات غير منظورة ... كما أن الشيطان الساقط - أيضاً - غير منظور ... من واقع عينيّ رؤوسنا ... والتى لا تدرك إبصاراً سوى فقط ما هو من مُكوِّنات عالم الماديات ... وطبقاً للأسلوب الذى صمَّمنا به رب العزة تعالى ... وأراده لنا ...

إن الشيطان ... إنما يستغل خفاءه عن أعيننا ووسائل إدراكنا الطبيعية - طبقاً لما فُطرنا عليه - ليلعب لعبته القذرة والتى تحمل مُسمَّى « تزيين السقوط لكلِّ بنى آدم » ... والتى لم يؤجلها ... بل بدأها منذ الوهلة الأولى التالية لسقوطه ... مع آدم وزوجه شخصياً ... لأن الموضوع من منظوره لا يحتمل ضياع الوقت ...!

(١) فاطر : ٦ (٢) الزخرف : ٦٢ .
(٣) يوسف : ٥ (٤) الكهف : ٥٠ .

إن سلاح إبليس الرئيسى ... هو طبيعة خلقته هو وبنيه وجنوده ... والتباين بينها وبين طبيعة خلقتنا ... فهو ينتمى للعالم الروحانى غير المادى ونحن ننتمى كإخراج نهائى للعالم المادى ... وكحد أدنى بسبب الأجساد الطينية التى تحملها أرواحنا ونفوسنا ونسير بها ونؤدى كامل أداءاتنا فى مسيرتنا الحياتية ...

إن أعظم أسلحة الساقط هو هذا التباين الخلقى بيننا وبينه ...! ولذلك فكامل سمومه خفية غير مُدرَكة من منظور مداركنا المصمَّمة لإدراك الماديات ...!

وأضف لذلك ... أنه لو أتيحت لك فرصة رؤية هذه العوالم الروحانية لوجدت هذا طائراً فى الهواء ... وثانياً يقف بين رجل وزوجته لإشعال ما بينهما ، وثالثاً ... يكلم شخصاً بمفرده ... ويحاوره محاورة الحكماء ورابعاً .. وخامساً ... إلخ ...!!

إن مجرد رؤيتهم إنما يُفسد عليهم تماماً جميع صنيعهم ويُبطل قُبح أهدافهم ... بل ولا يكون لهم أى تأثير من أى نوع علينا ... لأنك بمجرد نظرك إليه ... وقبل أن ينطق لسانك بأى شئ ... ستجده ولّى هارباً ...!!

ويا سبحان الله ...

خفاؤهم هو بداية وعظيم مكمن خطورتهم ... أما بقية الرتوش التكميلية لذلك ... ولنجاح مخطط السقوط العظيم ... فهى ... إقناع الناس بالنفى التام ، بل وبالرفض النهائى لفكرة الشيطان وأثره على حياتنا ... وعلى أحداث الأمس واليوم والغد ...!!

وبمعنى ... أنه وإن كان الخفاء هو أهم أسلحة الساقط اللعين ... فإن نفى وعدم قبول فكرة وجود الشيطان وأثره على ... أفكارنا ومجريات حياتنا ... إنما يعتبر بحق الدرع الواقى لضمان إكمال مخطط السقوط فى غفلة كاملة ممن يُراد سقوطهم ... ولضمان النجاح التام للساقط ولمخطط السقوط ... فى إسقاط خلق الله ...!

ولو راجعت نصوص أى كتاب مقدس لتأكدت أن موضوع الشيطان - هذا - ليس مجرد حكاية أسطورية ... لا ... فالمتكلم هو الله تعالى وهو يخبر بالحق، وحتى مجرد النصوص البسيطة التى سردناها على الصفحات السابقة إنما هى قليل جداً من كثير قد ذُكِر تفصيلاً ...

... وذكر هذه الحقائق على صفحات القرآن العظيم ليس لمجرد سد فراغ فى كتاب ... إنما هو كتاب إلهى أقدس ... ونطق حق ... وإنباء حق ... من لدن الحق جل وعلا ...

إذن فموضوع الشيطان اللعين ذاك ... إنما هو حقيقة يجب التعامل معها بمنطق مدرك وواعٍ ... وليس بمنطق غافل يرتدى زى المدنية المعاصرة والذى لم تعد تناسبه نصوص الكتب القديمة مهما كانت هذه الكتب ...!

فكثيراً ما ترى من يقول لك ... عن مثل هذه الموضوعات ... « يا أخى دى غيبيات لا نستطيع الخوض فيها » ... أو ... « هو إنت برضه بتعتقد فى الحاجات دى » ... والإبتسامة الساخرة تكسو وجهه ... أو ... « شيطان إيه يا أخى ما شيطان إلا بنى آدم » ... أو تجد من يقول لك ... « الحقيقة مش عارف إزاى واحنا فى استقبال القرن الواحد وعشرين ... تتكلم فى حاجات زى دى ... ده الكلام بالشكل ده هو أحد أهم أسباب تأخرنا عن مسايرة ما وصل إليه العلم الحديث ... وكلام زى ده من أسباب تخلُفنا » ... !!!

معذرة لكل هؤلاء ... وغيرهم ... إنكم لغافلون ... وأعظم نصيب من قناع ورداء غفلتكم ... واقتناع نفوسكم بصحوتكم وعدم غفلتكم ... هو محض صناعة شيطانية خفية ...!!

نعم ... صناعة شيطانية خفية تُقْنع النفوس أنه لا شيطان ... وأن تلك المُسمَّيات إنما هى مجرد خرافات ومحض عدم ... بدليل أين هو ...؟!

إنها تعمية من الشيطان لنا ... حتى نقتنع أنه لا يوجد هذا الكائن إلا فى الأساطير والخرافات ... وأفلام الرعب ...!

إنه يسلبك بذلك سلاح الإستعداد للمواجهة ... ويقاتلك وأنت غافل تماماً أنك تُحَارَب ... وحتى تكون الحرب سهلة عليه ... لأنها من طرف واحد ... والمضرُوب لا يقاوِم ...!

و ثِقْ أن مكمن قوته فى خفائه ... لأنه ينتمى لعالم الروحانيات أى لعالم غير المادّيات ... فليس له جسم مادى مثلنا ... - وإن كان له جسمٍ آخر يتواجد به بين بنى جنسه - ... لذلك لا تراه العين البشرية والتى فقط صُمِّمت لإبصار مـا هو واقع فى نطاق العالم المادى المدَرك والمحسوس ... من خلال أدوات الإدراك الإنسانية المعتادة على كل ما هو مادى ...

إن وسيلته الأساسية دائماً « **الكلام** » ... وهو ما يُسمَّى بـ « **الوسوسة** » ... ولاحظ أنك لا ترى نفسك ... لأنها غير مادية ... ولا تسمع صوتها الصادر منها بأذنك ... والتى هى أيضا مصممة لالتقاط وتمييز الأصوات الصادرة عن متكلم من عوالم الماديات ... أو عن أى حدث صوتى يقع فى نطاق دائرة إدراكها ...

إنك تجد فكرة ... أو رأياً ما ... أو حواراً معيناً ... تجد معناه ساريا فى داخلك ... وتتعايش معه أجهزة فهمك وإحساسك ... بدليل ... أن هذا الذى يدور بداخلك ... قد يكون مُؤدِّياً لأن تنفعل ... فنجد ارتفاع صوت تنفسك وعدد ضربات القلب لديك ... مثلاً ...

إذن فغير المادى ... وغير الملموس - هذا - والواقع فى دائرة النفس ... إنما هو مؤثر تام على ماديتك ... وبدليل أنه وبمجرد وصولك لمرحلة اقتناع معينة تجدك تترجم ما دار بداخلك إلى حيز السلوك ... سواء بالكلمة أو بأداء فعل معين ... وهذه هى كامل حياتنا ...!

والشيطان ... إنما يقع دوره الرئيسى فى هذا الحيِّز ... وحيث أن تسلُّل كلامه فى نفسك لن تميزه وأنت مستسلم للحوارية الداخلية ومتجاوب معها بالإنصات ... وحين نهاية بثها ... تجدك صاحبَ تصرُّف ... فإن كانت فكرة الشيطان غائبة عنك ... فسيختلط لديك الحابل بالنابل ...أو الصالح بالطالح

... وستفقد بالتالى السيطرة على حقيقة ما يجب أن تُدلى فيه بدلوك ... ليكون سلوكك هو ناتج إرادة نفسك الحقة ، وناتج اقتناعها الكامل الصافى من أية شوائب تخالطه ...

إن مجرد يقظتك لفكرة وجود الشيطان فى حياتك إنما تمثل « الفلتر » الذى يجب تركيبه على صنبور الماء الذى تشربه لتنقيته من أية شوائب تخالطه ، لأنك لست بالضرورة ترى كل ما يخالط الماء بعينى رأسك ... وكما تُخرج فلتر الماء وقد تجمعت فيه الشوائب ذات اللون والطعم والرائحة ... والتى ما كنت لتراها فى كوب الماء - حين عدم استخدامك للفلتر - وأنت مقبل على الشرب ، فكذلك ... ضع فلتر الحذر ... على نفسك وعلى عقلك ... لكى تُنقِّى جميع ما يعتمل بداخلك قبل إظهاره إلى عالم السلوك ... أو قبل أن تُكوِّن به اعتقاداً معيناً أو رأياً فى خصوص ما ... خاصة وأنك لا ترى أنواع الأخلاط الحقيقية المتكوِّن منها ما يدور بنفسك ...!

... « **لأقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين** » .

لاحظ « نون التوكيد » المستخدمة فى الفعلين « **لأقعدنَّ** » و « **لآتينَّهم** » ... وهى للدلالة على ... الإصرار فى الأداء والتفرغ التام للإنجاز من الشيطان الرجيم ... وبمعنى صيرورة ذلك وظيفة أساسية له فى الحياة ومنذ لحظة سقوطه ... !

فقعوده كـ « قاطع طريق » على الصراط المستقيم ، إنما هو تحويل لمسارات جميع مكارم الأخلاق والفطرة السليمة والتى تستهدفها جميع الأديان والكتب السماوية ... إلى طرق جانبية غير صحيحة ... وإن كان الصراط المستقيم هو الطريق إلى الله ... فإن الطرق الجانبية تبعدك عن الله ... فهو ساقط من رحمة الله ... ويريدك مثله ...!

أما الإحاطة التى تَوعَّد بها لنا ... فهى لتحويلنا إلى كفار أو جاحدى نعَم ... وبدليل ... أن نهاية إحاطته التى توعَّد بها ... إنما تؤدى إلى أن أكثر الناس يجحدون نعم الله ولا يؤدون حق الشكر عنها لله ... لماذا ؟! لأنهم غير راضين ... إذن فهذه إحدى أهم نفحاته المسممة فى نفوسنا ... إشعارنا وإقناعنا بعدم الرضا فى حياتنا عن أى شئ ...!

ولو لاحظت ما أنت فيه شخصياً ... من صحة ... وإبصار ... وسمع ... ونُطق وقدرة على الفهم ... الخ ... وكذلك جميع ما حولك ... والذى تتعامل معه وينفعل لك ... وللآخرين ... لوجدت أنك وجميع ما حولك ... ومن حولك ... محض خامات أبدعها الرحمن جل شأنه ... وأنت وغيرك تتفاعلون معها وبها وهى تتفاعل معكم وبكم ... لإثمار نواتج بمعينة ... تؤدى لاستمرار المسيرة الحياتية ... وما ذلك إلا محض نِعَم لا تُعدّ ولا تُحصَى تفضَّل بها المولى ... سبحانه ...

وإن أردت التفرقة أو التمييز بين الراضى وغير الراضى ... ستجد أن الفيصل في ذلك بالكلية هو السلوك ... والمتمثل فى كلمة تقال أو سلوك يُؤدَّى أو كليهما معاً ... وتستطيع بتحليل ما ظهر لك من هذه الكلمة ومن هذا السلوك تصنيف صاحبهما إن كان من الراضين أو من الناقمين الجاحدين ...

... ولاحظ أن مُحرِّك ظهور الكلمة أو السلوك إلى عالم الأداء والإدراك هو نفس مُظهِر الكلمة أو السلوك ... والذى لابد وأن تكون قد اعتملت فى نفسه طاحونة « إزاى » ... « وليه » ... و « إشمعنى أنا » ... و « ليه يارب هو أنا عملت حاجة » ...!!!

وغيره كثير وكثير ... فظ وقبيح ...!

والذى يعقبه - بالتبعية - عدم الرضاء والنقمة على كل شئ ...!

ويختلف الناس فى التعبير عن ذلك ... اختلافاً كبيراً ...

فقد يكون غير الراضى كتوماً ... فتجده أشبه بالمريض النفسى ... لا يفصح لك عن حقيقة عدم رضائه ... لكنك تقرأه بسهولة فى إحباطاته المتراكمة ويأسه من كل شئ ... وعدم ثقته اليقينية فى الله تعالى ...

والغد عنده ... إنما يمثل المزيد من الإحباط وتراكمات النقمة المكتومة ... المحركة من اللاشعور لدفّة حياته ...

وقد يكون هذا الناقم أو غير الراضى ... عَجُولاً ... فتجده من « المولولين » على كل صغيرة وكبيرة ... تجده يقيم مأتماً لتلقى العزاء من خلق الله فى كل أمر أو موقف يعترضه فى مسيرة حياته مهما كان تافهاً ... لكنه غير راضٍ عن أى شئ بالمرة ...!

وقد يكون هذا الناقم بلا قيود بيئية تربوية مسيطرة ... فتجد الجريمة ... واغتصاب الحقوق وما فى جيوب وحياة الآخرين ...!

وقد يكون ... وقد يكون ...

ألف ألف ألف صنف من ... « قد يكون » ...

المهم ... وفى الإخراج النهائى ... هو سيطرة النقمة وعدم الرضاء على نفوس وحياة الناس ... وإن تعددت وتراكبت أسباب وأعراض الإحتفاظ بها أو مظاهر التعبير عنها ... من شخص لشخص ومن مجتمع لمجتمع ...

إذن فخطة الشيطان اللعين ... « ولا تجد أكثرهم شاكرين » ...

أى « وستجد أكثرهم جاحدين كافرين ناقمين » ...

ولو حاولت إبراز نوع من الترجمة الرقمية فى هذا الخصوص ... فإن كلمة « أكثرهم » إنما تعنى « أكثر الناس » ... فى أى مكان ... وفى أى زمان ... إذن فهى على إطلاقها تَعُمّ الناس منذ آدم وحتى اللحظات الأخيرة ، هذا من ناحية زمان ومكان التطبيق الأدائى ...

أما عن جوهرية كلمة « أكثر » فهى تشير إلى ما يفوق نسبة الـ ٥٠٪ من المقصودين بهذا الحوار وأقل من ١٠٠٪ ... لأن ١٠٠٪ إنما تعنى « كل » الناس ... أما « أكثر » الناس فهى تشير إلى نسبة تغليبية ... أى إلى أقل من ١٠٠٪ وأكثر من ٥٠٪ .

إذن فكلمة « أكثر » إنما تعنى المساحة الواقعة بين ٥٠٪ ، ١٠٠٪ .

ولك أن تتخيل ... أنه لو كانت حرب الشيطان ضدنا فقط متمثلة فى هذه الناحية « عدم الرضاء » أو «النقمة» أو « الجحود بالنعم » أو «الكفر بالنعم» والذى يؤدى لعدم تقبل للمُنعْم ... بل وبتلقائية شديدة إلى التمرد على كل عطاءاته فى أى صورة من صورها ...

إذن فالبداية هى « عدم الرضاء » عن الواقع وما فيه ... والذى يقود تلقائياً إلى رفض لحكمة صاحب الواقع ومُوجده على ما هو عليه ... وبالتبعية فرافض حكمته إنما هو رافض له شخصياً ...!!!

يا سبحان الله ...

لو أن فقط هذه هى حرب الشيطان الرجيم ضد الإنسان ... لأحاله إلى كافر ...!! فما بالك بأنها فقط مجرد نقطة واحدة من إجمالى ما بجعبة اللعين ...!!!

والشيطان لا يخترع للإنسان شيئاً ... لا ...

فللنفس الإنسانية شهواتها ونقاط ضعفها ... ونقاط قوتها ...

والحيلة الشيطانية إنما تستهدف قتل وتعجيزكل قوى النفس ... وإعلاء صوت الكوامن الشهوانية الفطرية ... وختم جميع المرادات الإنسانية بخاتم « أنا غير راضٍ » ...

إذن فالبث أو الإرسال الشيطانى - فى هذا الخصوص - إنما هو مجرد تقوية صوت الرفض والتمرد وعدم الرضاء ... ورفض جميع أنواع مُقيِّدات السلوك والحياة ... سواء كانت هذه المقيِّدات هى مكارم أخلاق ... أو عُرفاً عاماً ... أو قانوناً وضعياً ... أو تشريعاً سماوياً ... وتلك مرحلة ...

والمرحلة التالية ... هى دفعك بجميع الحيل الإقناعية والتكميلية لتحويل ما سبق إلى سلوك ...!

والمرحلة التابعة ... هى تمهيد الطريق أمامك لإثبات أن هذا الطريق غير شائك ... وسهل ...! ثم ... إعطاء المشورة والمساعدة إن لزم الأمر ... ثم الإلحاح عليك حتى تدمن هذا السلوك ...!!!!

والأمثلة على ذلك لا نهائية(١) ...!

إذن فالشيطان إنما يخاطب موجودات مستقرة أصلاً فى كوامن نفسك ، وبمعنى أنه لم يخترعها لك اختراعاً ... لا ...

وثمة منهج عدوانى آخر ينتهجه اللعين ... وهو التوجيه التضليلى للإنسان ... والذى يلعب بموجبه دور « عسكرى مرور مزيف » ، يعطيك جميع الإشارات بخطأ متعمَّد لتضل أنت ومسيرتك ... فى كل شئ ...!

وأثناء تلك الأداءات ... بطبيعة الحال ... لا يقول لك أنا عدوك الشيطان ... وهذا كلامى وتدليسى وتضليلى لك ...!

ولكن كل ما يقنعك به يقوم فيه بدور « الْمُزَيِّن » ... أى أن هناك أداءً تزيينياً لابد وأن يُغلِّف به ما يريد إقناعك به ... وحتى تنساق أنت للإعجاب بما دار فى نفسك ثم ... السير فى باقى الخطوات والدرجات المخططة وبثبات تام ...!

ولاحظ عُمْق المخطط ... « ولا تجد أكثرهم شاكرين » ... وهى نتيجة مرحلية مرادة ومستهدفة للإنطلاق إلى نتائج أعمق وأضخم ...!

---

(١) هذا الأمر إن أردنا نقاشه بتفصيل سيحتاج ... وكحد ادنى ... لمجلد ضخم ، ولذلك ... فما نذكره هنا ، إنما هو مجرد لفت نظر عابر تطلبته مقتضيات النقاش ...!
ويمكن أيضاً مراجعة « حروب شيطانية » ... بإصدارنا الثالث فى السلسلة ... « العائدون إلى الله » ... « قراءة فى سر الأسرار لإجابة ما هو صعب الإجابة ...! » .



شيطان مريد وإنسان مريد ..
وتحليل نفسى للشيطان ..!

....

... إن الاخراج النهائى لصياغة موقف سقوط اللعين ، إنما أخذ شكل « التمرد » .فلقد تحركت بداخل نفسه وتفاعلت واعتملت كل قوى ومضخات الحسد لآدم ... وتكابَرت مكانة نفسه إلى درجة العلو الكبريائىّ ... وانفجرت بعصيان معلن ومبرر بمبررات مُسمَّمة ومرفوضة شكلاً ومضموناً ... وصار متمرداً على ربه الله تعالى وعلى ما ذهبت إليه حكمته ...!

إن موقف هذا اللعين ... لم يخترعه فى نفسه اختراعاً ... لا ...

فإن نفسه التى تمردت ... هى نفسه السابقة العابدة الطائعة ... ولكن هى نفس عابدة طائعة لطالما هى ... ولا غيرها ... أى ليس هناك من يفضلها ...!

تماماً كالعابد ربه لأنه أغناه ... ولئن أفقره جحده ... وأنكر جميع ما يحدث ...!!!

إذن فهو عبد للحالة التى تستهويه وتروق له ... وليس عبداً لخالقه بحق ... ولا لـمُجْرِى الأقدار عليه ...!!

إذن فنفس إبليس اللعين هى هى ولم تتغير ... ولكن المواقف والأحداث التى ظهرت للوجود بالمرادات الرحمانية ... هى التى لم تلقَ القبول لدى نفس الساقط كما كانت من قبل ... لأن ما كان من قبل كان على هوى إبليس ... العلم والمكانة والرئاسة والتشريف والأتباع والجنود ... الخ ... أما ما تلى ذلك من أحداث اعلمته بالدليل الساطع وبرهنت له ... أنه سيظهر للوجود خليفة لله فى أرض الله تعالى ... وبما يعنى أنه سيفضله لا محالة ...

ولاحظ أن إبليس اللعين كان من أهل التكليف وليس من الملائكة ... بل وقد وصل لما كان فيه - بإرادة الله تعالى - طواعية واختياراً ... واجتهاداً ... ولكن يتضح أن نفسه كانت تتوق لجميع ذلك وهذا يبرهن أنها عبدت المكانة والمقام الرفيع ولم تعبد الله حق عبادته ... ولكن اتخذت العبادة والطاعة طريقاً

للوصول ... وبدليل أنه حين استشعر إبليس اللعين - وبالرغم من بقاء مكانته على ما هى عليه - أن المخلوق الجديد سيفضُله - بشكل أو آخر - كان منه ما كان ...! ولأنه ليست لدى الله تعالى أزمة مكانات ومقامات - وحاشا - ... ! فلم يكن وجود آدم مُزَحْزِحَاً إبليس عن مكانته ... حتى وإن كان سيفضله .. فلهذا وَضْع ... ولذلك وضع آخر ... ولكن إبليس اللعين .. كان قد أدمن - بالفعل - ما هو فيه ...!

فهو إذن عَبْد المكانة والمقام الرفيع ، وليس عبداً لله تعالى بحق ، وإلا لكان - مثلاً وكحدٍ أقصى - ... صاحب حال استفساريَ كحال الملائكة الأطهار ... والذين استغفروا عنه لزمن !!!

لو كان يعبد الله محبةً فى الله لأطاع الله وما عصاه ... لكنه عصى أمر الله وقدره ومراده ... لأنه يمس مكانةً لا يستطيع أن يعيش أقل منها ...!

... وحتى هذه المكانة لم تكن لتتغير لو أنه أطاع ...

... وهذه الطاعة لم تكن لتنتقص من مقام إبليس شيئاً .. أو تخرجه مما كان فيه ...

... ولكن ... كيف يكون صاحب المقام الرفيع والمكانة العالية من الساجدين لمخلوق جديد من طين ؟!!

إن السجود لم يكن سجود عبادة ... أفيأمر الله تعالى خيرة خلقه الأطهار بعبادة غيره ...؟! حاشا لله ... إنما هو سجود تشريف وتكريم للمُبْتَلَى بالخلافة ، ولأن أيّاً من الساجدين ليس بخليفة لله فى أرضه حتى وإن كانوا أصحاب مقامات عالية ورفيعة ... وأهل قربى من الله تعالى .!

إن السجدة ...إنما كانت تعنى الخضوع لأمر الله تعالى - بالدرجة الأولى - وإظهار ذل العبودية له بحط قدر النفس طاعةً للمُرَاد الرحمانيّ ، ومن ناحية أخرى - فقد كانت تعنى - إبراز قيمة آدم وذريته لدى رب العزة جل وعلا ...

ورَفْض إبليس الرجيم لهذه السجدة ... إنما يعنى رفضه الأولى ورفضه أيضاً للثانية ... فرفضه للسجدة بالمنطق الأول ... إنما يعنى خروجه من إطار ذل العبودية تماماً ... وبالتالى وقوفه لله تعالى فى موقف نـدِّية ... وهو موقف غير متكافئ ... ولا يمكن بأى حال من الأحوال تصوُّر تمامه ... لأنه لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق ... ولا كبرياء لمخلوق ذليل أمام عزة وكبرياء الله تعالى ...

ورفضه للسجدة بالمنطق الثانى إنما هو رفض تام لـمُراد الله تعالى وقراره ... ... « أأسجد لمن خلقت طيناً » ... « أنا خير منه » ... « لم أكن لأسجد » !!!

أكان هذا عابداً لله تعالى محبة وخضوعاً واستسلاماً ... ؟! أم كان عابداً لما هو فيه ، ولما يوصله لما هو فيه ...؟!

لقد أراد أن يثأر لربه الحقيقى وينتصر له ... أى لنفسه وما تهوى ...!!

فتمرد ... وصار مريداً ...!

إذن فقد سقط وهو « مريد » أى عظيم التمرد والعصيان والفجور ... وكان منه جميع ما كان بمنطق التمرد ... وبمنطق أنه مريد ...

إذن فقد رفض – وتمرد على – الواقع فسقط ... ولذلك كان تمرُّده بداية مرضه النفسى الذى أودَى به وأسقطه – بإذن الله – إلى الهاوية بلا رحمة تُرجَى له ... ولذلك فإن كان التمرد هو بداية نهايته ... فهو معك ليضعك على خط بداية نهايتك ...!

... فهو يريد أن يُحوِّلك مبدئياً إلى مريد أو متمرد بشدة على كل شئ ... ثم بعد أن ترفض الواقع – مثله تماماً – تبدأ مريديتك فى السير بثقة وبثقل تجاه السقوط ...!

ولا تنسَ ... « ولا تجد أكثرهم شاكرين » ...!

... « ولأُضلَّنهم ولأمنّينهم ولآمُرنَّهم ... » ...[1]

... « ولآمُرنَّهم فليغيرُنَّ خلقَ الله ... » ...[2]

ماذا يعنى إبليس بتلك الحوارات السابقة ... ؟! ومن أين إتى بالجرأة والقوة ... والتمكين ... حتى يقول ما قال ... وبالتحديد ... « ولآمرنهم » ... ؟!

أى أنه سيأمر بنى آدم ... والأمر هذا لا يكون إلا من ذى سطوة وغلبة فهل هو كذلك ... ؟!

ولئن راجعت بعض النصوص التى أوردناها على الصفحات القليلة الماضية ... لوجدت أيضاً ثقة مفرطة مثل ... « لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم » ...! من أين أتى إبليس اللعين ... بالثقة التى تدفعه لأن يقول ما قال ... ؟! وخاصة ... « لآمرنهم » ... ؟!!

ألم يكن اللعين ممَّن عُـلِّموا الكتاب وأخلصوا فى العبادة والطاعة ... واصطُفِى ... وكان لَه من المكانة والمقام والتمكين ما كان ... ؟!

أوتعتقد أن علوم الكتاب التى تعلّمها - وبلغ بها .. أن صار لها مُعَلِّماً - ... لم يكن بها شريعة من الله للمكلّفين - والذى كان واحداً منهم - وإخبار بالممات والبعث والثواب والعقابِ والجنة والنار ... ؟! ... ولقد رأينا بعضاً من ذلك حين مناقشة ... « إلى يوم يبعثون » ...

ألا تعتقد أن ساكنى الأرض القدامى - من الجن - قد أتى لهم ولو بعض بصيص من ذكرٍ - وكإنباء غيب - عما سيكون الأمر عليه ... فى يوم ما ... وفى زمان ما ... فى العلوم وفى الكتب التى درسها إبليس اللعين وكان لها مُدَرِّساً ... ؟!

هل تعتقد أن ذكر الشيطان الرجيم قد خلت منه سطور الكتب السماوية التى لا نعرفها ... ؟! ... لا ... فتلك سُنَّة الله ... والتى لن نجد لها أبداً تحويلاً ... أو تبديلاً ...

---

(١) ، (٢) : النساء من ١١٩ .

فلابد - والله أعلم وأحكم -وأن سطور الكتب والعلوم التى دَرَسَها ودرَّسَها إبليس اللعين ... قد تضمنت أن هناك المتمرد الشرير والذى يصير ساقطاً من النعمة إلى الهاوية ... والذى سيُكمل مسيرة الإضلال الحاقد إلى النهاية ...

ولكن ... لربما أنه وبعد انفلات نفس إبليس فى الموقف الفاصل ... أدرك أنه هو ذاك الساقط من النعمة إلى الهاوية ، والذى تضمنته سطور الكتب والعلوم ... وأدرك أنه - بسماح من الله تعالى - ولإتمام الإبتلاء والإختبار الصعب للخليفة ، فإن الله تعالى سيترك له بعض إمكانات وقدرات ، لتساعده على إتمام المهمة ...!!

... وإلا ... فما هو مصدر العلم اليقينىً والثقة المفرطة اللذين تكلّم بهما فى حضرة الله تعالى ... كما رأيناً ... ؟! وإن لم يكن الأمر كذلك ... لكانت قد حملت لنا سطور أى كتاب سماوى ... ثمة نفى من الله تعالى لذلك ... فى صورة أنه ليس لديك يا أيها الساقط أية إمكانات لإتمام ما تقول ...!!

ولكن لم يتم نفى هذا الوعيد ... بل استثناء من الله تعالى ... فى صورة ... « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ... إلا من اتبعك من الغاوين** » ، وبما يحمل أن لديه القدرة والإمكانية - بسماح من الله تعالى - على إضلال الغاوين ، أى الذين تحمل نفوسهم مرض حب الضلالة والميول الإبليسية فى كوامن ذاتها ...

إذن فما يجب أن تدركه يقيناً هو أن عدوك مُسلّح بما لا يعلمه إلا الله ، وأن مَنْ مكّنه مما هو فيه ... هو الله ... وبدليل لو نزع الله تعالى عنه جنده وأتباعه ومكامن قوته ... لصار بلا أدنى أثر ... وبنفس المنطق لا قدرة لك على مقاومة إبليس اللعين وما معه ... إلا بالله وما يُسلّحك به الله ... لماذا ؟! ... لأن تمكين إبليس ليس بقوة أو بقدرة تلقائية منه ... ولكن كان تسليحه وتمكينه من الله ... ولذلك لا يُوقف ذلك ويدحضه تماماً إلا سلاح أيضاً من الله تعالى ... وهذا هو منطق « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان** » ... فعباد الرحمن

تسلُحوا بالرحمن جل شأنه ... لأنهم تحققوا من ذُلُهم لعزته وفقرهم لغناه وضعفهم لقوته وعجزهم لقدرته وضآلتهم لجبروته وقهروته وكبريائه... فحقَّق لهم الرحمن - تبارك اسمه - حقيق خضوع المخلوق للخالق استسلاماً واستمداداً ...

إستسلاماً منهم لمولاهم الحق واعترافاً ... واستمداداً منه للمدد الأعظم الذى لا قدرة لمخلوق على مواجهته ... وهؤلاء هم « قَهَرَة إبليس » ... « عباد الرحمن » ... فالذى سمح له - جل شأنه - أنت به الأقوى ... ومَنْ مكَّنَه ... أنت به الأمْكَن ...

... فإنْ كنتَ بالرحمن أقْوىَ وأمْكَن ... فليس لعدوك عليك سلطان ... بل هو عنك مصروف بالرحمن ... إلى من استحب العمى على الهدى ... إلى حزب الشيطان ... إلى « الغاوين » ....!



لماذا كان إبليس
منذ البداية ..؟!!

....

تبارك الرحمن ... ذو العلم القديم الأزلى الأبدى ... المحصى الجامع الواجد ... والذى أحاط بكل شئ علماً ...

....

قد يتبادر للذهن تساؤل منطقى ... وهو ... لطالما أن الله تعالى عليم محيط بكل شئ وقد أحصى علمه منذ الأزل وإلى الأبد ما ستكون عليه الأمور ... ولطالما كان يعلم مسبقاً بما سيكون من إبليس ... بدايةً ونهايةً ... لماذا أوجده إذن ...؟!!!

إنه ... ورغبة فى تناول هذا التساؤل بالبحث المنطقى ... فإننا نجد أنفسنا مضطرين لأن نتساءل بشكل أكثر عمومية ... - وهو - ... لطالما أن الله تعالى يعلم كل شئ أزلاً قبل أن يكون ... فلماذا قد أوجد مثلاً المفسدين من الإنس والجن - وغيرهم ممن لا نعلم وهو بهم أعلم - ... لماذا أوجدهم لطالما قد أحاط علمه القديم بما سيكونون عليه ...؟!

... وإبليس اللعين ... قد علم الله تعالى ما سيكون منه جملة وتفصيلاً ... وبالرغم من ذلك أوجده ... وحين كان مُكَلَّفاً ... واجتهد وأطاع ... اصطفاه من بنى جنسه كما ذكرنا ... وفضَّله وكرَّمه وأعلى مكانته ... الخ ...

فكيف أن الله تعالى يعلم أن إبليس سيكون للعصاة رمزاً وإماماً ... وبالرغم من ذلك ... وحين كان تسلسل الأحداث غير شاهد ولا معاصر لموقف السقوط ... - لأنه لم يحدث فى عالم الظهور بعد - وكان إبليس مازال يمارس الطاعة والعبادة فى أعلى صورها ... كان له من المكانة ما كان ...

كيف أن الله تعالى - ولأنه يعلم - لا يمنع الحدث قبل ظهوره ... خاصة إذا كان هذا الظهور سيكون على ذلك النحو ...؟!!

... إن ذلك وغيره عديد ... ولنراجع القصة بشكل آخر ...!

... وقبل أن يخلق الله تعالى جميع الخلق ...

هل يمكنك تخيل الأمر ...؟! ... نعم ... لقد كان الله وحده ... ولا شئ ولا أحد غيره ... ثمة تساؤل منطقى آخر ... وهو ... أليس علم الله قديماً ... ... بلى ... إن علم الله قديم ... ولطالما قلنا « الله » ... إذن فعلم الله مع الله أزلاً وهو غير محدث ، أى لم يكن معدوماً ثم تواجد ... وكذلك كل ما يخص الله تعالى ... قدرته ... رحمته ... غناه ... مجده ... كل ما يخص الله هو قديم قدم الله جل شأنه ...

إذن وعودة لحديثنا عن علم الله ... فإن جميع خلق الله لم يطرأوا كحدث مُقْحَم أو جديد على علم الله ... ولكن منذ الأزل كانوا هم فى علم الله القديم ... وكل ما حدث أن إرادة الله جل شأنه أظهرت للوجود ما كان فى مكنون العلم القديم ... وبالتالى أخذت المخلوقات فرصتها فى الظهور وفى الأداء الحياتى الذى ظهرت فيه وكما أعدّت له .

والمخلوق هو الذى يحيا فى وجودات مختلفة التأثير عليه من حيث إدراكه وقدرته التفاعلية معها ... طبقاً لماهيتها ...

فوجوده فى مكنون العلم ... - والله تعالى أحكم وأعلم - لربما هو ما يمكن أن نطلق عليه « الوجود فى عالم الشيئية » ... والذى أشار إليه ربنا فى القرآن العظيم بقوله ... « **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** » [(١)] وكذلك « ... **إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** » [(٢)] ...

ولاحظ تساوى المقصود - والله تعالى أحكم وأعلم - بين « أمره » و « قولنا » ففى الأولى بيان أن « كن » ... هى صيغة الأمر الذى يأمر به الله تعالى الشئ فيكون ... وفى الثانية ... بيان أن قوله الآمر للشئ المراد هو « كن » ... فيكون ... وهما يحملان نفس المضمون ...

---

(١) يس : ٨٢ (٢) النحل : ٤٠ .

ولله تعالى المثل الأعلى ...

كأن أقول لك ... لقد نهيت ابنى عن تضييع وقته هباءً ...

أو أقول لك ... لقد قلت لابنى لا تُضَيِّعْ وقتك هباءً ...

فالجملتان تحملان نفس المضمون ... وإن كانت الأولى تحمل مُسَمَّى المراد ... وهو « النهى » والثانية تحمل « قَولِى حين أريد النهى » ...ولكن لو راجعت الآيتين الشريفتين ... لوجدت أن هناك أمراً يصدر لـ « شئ » بأن يكون فيكون ... إذن فقبل أن يكون وكما يريده الأمر ... كان موجوداً وجوداً مُعَيناً مُسَمَّاه « شئ » ... بدليل ... « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له ... » ... أى أن هذا « الشئ » هو الذى يأمره الله تعالى بأن يكون ... فيكون ...

... إذن فهو أمر صادر للشئ فى العلم المكنون بأن يظهر فى الوجود المراد ظهوره فيه ، وبالكيفية وعلى النحو اللذين تُحدِّدهما المرادات الإلهية ...

وكأنما الشئ موجود أصلاً فى عالم العلم المكنون - إن جاز التعبير - وبالأمر الإلهى كُن يظهر حيث وكيف ومتى أراد صاحب الأمر جل شأنه ...

وإن جاز التعبير فجميع عوالمنا المخلوقة - إذن - هى « مثال » ... أو قل ... « صورة » ... مما كانت عليه من قبل فى العلم المكنون القديم ... - والله تعالى أحكم وأعلم - ... وخرجت « وكانت » بالأمر الأعظم « كن » ... آخذةً من الله تعالى الهيئة الإخراجية النهائية التى تناسب حكمة ظهورها ... وطبقاً لما أُخرجَتْ من أجله ...

وظهورها بالأمر « كن » إنما يُعتبر حدثاً جديداً بالنسبة للعالم الذى ستظهر به ، ويعتبر أيضاً انتقالها لما صارت عليه ... أى من حال إلى حال ... أو من العلم إلى عالم المثال ... يعتبر هذا الإنتقال جديداً على المخلوق ذاته ... إذ أن ذلك بمثابة أول ظهور له على هذا النحو بعالم المثال ...

ولتبسيط هذا المضمون ... فإن ميلاد شخص ما فى مكان ما وزمان ما ... إنما يعتبر حدثاً جديداً على هذا العالم بأكمله ... أو على عالم المثال ... حيث

أن هذا الشخص لم يكن موجوداً بالحياة الدنيا قبل لحظة ميلاده ... إذن فمجرد ميلاده إنما هو حدث له فى هذا العالم ... وكذلك ... فإن هذا المولود ... قد أصبح فى حال جديدة لم يكن فيها من قبل ... فهو إذن قد انتقل من حال إلى أخرى ... وهذه الحال الجديدة - وجوده فى هذا العالم - هى حدوث عليه ، أو حال جديدة طرأت عليه لم يكن موجوداً فيها من قبل ... وجميع هذه الحوادث لم تكن بجديدة على العلم الإلهى ... بل هى قديمة ... وكائنة فيه أزلاً ... وحين أراد الله تعالى لها الحدوث ، قال لها « كونى » ... « فكانت » ...

وعودة ... لمتابعة حدث ميلاد الشخص ... فإن الله تعالى قد أحاط به علماً منذ الأزل وكل ما سيحدث عليه من أحوال متمثلة فى الإنتقال من كينونة لأخرى ... وكذلك وعلى الصعيد الأدائىّ فى الحياة الدنيا ... لم تكن أفعال هذا الشخص بجديدة على العلم الإلهى ، ولا دعاؤه حين تأزمت به الأمور ... ولا استجابة الله تعالى له ... ولا عصيانه بعد ذلك ... وتركه أمر دينه وتكالبه على الدنيا ... ولا مستقره بعد الدنيا فى الدار الآخرة ... كل هذا كان مستقراً منذ الأزل بمكنون العلم الإلهى الأزلى الأبدى القديم ... وكذلك جميع المخلوقات وما تأتى به من أفعال وحتى مستقرها النهائى فى دار الخلود ... وما ستؤول إليه من حال ... .. « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير »[1] .

ولكن ... هل أكره علم الله كائناً على فعل ما استقر فى العلم منذ القدم ... ؟؟!... لا ... فهو علم إحاطة وليس علم إجبار تسييرىّ ... ولأن صاحبه هو علاّم الغيوب ... فإن ما استقر فيه هو ما سيحدث ولا غيره ... وهى طلاقة إحاطة علم العليم الحكيم جل شأنه[2] ...

(١) سورة الحديد الآية : ٢٢ .
(٢) يمكنك مراجعة ذلك تفصيلاً ، فى إصدارنا الثالث من سلسلة رسائل آخر الزمان ، العائدون إلى الله ، قراءة فى سر الأسرار لإجابة ما هو صعب الإجابة ... !!

بل لو أردنا تأمل الأمور بمزيد من الدقة ... لقلنا ...

إن علم الله القديم ... إنما أحاط بكل شئ ولم يغادر صغيرة ولا كبيرة من قبل أن تظهر جميع العوالم وجميع المخلوقات إلا وأحصاها ... وكان فيه مسطور ...أن الكائن المسمى « عزازيل » سيكون من الطائعين العابدين وممن يتلقون هبات العلم الإلهى ... وسيحظى بمكانة رئاسية عالية ... وسيكون مكانه بين صفوف الملائكة ... الخ .

... وأنه حين خَلْق آدم ... وحين إصدار الأمر الإلهى بالسجود ... سيحدث جميع ما حدث ... الخ .

... إن مرارة الحدث أو حلاوته ... إنما هى أمر نسبى بالنسبة لنا نحن المخلوقات ...!

وبدليل أنه بالرغم من علم الله تعالى المسبق بما سيكون عليه حال إبليس النهائى ... لم يوقف ذلك له عند الله أجر طاعة أو تقرب عبادة ... أو رفض دعاء ... الخ ...

لا ... بل إن كل ما فى العلم القديم يجرى فى حينه ... والله تعالى لا يرفضه بداية لأنه عليم بنهايته ... لا ... فكل مخلوق يأخذ فرصته كاملة غير منقوصة حتى لا يدعى وقت الحساب ... أنه لم يأخذ فرصته ... ولئن أخذها لما كان هذا مستقره النهائى ...!!

ولتوضيح ذلك ...وبافتراض أن الله تعالى بمكنون علمه القديم ... علم أن إبليس اللعين سيكون منه ما كان ... فلم يظهره إخراجاً فى عالم المخلوقات ... وأتى به يوم القيامة ... ليضعه فى النار ... ماذا تعتقد أن مثل إبليس أو غيره كان سيقول ؟!

أعتقده كان سيهتف وكأنه فى مظاهرة ... يارب ... إنك وإن كنتَ تفعل بى هذا لعلمك القديم الأزلى الأبدى ... ولأنك عالم الغيب والشهادة ... الحكيم العليم ... فأنت أيضاً المقسط العدل ... أنت يارب الحق ... ومن

منطق الحق والعدل فأنا لم آخذ فرصتى كاملة حتى أستحق ما أنا فيه ... فلأنك خالق بارئ مصور... كان يمكنك خلقى وتصويرى وإظهارى فى هذا العالم ... وأنت علىَّ الرقيب والمحصى ولجميع ما كنتُ سأفعل ...!

... أتعذبنى بسبب علمك وإحاطتك ... وأنت لم تُكَلِّفنى بشئ ... وكان منِّى ما يُبرِّر ما صرتُ فيه ...؟!!

... ولطالما كُنتُ أنا فى العلم المكنون القديم الأزلى الأبدى ... فإن كل ما يحصيه علمك ويحيط به لما سيكون عليه أمرى وشأنى حتى النهاية أنا أتبرأ منه ... لأننى لم أفعله ... فأخرجنى وأظهرنى فى عالم المخلوقات ... وانظر لتعلم ماذا أنا فاعل ...!!! وحاسبنى على فعلى الذى فعلت ... والذى لا يمكننى أن أتبرأ منه لأننى سأكون صاحبه لا محالة ...!

إن هذا السلوك أو الحوار الإفتراضى ... إنما هو سبب ظهور جميع العوالم والمخلوقات وخروجها من حيِّز العلم المكنون ... والله تعالى أحكم وأعلم ...

ولأن مثل ذلك المفترض قوله ..إنما يمثل حجة سيحاول جميع الخلق التمسك بها ... ويقيناً أن هذا محض عدل من الله تعالى ، أن يُظهر جميع خلقه بصرف النظر عما استقر عنهم جملة وتفصيلاً فى مكنون علمه القديم من طاعة وإيمان ... أو عصيان وكفران ... وسبحان الله العظيم الحليم الصبور ...

خلق ما خلق ... وهو يعلم تمام العلم بما ستكون عليه الأمور ... فقد خلق البلاد التى سيعمرها الأبرار جنباً إلى جنب مع ما ستكون سُكنى للفُجَّار ... وعلم أزلاً أن هؤلاء سيُجيبون رسلهم ... وأن الآخرين لن يجيبوا الرسل ... بل إياهم سيُكَذِّبون ويُقَتِّلون ... وبالرغم من هذا ... أوجدهم ... !!!

... وما أخَّر هذا عند الله تعالى - وحاشاه - موعداً ... بل أرسل وذكَّر ... وخوَّف ... وبشَّر ... ورزق وقَدَّر ... وأمْهَل وأخَّر ...

ولو أن علم الله يحول دون ظهور المخالفين لمراد الله ... فى صورة عدم إخراج فى حيز الوجود للقرية الظالم أهلها والتى لن تستجيب لرسلها ... وستستهزئ بآيات الله ، والتي سيُخْسَف بها ... وكذلك عدم إخراج الكفرة والعصاة ... لكان الخارجون لحيِّز العوالم فقط هم الأبرار والصدِّيقون والنبيون ... ومن باب أولى لاكتفى الله تعالى فقط بخلق الملائكة المسبحين الذاكرين الطائعين ... الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ...

ولكن عوالم المكلَّفين من الإنس والجن ... هى عوالم مُكَلَّفة بطاعة الله ... ولديهم القدرة على الطاعة والمعصية وهم ليسوا أهل تسيير ... بل هم مُخيَّرون فى إخراج وإظهار أفعالهم وممارسة سلوكهم ... أى مُخيَّرون فى الطاعة أو المعصية ، ولذلك فهم أهل محاسبة ، وحساب الإنسان أبلغ من حساب الجن ... لأن الإنسان خليفة لله تعالى فى أرضه ... والجن ليسوا كذلك ... وإن كان منهم كالإنسان تماماً أهل تقوى وطاعة ... وأهل توحيد ... وأهل تثليث ... وأهل إلحاد ... وأهل فاحشة ... الخ ...

إن العوالم المكلَّفة ... عوالم الإنس والجن ... هم أهل الرسالات والنبيين والرسل ... وأهل التذكير ... وأهل الطاعة وأهل المعصية ...

فالكون كله بخلافهم ... فى تناغم واستقرار وتسبيح لخالقه ... ولا شئ سوى ذكر الله وتمجيده والثناء عليه بما هو أهل له جل شأنه ...

ولكن ...

الجبل مثلاً لم يأخذ فرصة الطاعة أو المعصية ... فعصى ... أو التزم وأصَرَّ أن يكون طائعاً ... وظل يجاهد حتى ينتصر على نفسه التى تُسوِّل له فعل السوء ...!

وكذلك الملاك ... وكذلك الهواء ... وكذلك البحار... وكذلك النبات ... وكذلك كل شئ ... إلا الثقلين ... الإنس والجن ... هما الجنسان

الوحيدان اللذان خرجا لعالم الظهور بطبيعة تحتمل أداء الصواب وأداء الخطأ ... لذلك ففى الأمر مجاهدة ضخمة ... أما باقى المخلوقات ... فطائعة ... ولا شئ سوى الطاعة ... لأنه ليس فى نفوس العاقل منها شهوات ...!

إذن فأبرز ما فى هذا الوجود المتناغم والذى ما فيه من شئ إلا ويسبح بحمد الخالق المعبود ... هم عازفو النغمات النشاز ... والخارجون عن النص ... بل عن كل النصوص ....!

ولعل طبيعة النفوس ذات القدرة على الإشتهاء والرغبة فى الإشباع هى سبب شقاء الثقلين .. الإنس والجن ... فهم لم يخترعوا الشهوات لأنفسهم اختراعاً ... لا ... بل الله تعالى خالقهم وخالقها ... وهذا هو مَكْمنَ أداء الصواب أو الخطأ ... أو منطق الطاعة والمعصية ...

إذن فالعارف ربه - بفضل الله - بالمجاهدة والصبر وبترويض النفس ... هو مَنْ تَحمَّل الصعاب الجسام للوصول لربه الله الرحمن ...

هل يستويان ... ؟! هو ومن خُلِقَ بلا شهوات ... وفقط للعبادة والطاعة ...؟! كالملاك مثلاً ....!!!

إننا لا نقلِّل من شأن أهل الطاعة المفطورين عليها ... وحنانَ اللهِ أن نكون من الجاهلين ... فهم أهل الصفوة الأبرار ... سلام الله عليهم ونعمته .. فى كل حين ...

ولكن ... إننا بفضل الله - جل شأنه وعظمت حكمته - كُنَّا أهل الوصول إليه عن طريق المجاهدة فى عوالم وطرق المكاره ... ومن خلال قنابل الشهوات الموقوتة والتى تحملها كل نفس بين جنبيها ... ومن خلال معايشة العالم المستَفِز حتى لذوى الشهوات العاطلة ... !!!!

إنه عالم الإبتلاء ...

وليّتلطّف الله بنا فيما قدّر ...

إذن لقد كان ظهورنا وخروجنا لهذه العوالم ضرورة مُلِحّة من منظورنا نحن ، حتى نُحقّق الطريق .. وكلٌ بشاكلته ...

حتى نُحقّق أفعالنا التى سُطِرت بمكنون العلم القديم ... وحتى تظهر فى عالم الأداءات والأفعال ...

وبعد استيفاء الكتاب أجله ... وبلوغنا غاية الأجل ... تكون لحظة الإنسحاب من هذا العالم والدخول فى عالم الإنتظار .. أو العالم البرزخىّ ... إنتظاراً للفصل الأخير .. وقبل أن يُسْدَلَ على الأمر الستار .. وتستقر الأمور ...

ولحظة الحساب ... لن يشهد عليك بما فعلت ... علم الله القديم ... لا ... فإن حولك الكرام الكاتبين ... « إذ يتلقّى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد .. »[1] ..إذن لقد سُطِرتْ لك فى كتابك كل أقوالك وأفعالك ... « إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا .. »[2] ... « فأمّا مَنْ أُوتى كتابه بيمينه ، فسوف يُحاسَب حساباً يسيرا . »[3] « وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوتَ كتابيه .. »[4] .. « وأما من أوتى كتابه وراء ظهره ، فسوف يدعو ثبورا .. » [5] .. « اليومَ نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون »[6] .

(١) ق : ١٧ ، ١٨ . (٢) الإسراء : ١٤ . (٣) الإنشقاق : ٧
(٤) الحاقة : ٢٥ (٥) الإنشقاق : ١٠ . (٦) يس : ٦٥ .

لقد حُسمت الأمور جميعها ... إذ كُـلِّـفَ بك وكذلك بنى الجن ملكان كريمان يكتبان أفعالك .. ولكن عالم الجن وبالرغم من خفائهم لا يرون هذين الملكين كمثلنا تماماً ... !

وفى وقت الحسم تكون المواجهة ... « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد »[1] . كل نفس من نفوس المكلَّفين .. بنى الإنسان وبنى الجان ... واقرأ أنت بنفسك كتابك وهو عليك خير شهيد ... وإمعاناً فى الشهادة .. يُنْطِق الله جوارحك .. فتشهد عليك بما فعلت بها ... !

أترى أن ذلك سيختلف مثقال ذرة عما كان فى علم الله الأزلى الأبدى المكنون .. ؟ لا .. ولكنه هو العدل الحق جل شأنه ... أعطاك فرصتك كاملة ... والفرصة المعطاة أصلاً هى محض فيض رحمانى تفضل به وجاد على من اختار واصطفى من المخلوقات ... أى على أهل التكليف ...

لقد كان عزازيل من المكلَّفين ... فسقط وصار مريداً عاصياً .. بل وأصبح هو رأس ورمز التمرُّد والمعصية ... وما ظلمه الله شيئاً ... بل سوَّلت له نفسه ما كان منه ... فأصبح فيما هو فيه ... ولن يستطيع أن يزعم أمام الله تعالى شيئاً يوم الفصل ...!

ولو أن الله تعالى قد أطاح بالساقط اللعين فور سقوطه ... لحُرِم جميع المكلَّفين من البشر ... من أعظم ابتلاء ... وهو الإبتلاء بالشيطان الرجيم الذى يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم .. فقد استبقى الله تعالى عدوناً حياً ولم يُطح به ، لأنه عدو لله كما أنه عدو لعباد الله ... ولذلك فنحن والله تعالى ذوو عدو مشترك .. وإن كان الله معنا ... فمن ذا الذى يكون علينا ... ؟ !!

فإن كان الإبتلاء بإبليس اللعين ... هو ابتلاء بحرب لا تنتهى حتى يوم الوقت المعلوم ... بين حزب الله وحزب الشيطان ... فيكفينا فخراً أننا أعضاء

---

(١) ق : ٢١ .

فى حزب الله ... « ألا إن حزب الله هم المفلحون »[1].. دنيا وآخرة .. « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »[2] ... وضد من هى الحرب ؟!! ضد حزب الشيطان ... « ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون »[3] ...

ولاحظ ... « إنا لننصر » ... إن المتكلم هو ربُّ العزَّة جل شأنه ... ومَن ينصره الله .. فلا غالب له أبداً ... وقد ذكر « والذين آمنوا » حتى لا يتخيَّل الناس أن زمن نصرة الله قد انتهى بنهاية عصور الرسالات والأنبياء ...

وسبحان الله ... لو أن ربنا تعالى قد أطاح بإبليس حين سقوطه ... لما كان هناك حزبا الرحمن .. والشيطان ... ولك أن تتخيل كمّ الرحمات من كل نوع .. والتى تتدفق على عباد الرحمن لنصرتهم فى مواجهة حزب الشيطان ... منذ لحظة البشرية الأولى وحتى النهاية ... وكأنما الشيطان الرجيم ... والإبقاء عليه فى ملكوت الله تعالى ، إنما هو بمثابة إشعال للهيب الإبتلاءات ، وبالتالى استحقاق المبتلين لعظيم فيوضات الرحمن ورحماته ...

تماماً – مع الفارق – كحين يُسلِّط عليك الرحمن جندياً مُسيَّراً من جنود مشيئته .. ميكروباً ما ... فتمرض ... فتكون فى ابتلاء ومحنة .. وتكون فى كنف الله ... بخصوصية عن ذى قبل وعن ذى بَعْد ... وبفيض رحماته يحتويك ، ولصوتك يكون أسمع ... ولدعائك أجوب ... ولنفسك أقرب ... وفى حديث سيدنا رسول الله ﷺ .. « مَنْ عاد – أى زار – مريضاً لم يزل يخوض فى الرحمة حتى يجلس ، فإذا جلس اغتمس فيها »[4] .. أى غمرته بلاحساب ...

---

(١) المجادلة : ٢٢ . (٢) غافر : ٥١ . (٣) المجادلة : ١٩ .
(٤) رواه مالك وأحمد ، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ...

وكذلك ... « ما مِنْ مُسْلم يعود مُسْلماً – أى يزوره فى مرضه – إلا ابتعث الله إليه سبعين ألف ملك يُصلّون عليه – أى يستغفرون له ويطلبون له الرحمة – فى أى ساعات النهار حتى يُمسى ، وفى أى ساعات الليل حتى يُصبح .. »[1] .

ويوم القيامة يقول رب العزة جل شأنه مُعاتباً المقصّرين عن عيادة وزيارة من سلّط عليه المرض ... فيقول لمن يُعاتبهم من عباده .. « **.. يا ابن آدم مرضت – أى مرضَ هو تعالى – فلم تعدنى ... قال – أى العبد – يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين ... قال : أما علمتَ أن عبدى فلاناً مرضَ فلم تعده .. أما علمتَ أنك لو عدتَهُ لوجدتنى عنده .. »[2] ...**

سبحان الله ... يبتلى الله العبد بميكروب يُمرضه ... ويصف نفسه وذاته العليّة جل شأنه ... وكأنما هو الذى مرض ...

إذن فالأمر على هذا النحو ... إنما هو فيض محبة ورحمة ووُدّ من الرحمن الرحيم لخلفائه المكرمين .. بنى آدم ...

أهكذا يصف الله العظيم نفسه بما لا يُمكن أن يجرى عليه ... وحاشا ... فلا يمكن أن يجرى عليه المرض أبداً ... فهو خالقه ...

ألا تلاحظ أن مجرد ابتلاء العبد بميكروب أو بفيروس ... يبتليه به ربه ... إنما يُحدث ارتباكاً غير عادى فى السماوات والأرض ... أإذا زرت مريضاً تفرّغ لك سبعون ألف ملك يُصلّون عليك ... فما بالك بالمريض نفسه .. كم تُرى من الملائكة يحفونه .. ؟!!! وكم من الرحمات تغمره .. ومن الود الرحمانى ... !!!!

---

(١) رواه الحاكم والترمذى ، عن سيدنا على .. رضى الله عنهم جميعاً ...
(٢) أخرجه مسلم عن أبى هريرة ... رضى الله عنهما ...

فإذا كان ذلك هو فعل الله تعالى والملأ الأعلى بالمبتلى بميكروب ... فما بالك بالمبتلى بالميكروب الأعظم .. إبليس ... !

إن كان الميكروب وغيره ممن يُعتبرون جنود مشيئة الله تعالى المسلَّطين على جسد ابن آدم ومتى أمروا نفَّذوا ... فإن الشياطين الرجيمة هي المسلَّط على نفس ابن آدم ، وإن كان الميكروب البسيط والإبتلاء الجسدي ... هما المُسْتَنْزِل لعظيم فضل ورحمات الرحمن الرحيم بلا حساب على المبتلَى بهما ... فأعتقدك لن تستطيع تخيُّل هول وعظيم الإشراقات والإمدادات الرحمانية والودوية على المبتلى بالشيطان الرجيم ... وهو كل ابن آدم ... ولكن ثمة اختلاف بسيط ... وهو أن المبتلَى بالمرض .. إنما يدرك يقيناً أن بجسده علَّة ... فيبدأ في الأخذ بالأسباب العلاجية المختلفة مستعيناً بالله طالباً عفوه ومعافاته ورحماته ...

لكن ذلك المبتلي بالمرض العضوي .. هو نفسه .. لا يدرك أنه مصاب بالميكروب الشيطاني .. بل ولا يعطيه أدنى التفات ... فلا يُحَرك فيه ساكناً ... بل ويجاري الحياة ، وقد أدمن الشيطان وبثه وهو لا يدري ... وبالتالي لا يتحرك قلبه ولا لسانه طالباً عون الله ومدده ونصرته ..

تُرى ... من المخطئ ... ؟!

الشيطان الذي لا يظهر بالأشعات التليفزيونية وبالفحوصات المعملية ، أم الإنسان الغافل الذي نبهه ربه إلى أن هذا الميكروب اللعين سيظل يطارده حتى النهاية ... بينما غفل هو عن ذلك بل واستخفَّ بكل مَنْ حاول تذكيره ... !!!

وبالرغم من الغفلة ... التي تدع للشيطان مساحة أداءات غير مُقيَّدة ... وبالرغم من إدمانك لِبثِّه وأنت لا تدري ... فإن الله تعالى يدافع عن الذين

آمنوا ، ويدفع عنك عظيم الأذى دون أن تطلب ... لأنك من عباد الرحمن المؤمنين ....

ولكن .. لن تكون الإبتلاءات والحروب ذات معنى بليغ وأنت غافل عنها وخارج ميدان القتال ظاهرياً ... بينما أنت تُحارَبْ ... من عدوك الشيطان ... !



مُنَوَّعَات إبليسِيَّة

بِمُنَاسَبَة قُرْب نِهَاية المُهْلَة ..!

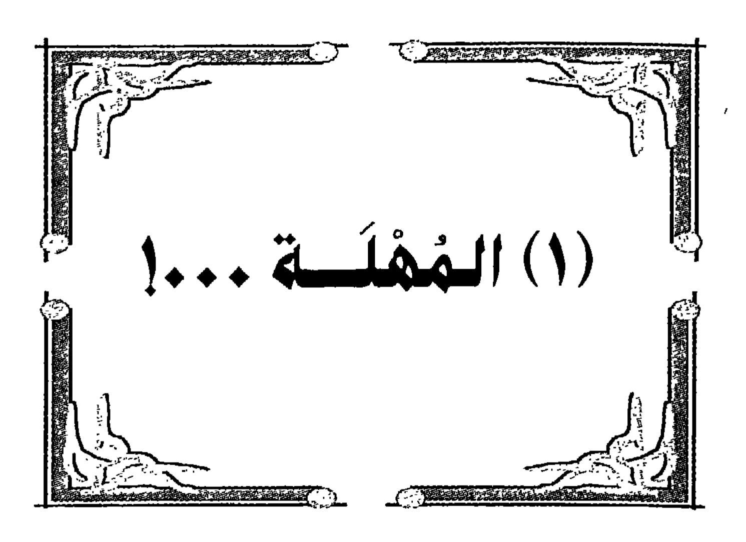
(١) المُهْلَة ... !

(٢) شُبُهات المتأبلسين ... لرفع خطيئة العصيان عن اللعين ... !

(٣) مُوحِّدُون .... مُشْرِكُون .. !

(٤) تدريس الشهوات ... وتَعْرِيَة السوءات وسياسة التجفيف ... !

(٥) ذراع الشيطان اليهودية ... وراء كل مصائب الكرة الأرضية .. !!!!



(١) المُهْلَــة ...!

....

.. « قال ربِّ فانظرنى إلى يوم يُبعثون » ..

.. « قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم » ..

....

.. كما رأينا لقد طلب اللعين الإنظار أو الإمهال من ربِّ العالمين .. مُحدِّداً نهاية ذلك الإمهال .. إلى يوم البعث .. أو يوم يقوم الناس لرب العالمين .... ومما يعنى أن يُعايش ويُعاصر جميع الأزمنة والأحقاب والأجيال من لحظة خلق آدم وحتى نهاية ذريته كاملة ....

ولئن أمعنتَ النظر فى هذا الطلب العجيب .. لأدركت أن إبليس اللعين يريد عُمْراً خاصاً به ذا طبيعة غريبة ... فزمن خلقه قد تقدَّم على خلق آدم .. من منظور إخراجىّ فى هذه الحياة الدنيا ، ولأن الجن عموماً أقدم إخراجاً للحياة من البشر ... إذن فكون هذا اللعين قد سبق آدم - والبشر عموماً - عُمْرياً بالمساحة الزمنية الواقعة بين لحظة إخراجه كخلق تام وبين لحظة إخراج آدم - أيضاً - كخلق تام فى نفس الحياة .. فإن ذلك يعنى تقدُّم إبليس عُمرياً على عُمر جميع أجيال البشر بهذا الفارق . وبناءً على طلبه للإمهال يكون معنى ذلك ... إضافة المهلة المسموح بها والمستفادة من الحوار السابق ... إلى عمره المتقدم قبل خلق وإخراج آدم للحياة ... ويكون الناتج هو إجمالى عمره ...

وبناءً على طلبه ، فإن إجمالى عمره المقترح

= عمره منذ لحظة إخراجه للحياة وحتى إخراج آدم + عمر البشرية بأكملها + الفارق الزمنى بين فناء جميع المخلوقات وبين بعثها أو قيامتها

ولاحظ أنه .. وبعد فناء المخلوقات جميعها .. لا يكون إلا الخالق جل شأنه والجميع - جميع المخلوقات - يكونون فى مرحلية انتظار البعث والقيام لرب العالمين .

إن الشيء الجدير بالتأمل العميق فعلاً ... هو أنه وبعد فناء الخلائق ... لن يعود هناك مكان ما لأن يمارس فيه الشيطان الرجيم أى أداء من أداءاته المعهودة ... لا مع الإنس ولا مع الجن ... فليس هناك ثمة مخلوق ... !

فما الذى سيستفيده الرجيم من كونه حياً خلال هذه الفترة ... ؟!

ولاحظ أنه - بناءً على طلبه وخطته - لن يكون سوى الله الخالق الحى الذى لا يموت ... وهذا اللعين ...

ماذا تُراه سيفعل فى هذه المرحلة .. إذا أخذ بها موافقة من الله تعالى .. ؟! خاصةً وأن هذه الفترة الإنتقالية ما بين الفناء التام للمخلوقات والبعث .. إنما ستشهد تغيرات كاملة على كل شيء ... وعلى الأرض والسماوات ... إستعداداً لمواكبة المرحلة التالية .. والتى تبدأ بالقيامة ... ثم الحساب .. ثم الإستقرار فى الدار الآخرة ... فى حين أن دور هذا العاصى المتمرد .. إنما كان منحصراً فى تحويل خلق الله عن الطريق المستقيم إلى طريق المعصية والتمرد ... أو .. قل ... تحويلهم مثله إلى عُصاة مُتمردين ... ليقف بهم أمام الله - تعالى - فى النهاية لحظة العرض والحساب .. قائلاً ... هاهم خلقك يارب ... ليسوا بأفضل منى حالاً ... وأنظر لتأكيد ذلك .. « **قال أرأيتكَ هذا الذى كرَّمتَ علىَّ لئِنْ أخَّرتَنِ إلى يوم القيامة لأحتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إلا قليلاً** »[1] .

.. « **أرأيتكَ هذا** » ... بمعنى « **سأُريك** » هذا المخلوق الذى فضلتَه علىَّ ... لو أخَّرتَ أجلى ليوم القيامة ... لأستأصلنَّه من جميع طرق الخيرات بالغواية ... ، وكأنما الحوار ضمناً يشمل ما لم يُصَرِّح به ، مثل ... « **حييقى إيه الحال بقى .. ؟!!!** » ، وهو منطق تبجُّح من البداية للنهاية كما نرى .

(١) الإسراء : ٦٢ .

لكننا مرة أخرى .. نقول .. إن هذا الذى يطلبه إبليس اللعين غير متناسق منطقياً مع بعضه البعض ... لأن المهلة الزمنية المطلوبة أكبر من الغرض المحدَّد ... ولأن الفترة - كما قلنا - ما بين فناء المخلوقات جميعاً وبين البعث ليست بفترة بث اللعين لسمومه وإغواء الخلق ... لأنه ليس ثمه خلق ... إذن فالفترة أطول من المُخطَّط تأديته ... أو لنقُلْ أن الفترة المرحلية ما بين نفختى الصعق والقيام ... إنما هى مساحة زمنية زائدة عن احتياجات خطة إبليس ... فما هى حقيقة الموضوع تحديداً ؟!!

وما هي ضرورة احتياج اللعين لها .. ؟! خاصةً وأنه خلالها سيكون مُجرَّداً من جميع أعوانه وجنوده وإمكاناته فلا مخلوق لحظتها ... !

إذن سيكون وحيداً ... فما هى حقيقة استفادته بكونه وحيداً فى هذه الفترة الزمنية ... ؟!

ولقد ذهب فريق من المفسرين فى تفسير قول الله تعالى .. « **فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم** » إلى أنه يوم الصعق أو فناء المخلوقات بنفخة الصعق ... وبمعنى أنه لم تتم الإستجابة لطلب إبليس بالبقاء ليوم البعث .. وذهب آخرون إلى أنه يوم شروق الشمس من مغربها ...

- ولاحظ أننا ندير هذا النقاش .. بغية الوصول لعدة حقائق .. تجيب العديد من الاستفسارات المثارة ... -

وما ذهب إليه المفسِّرون القائلون بهذا الرأى أو ذاك .. قد يكون صواباً ... والله تعالى أعلم وأحكم ... وقد يكون غير ذلك ... فالأمر محض اجتهاد .. فالعبرة إنما هى بالفهم الدقيق لمعنى « **يوم الوقت المعلوم** » ...

« **معلوم** » من منظور مَنْ .. ؟! .. فكل شىء لله تعالى معلوم ... ولكن من منظورنا فليس معلوماً سوى ما علَّمنا الله إياه ... جل شأنه ...

ولكن العبّرة فى تأويل « يوم الوقت المعلوم » ... إنما تكْمُن فى مُبررات الطلب .. والتى لا يعلمها إلا الله .. فالطلب أساساً مُبرره .. مهلة يُثبت فيها إبليس الرجيم أنه وإن كان قد عصى ... فقد عصى بسبب تكريم الله تعالى لمخلوق عليه ... وأن هذا الذى قد طُردَ من رحمة الله بسببه لا يستحق ... بدليل أمهلنى وسآتى لك بهذا الجنس كلّه - إلا قليلاً - وهم عصاة لك ... !!!

وبالتالى فمفهومنا لـ « يوم الوقت المعلوم » إنما يجب أن ينصبّ على المساحة الزمنية التى يمكن أن يُؤدّى فيها من إبليس ما ارتضاه الله تعالى ... وكابتلاء لعباده من بنى آدم ... وبحيث تكون نهايتها هى « يوم الوقت المعلوم » ، وبعدها لا تكون هناك فائدة من إبليس اللعين فى هذا الخصوص ... وبمعنى أن « يوم الوقت المعلوم » هذا ... إنما هو لحظة نهاية وانعدام إبتلاء الغواية للإنسان ... ولطالما أن الله تعالى مازال يقبل من ابن آدم استغفاره وتوبته عن معاصيه ... فللشيطان - إذن - بقية دور ... لإعادة إغوائه من جديد وهكذا ... ولكن حين غلق باب التوبة ... وهو كما ذكر الحديث النبوى الشريف .. بطلوع الشمس من مغربها .. وحيث لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً .. هنا فقط وفى هذه اللحظة ... سينعدم دور إبليس الرجيم ... ولأن لكل مخلوق لحظتها شأناً يغنيه ، ولأنه بغلق باب التوبة ... يكون قد أغلق على جميع صنوف الخلق الموجودين ... بمن فيهم من العُصاة ... فهؤلاء لو تابوا حين رأوا شروق الشمس من مغربها ... لا تُقبَل توبتهم .. كتوبة مَنْ حضره الموت . وقال إنى تُبتُ الآن ... فهذه كتلك .

وفى الحديث النبوى الشريف عن سيدنا رسول الله ﷺ « **إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر** » ... أى حين خروج روحه من حلقه ... وكأنما بشروق الشمس من مغربها تسرى لحظة عامة على مَنْ عاينوها ... وكأنما هى لحظة غرغرة عامة لهم جميعاً .. فمن كان على خير بفضل ربه ، فكالذى غرغر وهو مؤمن صالح ... ومن كان غير ذلك فكالذى غرغر وهو جاحد .. لا يُقبل منه أن يقول إنى تُبتُ الآن ... !

وقد قال عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ « ويبقى الناسُ بعد طلوع الشمس من مغربها عشرين ومائة سنة »[1] .

ومما قيل فى هذا الخصوص أيضاً .: أنه بامتداد أيام الدنيا بعد هذا الحدث - شروق الشمس من مغربها - وبنسيان الناس لهذه الآية المبهرة ... وبانقطاع التواتر عنه ، فإن مَنْ أسلم فى ذلك الوقت أو تاب ... قُبِل منه والله تعالى أعلم وأحكم[2] .

ومما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما .. أنه قال .. « لا يُقبل من كافرٍ عمل ولا توبة إذا أسلم حين يراها ، إلا مَنْ كان صغيراً يومئذ ، فإنه لو أسلم بعد ذلك قُبِلَ منه ، ومَنْ كان مؤمناً مذنباً فتاب من الذنب قُبِل منه .. »[3] .

ولاحظ أن الآية القرآنية الكريمة التى ربطها النبى ﷺ بحدث ظهور الشمس من مغربها هى آية .. « .. يوم يأتى بعضُ آيات ربِّك لا ينفعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت فى إيمانها خيراً .. »[4]

وعلى ذلك فإن الآية تُحدِّد صراحة أن النفس التى لم تكن آمنت من قبل هذه اللحظة لا ينفعها الإيمان .. وهو المقصود بتوبتها فى هذا الموقف ... أما النفس الأخرى المذكورة فهى النفس العاصية ... وأعتقدها تخص المفرِّطين من أهل الإيمان ... لأن نص الآية يقول « أو كسبت فى إيمانها خيراً » .. أى مع كونها مؤمنة إلا أنها لم تعمل بالمنهج الإيمانى كما يجب ... وبالتالى فهى لم تكسب بهذا الإيمان صالحات الأعمال ... تطبيقاً لما يُعلِّمنا إياه رائد مكارم الأخلاق ﷺ

(١) أورده القرطبى فى التذكرة .
(٢) أيد القرطبى هذا أيضاً فى التذكرة .
(٣) أورده القرطبى فى التذكرة .
(٤) الأنعام : من ١٥٨ .

... أن الإيمان ما وقر فى القلب وصدّقه العمل ... وبمعنى أن هذه النفس لم يؤكد عملها ما استقرَّ فيها ... وبالتالى فتوبتها فى هذه اللحظة توبة مَنْ تقاعس .. أو توبة الـمُقَصِّرين ... وعلى وجه التحديدِ .. توبة مَنْ لم يفعل بالإيمان شيئاً ... ولأن الله تعالى يقول « لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيراً » وبما يمكّننا من ملاحظة تصنيفين لفئتين مخصوصتين ...

١- لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل ...

٢- لا ينفعُ نفساً إيمانها لم تكسب فى إيمانها خيراً ...

فالأولى تخص غير المؤمنين حين معاينتهم لهذا الحدث ... لا تُقبل منهم توبة عن عدم إيمانهم بالكلية أساساً .. أما الثانية فإنها تخص المؤمنين الذين لم يفعلوا بالإيمان شيئاً ولم يكن لهم بمثابة منهج أداء حياتى ...

ولكن فئة المؤمنين الذين هم أهل إيمان حقاً وكسبوا فى إيمانهم خيراً قبل معاينة هذه اللحظة ... فأعتقدهم المقصودين فى رواية ابن عباس بأنه تُقبل منهم توبتهم عن الذنوب ... والله تعالى أعلم وأحكم ...

وبالتالى وعودةً لمحور نقاشنا الرئيسى ... وهو « يوم الوقت المعلوم » وما كُنّا بصدده من تحديد لهويَّة هذا اليوم ... لمعرفة مدى مناسبته لنهاية دور إبليس مع بنى آدم من عدمه ... فإنه ولو قبلنا ما ذهبنا إليه من تحليل ... والذى تعضده رواية ابن عباس ، فإنه وبعد شروق الشمس من مغربها سيكون هناك أهل إيمان أيضاً ... يُقبل منهم إسلامهم وإيمانهم واستغفارهم وتوبتهم .. إذن فمازال للرجيم بقية دور ... !

تُرى ... إلى متى ... ؟!

... إنه وبعد الحدث الجلل ... شروق الشمس من مغربها ... ولطالما فى عمر الزمن بقية ... وإلى أن يأذن الله بإفناء الحياة بأهلها ... ستكون هناك مساحة استيعاب زمنى لجميع أداءات أهل الحياة ... وحتى اللحظة الأخيرة ... والتى يُفنيِ فيها اللهُ الحياةَ بأهلها بنفخة الصعق المهيبة ...

وعلي هذا ... فإنه ولطالما هناك أداء حياتي وإيماني مقبول من بني آدم الموجودين وحتى نفخة الصعق ... فإن لإبليس معهم بقية دور وحتى نفخة الصعق أيضاً ... أو لحظة إسدال الستار علي جميع الأحداث الحياتية ...

إذن ... فإن أقرب ما يُقبل تأويلاً بخصوص « يوم الوقت المعلوم » - والله تعالى أعلم وأحكم - هو إنظار أو إمهال اللعين إلى يوم نفخة الصعق ...

وبالتالى ... فإن ما يلزم إبليس لتنفيذ ما أفصح عنه وأعلن ... هو - تحديداً - ذلك التوقيت ... يوم الصعق ... ومن ثم تكون هى نهاية المهلة الكاملة التى مُنِح إياها ... وتكون آية شروق الشمس من مغربها ، بمثابة محطة ما قبل النهاية .. والتى أفرغ فيها اللعين ... حمولة رُكَّاب مهولة ... واستدار ليُكمل بقية خطته مع البقية الباقية والتى لم تنزل بهذه المحطة ... محطة شروق الشمس من مغربها ... وحتى يأذن الله تعالى ويأمر إسرافيل عليه السلام بنفخة الصعق ... فى يوم الوقت المعلوم ... وتكون هى اللحظة الأخيرة .. فى مهلة إنظار إبليس الرجيم ... ولكن ... سيظل هناك سؤال غريب ... وهو إن كان آخر مخلوق يمكن غوايته سَيُصْعَق يوم الوقت المعلوم .. أى يوم نفخة الصعق ... فما هو احتياج إبليس - إذن - لمهلة أطول ... بفترة ما بين نفختى الصعق والقيام لرب العالمين ...؟!

إن أبرز ما قيل فى هذا الخصوص ... هو أن اللعين لم يكن ليريد الموت ... لأن معنى إنظاره ليوم البعث ، - هو - عدم موته إطلاقاً ... لأن ما بعد البعث خلود ، ... وحيث أنه لا موت ... بعد الحساب والإستقرار فى مختلف مقامات الدار الآخرة ...

وأرى أن ذلك صواب من زاوية أن هذا الساقط ... لا حول له ولا قوة ... فى أمر الكون أو الخلائق ... لكنه سماح من الله تعالى بأن يُسلَّط على بنى آدم ... ولولا هذا لما صال ولا جال لا هو ولا بنوه ولا أتباعه ...

إنه إذن بسماح من الله تعالى ... ولتتم كلمات سطور العلم القديم ...

وإذا كان الجهول بالحقيقة يخشى الموت ... فليس المؤمن بمن يهابه ... لأن مَنْ أحب لقاء الله ... أحب الله لقاءه ...

أما كراهية إبليس اللعين للموت ... فهي حق ... من منظور علمه الوافى بحقيقة ما ستكون عليه الأمور بعد الموت ...

فها هى حال الكفرة العصاة ... آل فرعون ... فى الحياة البرزخية بعد الموت ... « وحاق بآل فرعون سوء العذاب ، النار يعرضون عليها غدواً وعشيًا ، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » (١)

فالإشارة الأولى ... إنما هى لغرقهم وميتتهم الإنتقامية ... ولربما إشارة أيضاً لأنواع العذابات الأخرى والتى كُتبَتْ عليهم جزاء ما كانوا يعملون ... والتى ورد ذكرها تباعاً ... وهى ... عذابهم فى الحياة البرزخية ... أى ما بعد مماتهم وحتى قيامتهم ... فهم فى عذابٍ مقيم يُعذَّبون صباحاً ومساءً وحتى يقوم الناس لرب العالمين ... ثم مأواهم بعد الحساب الختامى فى العذاب الأكبر ... جهنم وبئس المصير ...

وليس إبليس بجهول بمثل تلك الأمور ... فقد كان - كما رأينا - إماماً لبنى جنسه وممن عُلِّمُوا الكتاب ... وصاروا به مُعلِّمين لغيرهم ...

وهو يعلم بعذاب البرزخ ... وحتى القيامة ... حيث موعد العذاب الخالد الأكبر ...

وإنه لأجبن من مجرد تصوُّر معايشة هذا الموقف ... وليس معايشته فعلياً ... حتى وإن أغوى كل خلق الله - ونعوذ بالله من الخذلان - وهو أمر افتراضى بحت ... فلن يعفيه هذا من العذابات شيئاً ... ولن يُبرِّد عليه نيران سقر ... أن آخرين يُعذَّبونَ معه ...!

(١) غافر : من ٤٥ . ٤٦ .

... بل أنه وكلما أغوى مخلوقاً ... أُضيفت عقوبات جديدة فى رصيد عذاباته الإجمالى وفى صحيفة سوابقه بكُلِّيتها ... إذ لا يمكن تصور ... أن إجمالى عذابه يتساوى فى حالة إفساده إفساداً عظيماً مع حالة إفساده إفساداً يسيراً ...! وهناك آيات بليغة جداً فى هذا الخصوص ... نريد أن نتأملها معاً وبمنتهى الدقة ... فالله جل شأنه يضرب مثلاً بالشيطان الذى يخذل ابن آدم بعد غوايته له ... وأنه يتبرأ منه بالكُلِّية ... بعد تمام كامل المراد الإغوائى ... مستعرضاً لسان حال الشيطان محدثاً الإنسان ...

... « كَمَثَلِ الشيطانِ إذ قال للإنسان أكْفُرْ فلما كَفَر قال إنى برئٌ منك إنى أخافُ اللهِ ربَّ العالمين ، فكان عاقِبَتَهُما أنهما فى النار خالدين فيها ، وذلك جزاءُ الظالمين ... » (١)

لاحظ أن المفهوم العام المتوارث لدينا ... أن الشيطان اللعين مستقره النار والعذاب المقيم ... وأنه مطرود من رحمة الله ولا فكاك من هذا ...

ولكن ... مع تأمل مضامين الآية - والله تعالى أعلم وأحكم - فإن الشيطان إنما يمارس مع ابن آدم محض دوره الإغوائى الإضلالى المعهود ... ولا جديد فى ذلك ، وكونه قال له « أكفر » فهذا أمر وارد جداً ضمن قائمة عمل إبليس وجنوده ، ولكن الملفت للإعتبار هنا ...أنه وبعد استجابة الإنسان الغافل لبث وغواية الشيطان ووقوعه فى كمين الكفر ... سارع الشيطان بإعلان أنه يتبرأ تماماً من هذا الإنسان الذى استجاب للغواية وكفر ... سارع بالإعلان قائلاً ... « **إنى برئٌ منك** » ... وإلى هنا والأمر به مسحة من الغرابة ، ولكن الأكثر غرابة فعلاً ... « **إنى أخاف الله ربَّ العالمين** » ...!

سبحان الله ... لئن كان الشيطان يخاف الله ربَّ العالمين ... فلماذا إذن مارس منذ البداية قطع الطريق على عباد رب العالمين ، لتحويلهم إلى عصاة لرب العالمين وشرائعه ...؟!

---

(١) الحشر : ١٦ ، ١٧ .

كيف لساقط مطرود من الرحمة عَلِمَ يقيناً مصيره النهائي ... وحُسِمَتْ قضيته تماماً ... وبأنه من أهل الجحيم لا محالة ... كيف له بـ « إني أخاف الله رب العالمين » ؟!

إن المقولة الأولى لتبدو منطقية « إني برئ منك » لإثبات مُؤدّاه ... أن هذا الآدمي هو غاوٍ عاصٍ متمرِّد بطبعه ومن تلقاء نفسه ... وهذا ما يريد الشيطان إثباته على جميع بني آدم لو استطاع ... ولأن الشيطان للإنسان خذول ... هكذا أنبأنا الله تعالى في صادق كلامه وعظيم بيانه ...

ولكن « إني أخاف الله ربَّ العالمين » ... لا أعتقدها موعظة يُخرج بها الشيطان لسانه لابن آدم بعد سقوطه ... إذ أنه وبعد السقوط فقد صار الآدمي شيطاناً كمثل مَنْ أغواه تماماً ... ولم يكن الأمر ليحتاج لهذه المقولة ...

ولكني - والله تعالى أعلم وأحكم - أظن أنه كما تُسجَّل الأعمال والأقوال على ابن آدم ... وبني الجن ... فكذلك هي تماماً تُسجَّل على الشياطين ...!

وهي مجرد مقولة قائلها بلسانه ليس لها جذور في نفسه أو قلبه ... وإلا لما كان هذا صنيعه ... ولكنه يقولها ... حتى يُسجَّل له في صحيفته أنه قالها ... « كلا إنها كلمةٌ هو قائلها » [(١)] وبدليل أنه يوم العرض على رب العالمين ... « وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد » ... « كل نفس » ... وكل نفس إنما تعني كل مخلوق حَقٌّ عليه الحساب من الإنس والجن ومن جميع المخلوقات ، ... وإذ أن لأهل الجحيم - والعياذ بالله - درجات ومقامات ... فإن مجرد إدخالهم جميعاً النار دون حساب يُميِّز ما يستحقه كلٌّ منهم ... إنما هو مساواة غير متوقعة بين الفاسد والأشد فساداً ... في يوم كانت جميع موازينه « الحق » من عند مولانا الحق ... الله رب العالمين ...

---

(١) المؤمنون : من ١٠٠ .

سبحان الله ... وما أصبرهم على النار ... وكأنما يعلمون أنهم حصب جهنم ... ولكنهم يريدون بما يقولون ... درجات أهون من غيرهم ... وتخفيف قتامة عفن صحيفة سوابقهم ...!

وكذلك لربما يقصد الشيطان الخبيث إثباتاً غير مباشر على الإنسان ... أنه وبعد سقوط الإنسان فى الغواية ... قالها الشيطان بلسانه للإنسان ليس من منطق بث إقناعى ... ولكن من منطق إثبات الأمور والمواقف بسطحيتها وكاستيفاء شكل ... لتشهد عليه صحيفته من ناحية أنه ذكَّر الإنسان وأعلمه أنه يخاف الله رب العالمين ... ومن ناحية أخرى ... أن الإنسان أصرَّ على غَيه وضلالته ... ولم يلتفت لهذا الصوت التذكيريّ ... الداعى إلى مخافة الله رب العالمين ... أى لم يلتفت لصوت الشيطان الواعظ ...!!

تصوَّر مثلاً أنه ذهب بإضلاله لشخص ما ... أن أقنعه بالذهاب لأحد البارات ثم وبعد إفراط المسكين فى الشراب ووصوله لدرجة السُكر وذهاب العقل ... قال له الشيطان ... « إنى برئ منك إنى أخاف الله رب العالمين » ...!!

إن مثل هذا الموقف ... هو أبسط تخيل لظروف إطلاقها أو قولها ...!!!

ولا حول ولا قوة إلا بالله رب العالمين ...

ولا تنسَ أننا كُنَّا بصدد نقاش موضوع المهلة الغريبة والزائدة عن الحد المنطقى والمطلوبة من إبليس اللعين ... وذهبنا - ضمن ما ذهبنا - إلى أنه يخاف الموت وعذاب البرزخ ... ولكن ... لو تصورنا صحة هذه الزاوية فقط فى تفسير مَدّ مُهلة إنظاره ليوم القيامة ... فإن ذلك يقودنا لتساؤل آخر ... وهو ... ماذا ستظن أن إبليس بفاعله حين يصير ... هو المخلوق الوحيد الحى فى هذا الكون ...؟!

ألا تعتقده يعد لشئ ما فى نفسه ...؟!!

خاصة وأنه ينتظر موعداً غير معروف لبداية أبدية أعظم عذاب يعايشه مخلوق ...! تراه أسيلتزم الصمت ... أم ترى أن نفسه تريد شيئاً ...؟!

حقاً ... إن الأمر لأعظم من الغرابة ذاتها ...

أهالك مثل إبليس ... موقن بهلاك ذاته لا محالة ...ويُصرُّ على ما هو فيه إصراراً لا ينصرف عنه طرفة عين ... وهو - كما قلنا - يدرك تماماً بأن جميع المخلوقات وإن كانوا مثله من الهالكين ؛ فإن ذلك لن يؤثر على عدم خلوده فى العذاب المهين أبد الآبدين ، أو سينتقص من عذاباته شيئاً ... أبداً ...

...كيف أن غبياً مثله لم يفكّر فى العودة إلى رحمة الرحمن الرحيم ..؟!! لا أعتقد إلا أنه يفكّر ... ولكن عظيم وسواسه ... والذى هو من تلقاء ذاته ... والمسلّط على خلق الله ... قد تجمّع فيه موجِّهاً إلى ذاته اللعينة البغيضة ... وأقنعه بعدم جدوى ذلك ...

ولو راجعت موقفه حين رفض أمر السجود ... لن تجد معه فى هذه الحضرة القدسية سوى الملائكة الأطهار ... وبمعنى أنه لم يكن هناك مَنْ يوسوس له سوى ذاته ... الوسواس الخناس اللعين ...!

ولكنى أعتقد أن للّعين منطقاً أحمق ذا درجة غرابة هائلة ... وهو ما سرى على لسان بعض المتأبلسين من بنى الإنسان - للأسف - والذين طالبوا فى النهاية بأن إبليس الرجيم يجب أن يكون محل تقدير وتكريم ...!!!!!!!!!



(٢) شُبُهَات المتأبلسين
لِرَفْع
خطيئة العصيان عن اللعين ..!

....

حقاً ... إن نفس هذا اللعين ... لمن أعجب النفوس وأغربها وأعظمها عقداً وأمراضاً غير مفهومة ...!

والأغرب من هذا هو ما تسمعه من بعض خلق الله الغافلين ... وخاصة مشايخ البركات وأحجبة كل شئ ...!!! ... وبعض صفوة نجوم المجتمعات الراقية ... ومن كل لون ...!!!

إنهم مقتنعون ... بل ويحاولون إقناعك ... بأن « عمهم » إبليس - قاتله وقاتلهم الله - مظلوم لافتراء جميع أتباع الأديان عليه ...!! ... ويبررون ذلك بما أجاد إلقاءه فى روعهم ...بأنه مسيرٌ فيما هو فيه ...!!!

ويُدللون لك على ذلك بالعديد من الحجج الغريبة ...!

فمثلاً ... يقولون ... بأن حكمة الله تطلبت وجود الشيطان .. وإن لم يستجب إبليس لهذه الحكمة التى تطلبت حتماً وجود شيطان ..وليكون - هو - رأس الشر وقائد معسكره ...فإن حكمة الله ومراده لم يكونا ليعملا ... ! ... خاصة وأن الحياة الدنيا وما بها من ابتلاءات لمعايشيها ... إنما هى محض إبتلاء صراع خير وشر ... فإن لم يكن إبليس ومعسكر الشر ... لم تكن لتكتمل جميع مفردات الإبتلاء لإتمامه ...إذن فإبليس ليس سوى مجرد جندى لمشيئة الله تعالى ... وإن كان يمثل الجانب المكروه لدى جميع أتباع وأصحاب الديانات والكتب المقدسة ...!!!

ويتبارون فى إعطاء أمثله عديدة ...

فمنهم من يقول ... لو لم يعصِ إبليس فى هذا الموقف الإفتراضى ، والذى أخذ شكل عصيان إرادى من مخلوق لله ، ... - فإنه ما كان ليعصى الله لو أراد الله عدم وقوع المعصية ... لكن الله كان يُدبِّر لسقوطه وإظهاره بهذا الشكل الذى ظهر عليه لتتم جميع المرادات الإلهية ... وليتم تعيين إبليس على رأس معسكر الشر ... وليكون هناك وجود للشيطان ... وإلا ... - من أين كان سيأتى الله بالشيطان ...؟!!

وتجد من يقول لك ... ليست العبرة بما يُقال عن إبليس ... وليست العبرة بحجم الكراهية الموروثة تجاهه فطرياً فى النفوس ... فذلك من صنيع ومواريث الأديان ... ولكن العبرة ... بحقيقة دوره الذى يُؤدِّيه ...

فهل عزرائيل - مثلاً والمكلَّف بقبض أرواح العباد والمسئول عن موتهم - بمحبوب من خلق اللـه ...؟! ... وهل يؤدى دوراً وردياً تنسجم له نفوس الخلق ... ؟!! لا ... فهو مجرد جندى لمشيئة الله ... ولتظهر مُرادات الله ... بصرف النظر عن أى شئ ...!

وهل الميكروب وهو يُسلَّط على جسد ابن آدم ... يتغزل فيه ابن آدم لأنه مُسلَّطٌ عليه من عند الله ... ؟! ... لا ... فأنت تجد المصاب به يلهث لدى الأطباء ليتخلص مما هو فيه ...

ولكن ... هل يسئ الله إلى الميكروب أو إلى عزرائيل ...؟!!

إن لم يؤدِّ كل منهما تمام مُراد الله ... لعُوقب من الله ... لأن الله يريد أن تُؤَدَّى مراداته ... فهو يريد لفلان أن يصيبه الميكروب ... ويريد لآخر أن تقبض روحه ... ولا مشكلة فى أى شئ من ذلك ... إنها مشيئة الله ، ولابد لجنود من خلقه - هو اختارهم - أن يمارسوا ما رُسِمَ لهم من أدوار ...!

ونفس الشئ يقولون به لإبليس لعنه الله ...! فيقولون ... من تراه - كان مُؤدِّياً الوظيفة الشاغرة والتى تحمل مسمى ورتبة « شيطان » ...؟! فلقد كانت هناك ضرورة لأن يؤديها مخلوق ما ... ووُضِعَ « عزازيل » فى هذا الموقف ... وليُخْرِجَ الله من هذا الموقف ... الموظَّف المسمىً إبليس أو الشيطان ...!!!

أفبعد ذلك كله ... وبعد أن أدى دوره - ومازال يؤديه - كما ينبغى ... يُقال أنه من أصحاب الجحيم ... ومن أهل النار ... إلخ من هذا الكلام ...!!!

ولئن تخيل أى شخص - والكلام مازال لأعوانه[1] - أن إبليس قد راودته فكرة التوبة ... فإن هذا التخيل لن يكون سوى خطيئة إبليس الحقيقية ...!!!

(١) ليس هذا بمنظومة تخيلية ، لكنها كلمات لسان المتأبليسين من بنى الإنسان .. الضالين .. من كل جنس ودين ... ! ومثل ذلك - أيضاً - يقول به ممهدو الدجال .. فهم من ذات تطبع المتأبلسين ... قاتلهم الله أنى يُوفكون ...!

لأن مثل إبليس لم يكن ليتوب .. لأنه إن تاب .. لكانت توبته اعترافاً بكونه مُخيراً وقت الموقف القديم وحين تم تعيينه فى وظيفة شيطان ... وستعنى أيضاً العودة مرة أخرى لأن تكون وظيفة الشيطان ...بلا من يُؤدّى لها دورها !! ... ولإحداث التوازن الطبيعى فى الحياة بين قوى الخير والشر والنور والظُلمة ... فلابد من استمرارية شغله لهذه الوظيفة ... وإلا ستتعطل مرادات الله ...!

ولقد كان الله بعلمه الأزلى عليماً ، بجعله إبليس مُسيَّراً للوصول إلى شغل وظيفة الشيطان ... ورئاسة معسكر الشر .. ولأنه لم يجعل له بديلاً ... وإلا .. فأين هو ؟!

ثم ... ألم يُوعَد بنو آدم بعظيم الأجر والمكانة نظير مجاهدتهم صنيع إبليس وجنوده معهم ... ؟! .. وباعتبارهم أصحاب ابتلاء .. تماماً كما المريض المصاب بأى مرض ..!

ألا يعنى ذلك استفادة بنى آدم من إبليس وجنوده ؟!! .. حتى وإن كان منطق التحليل الظاهرى .. أنهم يقاومونه كما يقاومون المرض - ولا بأس فى ذلك - فالمرض ليس سوى جندى مُسلَّط من الله لإصابتهم فى أجسادهم وأعضائهم ... بينما إبليس هو المُسلَّط من الله عليهم أيضاً لإصابتهم فى نفوسهم ، ولإعلاء شعلة المجاهدة ... وليفرز الله عباده المخصوصين من غيرهم ... وإن لم يكن إبليس جندياً لله - حقاً - لأطاح به الله ... !!

إذن فإبليس إخراج نهائى لمراد إلهىّ كان يجب أن يكون ... وبالتالى يجب إعادة تقييمه من منطق أنه أحد جنود المشيئة ...!!! ... وبالتالى فإن لم يكن من أهل التكريم فلا يستحق أن يكون أهل عقوبة .. مثله كمثل باقى الملائكة والذين لم يأتِ عن أخبارهم ذكر فى هذا الخصوص .. والذين لا نعرف على وجه التحديد أين سيكونون بعد الحساب ...!!!

وإنك لتجد من المتفوهين بتلك الحماقات ... وبهذا الهذيان الغث القمئ ... مثقفين وأصحاب أديان ... مسلمين ... نصارى ... وكثيرين يعتمل فى

نفوسهم أكثر من ذلك ... لكنهم يخشون خروجه مخافة اتهامهم ... بأنهم مثلاً من عبدة الشيطان ...!

ولاحظ أن مسمى « عبادة الشيطان » قد جاء ذكره أول ما جاء بالقرآن العظيم وبصريح اللفظ ... وحيث يقول الرحمن ... « **ألم أعهد إليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين** »[1] وعلى لسان أبى الأنبياء إبراهيم ﷺ ... « **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً** »[2] ...

إن العبادة هنا ... إنما تعنى الخضوع التام والطاعة المطلقة للمعبود من العابد ... وبالتالى فقد أملى الشيطان الرجيم لعبدته الخاضعين له المطيعين إياه طاعة العابد للمعبود ... أملى لهم حيثيات سموم أفكارهم ... والتى أظنها بعضاً مما كان سيحاول قوله باكياً إن أعطاه الله المهلة التى كان يرغبها ... حتى القيامة بلا موت ...!

وعودة للسموم السابقة ... ولدحضها تماماً - إن شاء الله - ومن جذورها ... نقول ... إن اللعين ما كان مُسيَّراً طرفة عين ... بل مُخيَّراً طيلة الوقت ... وبدليل ... أنه وأثناء سؤال الرحمن العظيم له ... وحين امتنع عن السجود ... « **ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك** »[3] ... بماذا رد إبليس الساقط من النعمة ومن الرحمة ... قال « **أأسجد لمن خلقت طيناً** »[4] ... « **لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماءٍ مسنون** »[5] ...

ما هى إجابات إبليس ... حين سأله الله تعالى عن موانع السجود لديه ...؟!! قال ... « **أأسجد لمن خلقت طيناً** » ... « **لم أكن لأسجد ...** » ... الخ .

---

(١) يس : ٦٠ . (٢) مريم : ٤٤.
(٣) الأعراف : من ١٢ . (٤) الإسراء : ٦١. (٥) الحجر : ٣٣.

... هل ترى فى ذلك أية شُبْهَة منْ أى نوع لإلجام لسان إبليس ... ودفعه لقول شئ غير الحقيقة ... والتى قالَها بمنتهى الجرأة والتطاول ... وبشكل لا يناسب حضرة القدس التى كان بها ...

سأله الله تعالى ... وردَّ هو ...!

ترى ... لو كان الله مُسيِّر إبليس لفعل ما فعل ... ألم يكن إبليس أول الناطقين فى هذا الموقف ... ؟! وكان لحظتها سيقول ... يارب أنا عبدك المسيَّر فلا تؤاخذنى بما خرج عن سيطرتى ... فأنا غير مختار فى فعلى هذا حتى أسأل عنه ...! لكنه لم يُشِرْ إلى شئ من ذلك مطلقاً ... بل ويظهر محض إراداته واختياره الكامل الحر ... حين سؤال الله تعالى له ... عن أسباب وموانع عدم السجود ، وردِّه ... بأنه ما كان ينبغى لمثله أن يسجد لمثل آدم ...

إذن فالأمر برمته موكول لنفس إبليس التى تمرَّدت بكامل حريتها وإرادتها ... وعزفت معزوفة الكبرياء الشهيرة ... بل والأدهى من ذلك وعيد إبليس بإغواء بنى آدم ...

أمثل هذا الذى يذكر خطته الإغوائية ... كما رأينا من قبل ... ويُفَنِّد بجرأة غير مسبوقة سبب عصيانه لقرار ولأمر الله ... أمثل هذا كان مُسيَّراً ...؟!!

لا والله ... إنه لَمُخَيَّر ... بل ومخير بذئ ووقح ... تجاوز جميع أنواع الحدود ...! وقد ذكرنا سابقاً ... وعلى الصفحات القليلة الماضية [1] ... أن كل حوادث الكون والكائنات ... ليست بمحدثة من منظور علم الله الأزلى الأبدى المكنون ... وإنما هى قديمة فى هذا العلم ...لكن حدوثها .. يكون بإخراجها وظهورها فى عالمها الجديد القابل لذلك ...

.. « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها ، إن ذلك على الله يسير »(٢) .

(١) راجع ذلك - أيضاً - تفصيلاً بكتابنا « العائدون إلى الله » قراءة فى سر الأسرار لإجابة ما هو صعب الإجابة ...! (الإصدار الثالث من السلسلة).

(٢) الحديد : ٢٢ .

ولقد ذكرنا ... أن علم الله تعالى لم يُجْبِر مخلوقاً من أهل التخيير والتكليف على فعل شئ ... وإلا ... فما هو منطق حساب المُسيَّر ... إذا ما حُوسب على ما سُيِّر فيه ؟!!

إنه محض طعن فى عدالة الله المطلقة ... إذا ما فكَّرنا بهذا المنطق ... وحاشا لله ...

أما كون الله تعالى ... كان يعلم ... فهذا منطقى ... ولا ظلم لمخلوق سُجِّلَ عنه فى العلم القديم أنه - مثلاً - من أهل السعير ... وأخذ فرصته كاملة واستقر فى النهاية فى أهل السعير ...

أيحق لمثل هذا أن يقول ... المشكلة فى علم الله ...؟!!

لا ... إن المشكلة فيه هو ... ولا يَلومَنَّ إلا نفسه ...!

....

أما مقولة أن الله تعالى لو أراد من إبليس فى موقف السجود ... سلوكاً غير الذى كان ... لكان من إبليس هذا السلوك ... ولكن الله كان يريد ما ذهب إليه إبليس فعلاً ... وليتم تعيين إبليس فى الوظيفة الشاغرة ... وظيفة الشيطان ورئاسة حزب الشر ...

... فإن الشق الأول من المقولة ... حق فعلاً ... لأن قدرة الله تعالى لو أرادت أى شئ لكان ... ولو أراد الله أن يقهر إبليس على فعل ما ... لكان ما أراد الله ... لأنه لا قدرة لمخلوق ولا لجميع المخلوقات مجتمعة مع قدرة الخالق ... هذا حق ... ولكن ... لو فعل الله ذلك لكان التسيير الذى يزعمه إبليس وحزبه ...!

ولأن مراد الله تعالى لم يظهر فى هذا الموقف فى شكل قوى تسييرية ، إذن فالموقف برمته كما رأينا ... كان بمحض إرادة وفكر إبليس نفسه ...

أما مقولة ... لو لم يكن إبليس مستقراً فى هذه الوظيفة الآن ... « وظيفة الشيطان » ... لكان هناك تعطيل للمرادات الإلهية ... ولصار معسكر الشر خاوياً ... ولأضحت وظيفة الشيطان شاغرة ... وهذا ما لم تكن لترتضيه الحكمة الإلهية ... وحيث أنه لم يكن لإبليس بديل ...!

أولاً ... وحين كان إبليس بحضرة الله تعالى هو والملائكة ... أكان معه شيطان ... حتى يغويه ... ؟! ... وهل احتاجت نفسه لمعونة إضلال خارجية ... ودفعة غواية مُقْحَمَة عليها ... حتى تدفعه وتزيده جُرأة فى موقفه ... وحتى يستطيع إتمامه ... ؟!

لا ... فنفسه بمفردها قد خاضت الموقف كاملاً .. ودون معين خارجى ... وما كانت لتحتاج ...!

ووالله ... إنه لَفَعَلَ فى حضرة الله ... وبجرأة نادرة عجيبة غير مفهومة ... ما يخَجل أى شخص أن يفعله فى حضرة أبيه أو مُدرِّسه أو شيخ جامعه ... أو تجاوزاً مع رئيس دولته ... !!!

حقاً ... لقد أتى بما تعجز عنه الكلمات جميعها ... وما احتاج لشيطان يغويه ... كيف .. ؟!

فالله تعالى ... قد ذكر لنا فى قرآنه العظيم ... أنه خلق النفوس جميعها وعلمها فجورها وتقواها ... وكلٌ منها إنما يعمل على شاكلته ...

ولقد كان من الممكن جداً ... أن يتم ابتلاء بنى آدم جميعاً ... دون وجود إبليس هذا على خريطة الأداءات ... وما كانت نفوس بنى آدم لتحتاج الموسوس أو الشيطان حتى تُخْتَبَر ... بل ويكفى النفوس ما بها من حب الشهوات والرغبة فى تجاوز الحدود والقوانين السماوية والوضعية ...!

وكما قلنا ... فإن إبليس وأعوانه لا يخترعون للإنسان اختراعاً فى نفسه ... بل يُحرِّكون بمهارة ما هو كامن فيه ... وَثِقْ أنهم لا يفعلون هذا إلا مع

صاحب خلل وثغرة ... وهو الذى يفتح لهم ليعبروا إلى كوامن نفسه من خلال هذه الثغرة ... وبدليل أن غيره لا يفعل ما يفعله هو ... إذن فهو يفعل ... لأن هذا يروق له ...!

إذن فلا تعطيل لمرادات الله تعالى أبداً ... لو أن إبليس لم يعصِ الأمر فى هذا الموقف وسجد ...ولأنه لم يكن هناك أى نوع من أنواع الحاجة إلَيه أو إلى غيره من البُدَلاء ...!!

وقد يتبادر لذهن البعض ... هنا ... أنه لولا إبليس لما خرج آدم وحواء من الجنة ... وبالتالى لظلت الأرض مهجورة ... لأن جميع بنيهم كانوا سيستقرون بالجنة !! ... لا ... فقبل هذا الحدث الإغوائى والذى وقعت أحداثه بين إبليس اللعين وآدم وحواء ... قال الله تعالى ... « إنى جاعل فى الأرض خليفة » ، ولم يقل فى الجنة ...!

وبمعنى أنه ... سواء بإبليس أو بدونه ... فالأمر محسوم تماماً ... (١)

أما مقارنة إبليس بالميكروب أو بالملاك عزرائيل عليه السلام ، ووجوب اعتباره بمثابة جندى لمشيئة الله تعالى ... فهذا محض افتراء وتلاعب بالألفاظ ...

أولاً ... لأن الميكروب ... ليست له إرادة من تلقاء نفسه ... سوى افْعَلْ كذا ... فيكون من الفعل ما أُمِرَ به ...

أما الملاك عزرائيل عليه السلام ... فهو من الملائكة المقربين ، وقد اختاره الله تعالى لهذه المهمة ... وما هو بمؤدٍ سواها ... أفسمعنا أن عزرائيل أو أحد جنوده ... قاموا - مثلاً - باقتحام لمكان ما وقبضوا أرواح مَنْ فيه لحسابهم الخاص ...؟!!!

---

(١) راجع ذلك تفصيلاً فى مؤلفنا « أشهد للمسيح والمسيح يشهد معى » ، وهو الإصدار الرابع فى السلسلة وكذلك بإصدارنا الثالث « العائدون إلى الله » .

... أو أن الله تعالى قد أمره بقبض روح مخلوق ما ... وناقشه فى الأمر أو اعترض على ذلك ...؟!!

بطبيعة الحال لا يجوز تصوُّر ذلك ... مجرد تصور ... فجنود مشيئة الله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ...

أفكان إبليس اللعين هكذا ... حتى يمكن إطلاق التشبيه ...؟! أو مجرد عقد المقارنة ...؟!! ... طبعاً لم يَكُنْ أبداً ...!

أما موضوع توبة إبليس من عدمه ... وأنه إن تاب لكان ذلك إعترافاً صريحاً بأنه عصى باختياره ... فقد ناقشنا موضوع مطلق حرية واختيار إبليس فيما فعل دون قهر أو أدنى شُبهة تسيير ... وفى هذا رد كاف بأن إبليس ما كان ليتوب لأنه لم يكره آدم فقط ... ولكن كره ربه كذلك ...!

أما ضرورة تواجد إبليس على رأس معسكر الشر ... ليكون هناك التوازن الطبيعى والضِّدية المُنسَّقة الجامعة بين قوى الشر وقوى الخير والظلمة والنور ، وبمعنى تواجد الشر جنباً إلى جنب مع الخير ... وإلا لصار العالم كله ملائكة طائعة ...

... فإننا حين ناقشنا جزئية ... إمكانية إتمام ابتلاءات بنى آدم واختبارهم فى الحياة الدنيا ... ودون الإحتياج للمجهودات الإبليسية ... وأن قوى الخير والشر الكامنة بنفوس بنى آدم كفيلة بإتمام تواجد معسكرى الخير والشر دون الإحتياج لشر خارجى إضافى ... خلصنا من ذلك أنه وفى غياب إبليس ، كان صراع الخير والشر ... سيكون دائراً ... وما كان الشر يتيماً يحتاج لمن يتبنَّاه ...!

أما مكافأة الله تعالى لعباده ... عباد الرحمن ... وتفضله عليهم نظير جهادهم المضاعف ... ضد نفوسهم وضد اللعين وجنوده ... مُشعلى الفتنة فى النفوس وفى المجتمعات وفى كل زمان ومكان ... فهذا لم ينتقص من خزائن إبليس ولا أهله مثقال ذرة خير أو عطاء كانوا سيحصلون عليه ... وحتى لو تضاعفت الأجور لعباد الرحمن ... بسبب طول جهادهم مع اللعين وأعوانه ... فإنى أقترح عليهم فى هذا الخصوص ... حاولوا أن تحرموا بنى آدم من هذه المكافآت الرحمانية الإضافية ... ولا تهاجموهم أنتم ... فلا يجاهدونكم هم ... وبالتالى ... لايحصلون سوى على مكافآت ضئيلة ...!!!

ولكنهم بمنطق يفوق البلاهة بملايين السنين الضوئية ... يحاولون أن يمنُّوا على بنى آدم ... بأنهم أصحاب تفضُّل عليهم ... أنهم حاربوهم ولهذا قاوم البشر وجاهدوا ... ولذلك سيجزل لهم الرحمن العطاء ...

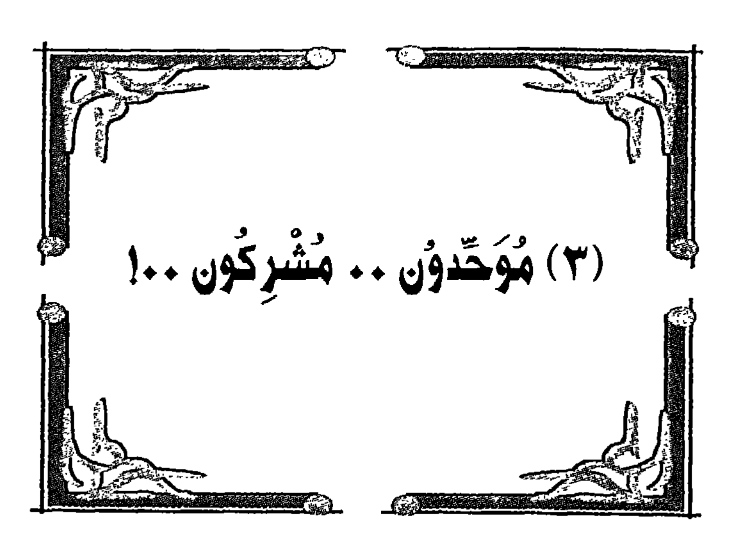
ولدىّ هنا اقتراح آخر ... حاولوا أن تجاهدوا أنتم قذارة ونجاسات وأحقاد نفوسكم ... ولو أطلع الله على ذلك فى قلوبكم لكان لكم عنده شأن آخر ...!

أما مقولة إن لم يكن اللعين من جنود الله ... لأطاح به الله ...

أولاً ... لقد طلب المهلة فكانت له ... ثانياً ... أن الله تعالى قال « إنى أعلم ما لا تعلمون » ... وليعلم جميع الخلق ... أن اختيار الله تعالى لآدم وذريته لخلافته ... هو اختيار العليم الحكيم ... فلابد وأن يحصل إبليس على كامل أنواع فرصه والتى لم يؤتاها غيره ... وفى النهاية ... سيسقط هو ... ويرفع الله تعالى مكانة ومقام عباد الرحمن ...

وإن موعد الإطاحة به - إن شاء الله - ... لقريب .. !

....



(٣) مُوَحِّدُون .. مُشْرِكُون ..!

... سبحان الخالق المعبود ... مُوجِد كل موجود ...

... سبحان من ليس لقدرته تصوُّر بنهاية ... أو حدود ...

... سبحان الرحمن الودود ... المحبٌّ لعباده قبل أن يُوجِدَ الوجود ...

فأخرجهم رحمة ووداً وحباً ... وصاغ لهم كل ما يحتاجون ... وما احتاجوا لشئ ... إلا ووجدوه ... فَنِعَم الله علينا لا تُعدُّ ولا تُحصَى ... بل وإن الأمر لجاوز حدَّ النعمة ... إلى الفضل العظيم ... والجود العميم ... وقد جعل الرحمن ... لتفاعلنا مع كونه ومفرداته ... نُظُماً ورثتها الأجيال والقرون تباعاً ...

فمثلاً ... لكي يكون لك ابن ... فعليك بالزواج من أنثى ...!

ولكي لا تشعر بالجوع عليك بأن تأكل ... ولكي تظل على قيد الحياة عليك باتباع جميع ما يحفظ حياتك ... سواء اتبعته مُسيَّراً أو مخيَّراً ...! ... بناءً على وجود مجموعة نظم خلقها الرحمن وأنت تتفاعل معها مُسيَّراً ، وأخرى خلقها وهى التى تتفاعل معك مُسيَّرة ، ... وأخرى أنت أو غيرك مُخيَّرون فيها ...

ولاحظ أننا لا نناقش قضية التسيير والتخيير [١] ... ولكننا بصدد نقاش شئ آخر تماماً ...!

... ومن هذه النظم المُسيَّرة - والتى تصادفك خلال رحلتك الحياتية ... وأنت مجبر على التعامل معها لصالحك وليس لصالحها ...- الكواكب والنجوم والليل والنهار والهواء ودوران الكرة الأرضية ... الخ ... فالشمس لا تستفيد منك شيئاً ولا الليل ولا النهار ... لكنك تُجَارِى محض تسيير وجدته

(١) يمكن متابعة موضوعات القدر والقضاء ... والتسيير والتخيير تفصيلاً فى مؤلفنا « **العائدون إلى الله** » - قراءة فى سر الأسرار لإجابة ما هو صعب الإجابة . وهو الإصدار الثالث فى السلسلة .

منذ لحظة وعيك الأولى على مفردات الحياة المفهومة لديك ... وبعد محاولتك فهمه ... تكتشف أنه فيض رحمة وفضل عظيم من ذى الفضل العظيم ... وهذه النظم المُسيَّرة ... لا هى أخذت أو استفادت منك شيئاً ولا خالقها وخالقك .. فهو الغنىٰ عن العالمين ....! ... سبحانه ... جَلَّ شأنه ...

... إذن فمجموعة النظم المُسيَّرة والتى يمكن تصنيفها تحت هذا المسمى عديدة وكثيرة ولا يمكن حصرها تحديداً ... لأن منها ما نعلمه ... ومنها ما لا نعلمه ...

وثمة نظم أخرى مُسيَّرة ... تجدها بداخلك ... وأنت تحيا بها ... ولولاها ما استمرت حياتك بعد ميلادك ولو لوهلة واحدة ... هذا أخذاً بالمنطق المفهوم للأمور ... والذى ينبنى على « بما أن » و« إذن » ... أو عالم الأسباب والنتائج ... ولو تدخلتَ فيها لفسدت هى ... ولفسدت حياتك بكليتها ... مثل نظم التنفس والدورة الدموية والهضم ... والإخراج ... والتناسل ... والرؤية والسمع ... والتفكير ... الخ ... فهى نظم مُسيَّرة مُسخَّرة لك ... لست بصاحب فضل عليها فى قليل أو كثير ... وأنت مجرد مستخدم لها سواء بفهم أو بعدم فهم ... وأنت تعوَّدت استخدامها ... وأدمنت وجودها ...ولأن ذلك هو تصميم الإنسان ، وتلك هى أجهزته ... وهذا هو نمط حياته ... وهذه هى كيفية استخدامه لهذه النظم ...

وهذه النظم هى ما تسمى أسبابك فى استمرارية حياتك ... وهى مُسيَّرة لك ... ولكنك أنت مُخيَّر فى استخدامها ... فأنت حر تماماً فى أن تستخدم مثلاً جهازك التنفسى فى استنشاق هواء نقى ... أو نيكوتين مُلبدٌ بالسموم ... أو غاز سام ... الخ ... وليس لجهازك التنفسى ثمة اعتراض على اختيارك ... ولكن ... عليك أنت بتحمل تبعة ونتيجة قرارك ....! وأى شئ أنت متعامل معه فى الحياة ... إنما تمتزج به فى شبه معادلة لإخراج ناتج ، وبمعنى أن تفاعلك مع الأشياء ... إنما هو لإحداث ثمرة مرجُوَّة ... وهذا التفاعل إنما يسمى أخذاً بالأسباب ... أى الطرق التى عرفت أنها تؤدى للنتائج المطلوبة .

وقد يكون لهذه الأسباب أو الطُرق بدائل ... وتكون مهمتك الإختيار والمفاضلة فيما بينها ...

فالطعام - مثلاً - سبب فى إشباع جوعك ... ولكن يقع عليك عبء ...

١- إختيار نوعه ،

٢- تحديد الكمية المتوقع إحداثها للإشباع المطلوب ... ،

٣- إختيار مكان شرائه ... ،

٤- إختيار كيفية صُنعه ... ،

٥- إختيار مكان وزمان تناوله ... ،

وقبل اتخاذك القرار بجملة ذلك كله ... عليك بتوفير المال اللازم لتنفيذه ... وإلا لن يرى النور ...!

والطعام - هنا - من المُذلّلات ... التى ذللها لك الله تعالى ... لكى يمكنك الإستفادة بها ... وهى غير المُسَيَّرات ...

فالمُسيَّر ... من الله تعالى لك ... إنما يُحْدِث فعلاً ما ... أنت مستفيد به ... مثل الشمس والقمر والليل والنهار ، وكمثل عمليات الهضم التى تتم بداخلك ودون إشراف منك عليها ... ولكن المعدة والأمعاء ... هى مُذلّلات لك لإتمام تلك العملية التسييرية ... وكذلك الطعام ... مُذلّل لك حين تستخدمه باختيارك ... ولا يعترض هو على شئ ... بل ويقدم لك ... كل المكنونات التى استودعها الله تعالى فيه من أجلك ...

وإذا استعرضت أى شئ حولك أو فيك شخصياً ... أبدعه لك الله تعالى لتتفاعل معه ولتستفيد به ... لوجدته ذا رتبة تصنيفية تتراوح ما بين « المسيَّر » و « المُذلّل » .

فيدك مُذلَّلة لأن تفعل بها ما تريد ... وكذلك قدمك ... وأنت مُخيَّر تماماً أن تفعل بما ذُلّلَ لك ما تريد ...

وهناك نوع من المفردات خلقها الله تعالى وتحمل صفتي التسيير والتذليل في آن واحد ... فالهواء مثلاً في حد ذاته مُذلَّل لك لتتنفسه وللمساعدة على إتمام أية عملية احتراقية مثلاً ترغب في إحداثها ... وفي أحيان أخرى يصير الهواء رياحاً مُسيَّرة ... ولاتستطيع أن توقف أنت تسييرها ولا تواجهها .

وبين جميع عوالم التسيير والتذليل ... تقع حركة أداءات حياتك كمخلوق مُخيَّر مُكلَّف ... يأخذ بالأسباب الكفيلة بإتمام نجاحات تحركه الحياتي ... فأنت تعمل بمهنة ما وتحصل على ناتج عملك بها في صورة دخل مادي يعينك على أداء كافة مطلوبات حياتك ، وعملك هنا هو سبب لحصولك على الدخل ، وأكلك سبب في شعورك بالإشباع ... ونومك سبب في شعورك بالراحة ، وبشاشة وجهك هي سبب في حب الناس لك ... وزواجك هو سبب كونك أباً ... ووفرة دخلك هي سبب ركوبك سيارتك الفارهة ... وترهل بطنك هو سبب في عدم تأقلمك مع كثير من الملابس الجاهزة ... و ... و ... و ... ما لا يعد ولا يحصى ... من الأسباب ...!!

وحقيقة الأمر أن الله تعالى هو الذى أبدع لنا الأسباب وجعلها من أهم مفردات حياتنا الدنيا ... وقد أمرنا بالأخذ بها انضباطاً بشرائعه ...

فالعمل الشريف سبب في حصولك على المال ... والسرقة أيضاً سبب في حصولك على المال ... ولكن انضباطاً بشرائعه فالعمل الشريف حلال ... والسرقة حرام ... وبما يعنى ضرورة الأخذ بالأسباب المسموح بها من رب الأسباب وخالقها ... وليس بأي أسباب تتراءى لنا ... ونحن بصدد وضع استراتيجيات تحقيق الأهداف والنتائج المطلوبة في مسيرة حياتنا .

هذا من زاوية ... ومن زاوية أخرى ، ما مدى اقتناعك أنت - جوهرياً - بفعالية الأسباب ... وهذا هو أهم ما نريد نقاشه وبوضوح ...

فحقيقة الأمر ... أن الأسباب مجرد حجاب ... يخفى وراءه يد الفعّال لما يريد وهو الفعال بالحقيقة .. « وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .

« ولا تقولن لشئ إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله » ...

فالأسباب آخذة منه جلّ شأنه كامل المدد والفعالية ... فالفعالية - إذن فعالية - مستفادة وليست أصيلة بذاتها ...

ولو كانت الأسباب هى الفعّالة ... لكان عملك ... وهو سبب حصولك على دخلك ... هو الرزّاق وليس الله ...!!!

ولكن الله تعالى ... هو الرزاق بالحقيقة ... والعمل هو سبب تلقيك لرزقه لك أنت وأولادك و ... الخ ...

ولكن إن كانت الأسباب هى الفعال بالحقيقة ... فهى أولى بالعبادة ...!!!

وحاشا ...

إنها ليست سوى مجرد قنوات توصيل ما أراد الله توصيله لك ... وإن كان اجتهادك فى الأخذ بالأسباب أكبر من اجتهاد غيرك ... لا يعنى بالضرورة ... أن الأسباب ستكافؤك بعائد أكبر ...!

وكذلك لا يعنى أخذك للأسباب من حيث المبدأ ... ضرورة حصولك على النتائج ...!

فهل لابــد وبمنطق الأسباب ... أن الرجل إذا تزوج بامرأة ... كان لهما ذرية ... ؟! لا ليس بالضرورة ...

وافحصوا عيادات أمراض النساء وكذلك عيادات أمراض وتحليلات الذكورة ... وستجدوا أنه وبلا أية أسباب يمكن للعلم فهمها ... أن الرجل ليس به علة

وكذلك زوجته ... وبالرغم من ذلك فإن قانون الأسباب والذى أخذا به - كغيرهما - لم يُعطهما ما أعطى لغيرهما ...؟! وتفسير ذلك وببساطة ... أن الله تعالى ... « فعال لما يريد »[1] ... « ويجعل من يشاء عقيماً »[2] ...

وكمثل ذلك تماماً ... ومتى وكيف أراد الرحمن ... أصاب العقم الأسباب فتوقفت عن الفعالية المأمورة بها ... من الفعّال الحق ...

ولعل المبالغة فى تقديس الأسباب هى الآفة الرئيسية المتسلّلة لمعظم - إن لم يكن كل - خلق الله الآخذين بها ...!

فالإجتهاد فى الأخذ بالأسباب هو أمر حَضٌ عليه الله تعالى ... وأشمر له الساعد رسوله الكريم ﷺ ... ومَنْ تخلّق بخلقه وبخُلُق فعله ...

ولقد كان خُلُق فعله إيماناً وقر فى القلب وصدّقه العمل ... إيماناً بالله رب الأسباب وخالقها وبأنه الفعال الحقيقى ... وعملاً مشروعاً بجميع الجوارح أخذاً بالأسباب الحياتية الممكنة ... فمن تخلّق - إذن - بخُلُقه وبخُلُق فعله .. وجب سيره على نفس الدرب ... وإلا كنا من المُقَصِّرين ...

إنّ المطلوب ... ليس تعديلاً فى خطة الأخذ بالأسباب ... ولكن إنزالها من قمة مرتبتها ومقامها الرفيع العالى ... إلى حقيقة مكانتها التى تستحقها فى نفسك وقلبك ... واجعل فوقها ربك وربها جل شأنه ... واجتهد فى الأخذ بها ... ولكن اطلب من ربها وربك حقيقة ما تريد ... وهذا هو منطق التوكُّل على الله ...

« وما رميتَ إذ رميتَ ولكنَّ الله رمى » ... وبمعنى إنك يا محمد وأنت تحارب الكفرة الفجرة ... أخذت بكامل الأسباب ... ولا تتخيل أن رميتك هى صاحبة الإصابة ... ولكنها رميتى أنا ...!!

(١) البروج : ١٦ .
(٢) الشورى : من ٥٠ .

ألا ترى ... أن الفعال الحقيقى فى هذا الموقف لم تكن أسباب الحرب المأخوذ بها ... ولكنه الله ...

وانظر لقوله ... « **قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويُخْزِهم وينصركم عليهم ...** » ...

أى خذوا بأسباب القتال كاملة غير منقوصة ... بل وباجتهاد ... ولكن ليس كونكم تقاتلونٍ ... أنكم معذبو من تقاتلونهم أو ناصرو أنفسكم عليهم ... « **قاتلوهم يعذبهم** » ... خذوا بالأسباب كما علَّمْتُكم ... أفعل لكم ما وعدتكم . وكما قال لأبى الأنبياء ابراهيم ﷺ حين أمره ... « **وأذِّن فى الناس بالحج** » ... فقال له الخليل ... وكيف يا رب إذا أذَّنتُ سمعونى وأجابوا ندائى ... فقال له ... **يا إبراهيم عليك الأذان وعلينا البلاغ ...**

أى خُذْ بالأسباب كما علَّمْتُك وأمرتك ... وعلىَّ أنا فعالية ما أخذت به أنت ونتائجه ...

وخذها قاعدة لا استثناء لها ... افعل ما عليك فعله ... واترك له ما عليه فعله ، وخذ بجميع الأسباب ... واترك له تحقيق النتائج ... عملاً بقاعدة ... « قاتلوهم يعذبهم » ... أو « عليك الأذان وعلينا البلاغ » ... فهو لم يخلق الأسباب وترك لها مطلق الفعالية ولك ... وانعزل عن ملكوته وعباده ...لا ... فهو يمارس سلطانه المطلق فعالاً لما يريد ...

والأمر برمته لن يُكلِّفكَ الكثير أو العسير ... لكنه سيُنَجِّيك من التردِّى فى هاوية سحيقة ...!!!

إنها هاوية السقوط فى وهم تأليه الأسباب ، من خلال إعطائها الأولوية المطلقة فى الفعالية المستهدفة ... أو المحققة ... وبالتالى نسبة جميع النتائج لها ... وفى هذا ظلم لنفسك وللأسباب ...!

فلا أنت بفعَّال ولا الأسباب ... بل أنتم خلق من خلق الفعَّال لما يريد ... وحين نقول ذلك ... لا نعنى انعدام فعل المخلوقات وإرادتها ... ولكن ... لن تكون لك قوة على إبداء فعل فى عالم الأداءات من تلقاء ذاتك ... ولا من تلقاء ما اعتمدت عليه من الأسباب ... فلك فعلك وللأسباب دورها ... ولكن إن لم يشأ ربك ظهور فعلك ما ظهر ، وإن لم يشأ أن ينفعل لك السبب ما انفعل ... وإن شاء لعدمك نتيجة السبب ، وإن شاء لفعل لك بلا سبب ، وبلا فعل منك يجعلك فيما صرتَ فيه ... بسبب أو بغير سبب ...!

والفعل بالأسباب ... هو الفعل المعتاد طبقاً لنواميس الحياة الدنيا ... وهو ما تعودنا عليه بل وأدمناه ... ولكن ليكن اجتهادنا فى الأخذ بالأسباب سعياً للنتائج ... من باب أننا نفعل أقصى ما بوسعنا من الإجتهاد فى الأخذ بالأسباب ... وعلى الله بلوغ النتائج ...

والأمر برمته لن يُحمِّلك بتغيير مسارات حياتك وأسلوبها ... ولكن فقط ليكن قلبك عامراً بالتوكُّل على الله الفعال لما يريد ... حق التوكُّل ... وبمعنى ... وقبل أن تبدأ فى التعامل مع الأسباب ... أية أسباب ... توكَّل على الله يقيناً ... مؤمناً أنه الفعال بالحقيقة .. وأنك تأخذ بما أتيح لك من أسباب ... لأنها هى غاية ما تستطيع فعله فى ضوء ما تعلم ...

ولكن لا تركن إلى الأسباب ... فتكون عن خالق الأسباب بعيداً ... ولحقِّه ناسياً ... ولفضله جاحداً ...

ولا تركن إلى لفظ التوكُّل ... مُتواكلا ... غير مجتهد فى الأخذ بأسباب الحياة ... فتكون عمَّا رزقك به من نعمة الأسباب غافلاً ... فتقعد ملوماً محسوراً ...!

وكما علمنا رسول الله ﷺ أن الإيمان ما وقر فى القلب وصدَّقه العمل ... فإنه - بالتالى - لا ينبغى للمؤمن الحق ... أن يكون لديه انفصام تعايش بين يقين قلبه الإيمانى ... وبين عمل جوارحه ... فيجب أن يُحْكَمَ قلبه بيقين توكُّله على ربه الوكيل ... وتعضده أفعال جوارحه ... بأن تكون خادماً لصدق

ما استقر فى قلبه ... وبلغة بسيطة ... أن تتفاعل جوارحك مع الأسباب ... وتتوكّل بقلبك على ربِّ الأسباب ... ولا تنتظر النتائج من فِعْل الأسباب ... ولكن من ربِّ الأسباب ... ولأن الإنهماك التام والتسليم الكامل لعوالم الأسباب ... إنما يُدْخِلانكَ دون أن تدرى فى دائرة شرك خفية ... أنت لا تقصدها ...!

والتخلُّص منها بسيط جداً ... فقط أن يكون منهجك ...

... « يارب ... عليك توكلت ... وأدَّيتُ ما استطعت ... فبلِّغنى ما تُحبُّ وترضى » ... عوِّد نفسك على التعايش فيها وبها معنىً ومضموناً ... وأدِّها بأى لفظ يروق لك ... وأهم ما فى الأمر كله ... أن تعود بالأسباب إلى حجمها الحقيقى ... ويُوقِّر قلبك حقيقة فعالية ربك ... الفعال بالحقيقة لما يريد ...

فيا عُبَّاد الأسباب وأنتم لا تدرون ... عودوا إلى ربِّ الأسباب ... تُحْكِمُوا سيطرتكم على الأسباب بربها ... وليست الأمور مجرد تفاعل عنصرين فى أنبوبة اختبار ... ولابد من تحقق النتائج المتوقعة ... لا ... ليست الأمور فقط مجرد تفاعلك مع الأسباب حين أخذك بها ... ولكنه هو تعالى ربك وربها ... فدعه يوفق بينك وبينها ... لأنه هو المهيمن الوحيد عليك وعليها ... فكيف لا تدعو كبيرك وكبيرها ... لحضور مناسبة تفاعلكما ... رغبة فى ميلاد نتيجة مستهدفة ...!

ولاحظ أن المخلوق الوحيد الذى لا يقول توكلت على الله - أبداً - هو الشيطان اللعين ... وتلاميذه النجباء الكفرة والملاحدة ... والعصاة من أصحاب الأديان ... حين يهمون بارتكاب المعاصى ...

فغير منطقى أن يتوكلوا على الله ... الذى هو ربُّ الطيبين ... لمساعدتهم فى بلوغ الأداء العصيانى لمراده ...!

وإبليس اللعين هو إمام عُبَّاد الأسباب ... والموسوس للنفوس بالإنهماك فى تقديس الأسباب وتزيينها ... ولأنه كان للرحمن عصياً ... فلا تتوقعنَّ منه سوى صرفك بأى ثمن عن ربِّ الأسباب وخالقها ... مُسْتَغِلاً الميل التلقائى من النفوس ذواتها ... لممارسة هذه العبادة الغريبة ...!

فاستعذ بالله منه ، وتوكَّل على الحى الذى لا يموت ، واجتهد ما استطعت فى الأخذ بجميع ما يتوافر لديك من الأسباب ... ولا تشرك مع فعالية الله تعالى أى سبب أخذت به ... فى أى نتيجة حققتها ... أو تريدها ... ولو حتى بمجرد اللفظ ... لكى يكون قولك موافقاً لما استقر فى قلبك ... ولئن فقدت أى قدر وأى نوع من الأسباب ... فلا تيأس لأن معك رب الأسباب ...

... وقد يبتليك الله فيما تأخذ به من أسباب ... ليسمع صوتك وظنك به ... وليذكِّرك - محبة وعتاباً - أنه هو ربك ورب الأسباب ... وليقول لك ... كيف يا عبدى ترتمى فى براثن الأسباب المخلوقة ... وتنسى من خلقها وأعطاها لك ... وإن شاء سلبك إياها ... وإن شاء عطَّلها ... وإن شاء أعطاك بدونها أعظم مما يعطيك بها ...

ولئن توكلت على رب الأسباب كفـاك ... حتى وإن عدمت جميع الأسباب ... فاركـن إلى الركـن الشـديد ... ولا تَرْكَنْ إلى فقاعات السراب ...! ... واعلم أن خالص التوحيد .. إنما ينفى تماماً شبهة الوجود لأى شريك ... فكيف لمن هو غير موجود فى قلوب الموحِّدين ... أن يكون من الفاعلين ...؟!

فقد كان سيد الأولين والآخرين ﷺ يكثر من الدعاء ويُعلِّمه لأصحابه ... بأن يجعل الله - جل شأنه - الدنيا فى أيديهم ولا يجعلها فى قلوبهم ... فخالص التوحيد ... هو وحدانية المعبود بحق فى قلبك ... وفناءُ كُلِّ الصور اكتفاءً بالـمُصوِّر ... والذى شأنه وحاله أزلىّ أبدىّ باق ... وما عداه زائل .. ولا يستوى الباقى والزائل ... ولا الذى ليس كمثله شئ ... مع أى شئ تشابهه الأشياء ...

واعلم أن المصورٌ ... هو الذى أعطى كُـلُ الصور ... جميع ما تراه أنت وما لا تراه وجميع ما تفهمه وما لا تفهمه من صياغة ورتوش وإخراج نهائى ... ولئن كانت هناك فعالية مفهومة للصُّوَر... فبفعل المصورٌ كانت هى ... ومنه استفادتها ... ولئن كانت هى الزائل وهو الباقى ... وكان مقصودك تمام الفعالية ... فاقصد فعالية الباقى ... ولا تقصد فعالية زائلة فى صورة ... مجرد صورة ... فتكون الباحث عن حق فى باطل ... أو باقٍ فى زائل ...!

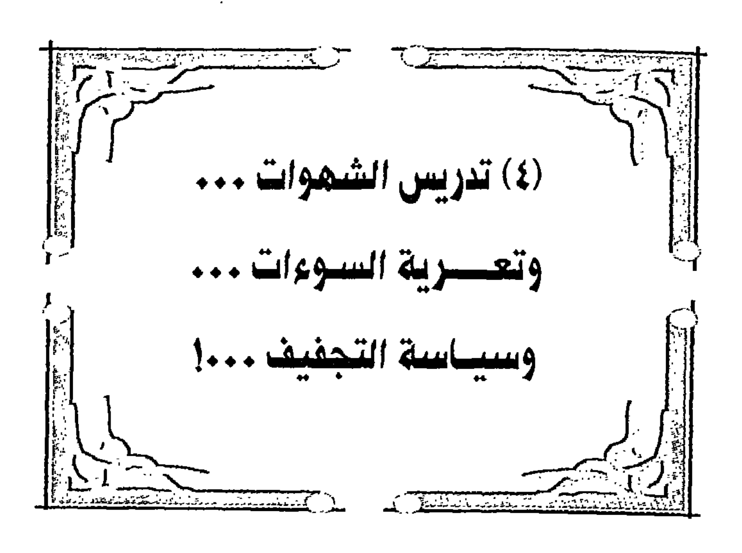
ولا تشُرك فى قلبك ووجدانك وصميم نفسك معه ... فعالاً آخر ... حتى وإن كنت به من الآخذين ... لأن أخذك به ... إنما هو مجرد سعى لتمام ونجاح حركة الحياة ... وتطبيقاً لقوله جل شأنه ... « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » ... فالأخذ بالأسباب أنت به مأمور ... ولكن لا تنظر للأسباب بأكثر من كونها وسيلة وسيطة ... تماماً كالسُلك الذى تسرى فيه الكهرباء ... وكذلك يكون تقديرك للأسباب ... أنها مجرد مُوصًل وسيط ... تسرى فيه فيوضات رب الأسباب ... ولا كرامة ولا قدرة للسلك فى حد ذاته ... فللتيار السارى مصدر آخر ... لا فضل للسلك فيه ...

هكذا الأسباب ... وهكـــذا ربك ورب الأسباب ... وله تعالى المثل الأعلى ...

... « وإن الشرك لظلم عظيم » ...

....

....



(٤) تدريس الشهوات ...
وتعـــرية الســوءات ...
وسيــاسة التجفيف ...!

....

... « يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير ..» [1]

حقاً لقد خلقنا الله ... وهو بنا خبير عليم ... وقد أحاط - تعالى - بنا ... ورأى فينا ما لا نراه وإن وقفنا أمام أعظم المرايا ...!

.. ولِمَ لا .. ونحن صنعة يديه .. واختيار مراده الأقدس ...

ولئن كان أعظم تكريم لنا ... أنه فضُلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً ... واصطفانا لما لم يصطفِ له سوانا ... فقد ألبسنا لباس التكريم والكرامة ... لباس سِترٍ يحجب عن جميع المخلوقات عورات نفوسنا وسوءاتها ...

... ولئن كانت للأجساد سوأة ... فللنفوس سوءات وسوءات ... ولباس التقوى ستور لكل ما استقر من عورات وسوءات بالنفوس ...

وكما خَلَقَنَا ونفوسنا ... فقد علم بما ستكون عليه النفوس ... فأسدل عليها ستور حفظه ... وعلّمنا كيف نُحْكِم إسدال الستور ... وكيف تستتر النفوس ... وكيف لا تكون سوءاتها أو عوراتها متداولة بعلانية على قوارع الطرقات .

فإن كنت لا تقبل أن يرى الآخرون سوأة جسدك ... فهى قد سُمِّيتْ سوأة لأن كشفها يسوء صاحبها ... فقد سُمِّيت - إذن - بناتج كشفها ... وليكون سترها هو دائما مراد صاحبها وسعيه ... ولذلك فأنت لا تقبل أن يرى منك الآخرون ما يسوءك ... هذا بخصوص جسدك ...

---

(١) الأعراف : ٢٦ .

ولكن بخصوص نفسك ... فلا أعتقدك تلتفت إلى سوءاتها ، ولا إلى ما يبدو منها ، لأنك لم تتعود ذلك ... فقط وبحكم عدم التعود ... وإن كان احتياجنا لستر سوءاتها لا يقل إلحاحاً عن احتياجنا لستر عورات الجسد ... ولكننا لم نتعود أن لنفوسنا سوءات ... ولهذا ... كانت أمراض الإحتكاك بين البشر عالية النبرة ...

فجميع التعاملات ... وما يغلبها من صراعات ومشكلات ... أطرافها بشر أصحاب نفوس ... وجميع ما يكون من أطراف التعامل مع بعضهم البعض ... وما يشعرون به من عدم رضاء ... بل وضيق وحنق على الآخرين ... إنما هو صراع سوءات نفوس المتعاملين ...!

والسوأة النفسية ... إنما تظهر فى صور عدة ... وبشكل مباشر أو غير مباشر ... فالطمع سوأة نفسية ... وفرط الإشتهاء سوأة نفسية ... والخوف سوأة نفسية ... والتردد سوأة نفسية ... والتعالى سوأة نفسية ... والأنانية سوأة نفسية ... والحقد سوأة نفسية ... والحسد سوأة نفسية ... والكراهية سوأة نفسية ... وفرط اللين سوأة نفسية ... وفرط الحساسية سوأة نفسية ... والتسلط سوأة نفسية ... والتهور سوأة نفسية ... الخ ، مما لا يعد ولا يحصى من السوءات النفسية ... والتى تنعكس جميعها بشكل مباشر وتلقائى خلال التعاملات البشرية الحياتية المعتادة ... أو بشكل غير مباشر وعلى هيئة خطة أداءات ملتوية لتحقيق مآرب سوءات النفوس ...

إذن فإن كان للجسد سوءاته المعدودة ... فللنفس ما لا يعد ولا يحصى من السوءات ...! وإن كان يسهل علينا ستر سوءات الأجساد ... إلا أنه يصعب بل ويستحيل علينا فى حالات كثيرة ستر معظم أو بعض هذه السوءات النفسية ... أو كحد أدنى ... ستر بعض أبواق نفيرها الصاخب ... وجموحها غير المهذب ...

فهذه السوءات النفسية هى حقيقتنا العارية ... وهى أمام أى صحيح نفسياً مقروأة ومفهومة ... ولكن قد يمكننى الجزم أنه لا يوجد صحيح نفسياً بالكلية ... لكى يستطيع قراءة سوءاته ... وبالتالى سترها جميعاً ...!

والإنسان عموماً يعلم عن نفسه قدراً من سوءات النفس ... ويجهل القدر الأكبر ... ويتفنن فى قراءة سوءات الآخرين من خلال تعريتهم ...!

وهذه السوءات النفسية هى قوى التحريك الأدائى الحياتى الغالبة جنباً إلى جنب مع الأخذ المتوازن بالأسباب لضمان سير عجلة الحياة ...

والأخذ المتوازن بالأسباب ... هو المطلب المعتدل من جميع المتحركين مع عجلة الحياة ... ولكن قلما تجد الآخذ بالأسباب باعتدال ... ولأن هذا الإعتدال فى الأخذ بالأسباب ... إن التزم به جميع بنى البشر ... لتوازنت بهم الحياة ... سواء أخذوا به على مستوى الأفراد أو الأسر أو المجتمعات أو الدول ... الخ . وإن كان الأخذ بالأسباب ... هو جوهر حركة الحياة ... فإن هذا الجوهر ما استقر يوماً ... ولن يستقر حيث يجب أن يكون ... تأثراً بأمراض نفوس الآخذين بالأسباب ... أفراداً ... ومجتمعات ... ودولاً ...!

... أمراض نفوسهم ... والتى هى سوءاتهم الحقيقية ... والتى ثارت وأعلنت التمرد والعصيان على كمونها ... وظهرت فى قروننا الحالية وبلا حرج على سطح الأحداث ... ولم يعد هناك مجال للعيب أو للحياء ...!

« ... يا بنى آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير » ...

فالله تعالى حين أنزل على خلقه محكم تشريعه ... لم يرد لهم الشقاء ... ولم يرد عليهم تضييقاً أو كبت حريات ورغبات ... لم ينزل شريعته عليهم لجعلهم داخل سجن وهم السجناء خلف قضبانه ... بل جعلها ضبطاً لك ولصالحك فهو لم يُقَنِّن عليك واستثنى الآخرين ... بل عليك وعليهم يسرى ما سَنَّ ... وإن سرى عليك وطبقت ... أمن الآخرون منك وحفظ لهم نفوسهم

ومالهم بتقييدك ... وبسريان نفس الشريعة عليهم وبتطبيقهم لها ... أمنت أنت وبكل ما يخصك ومن يخصك منهم ... وبالتالى ... يكون بشريعته حفظك وحفظهم فهى محض حفظ لعباده وليست سجناً لهم ...

واللباس الأساسى الذى أنزله تعالى لنا ليوارى سوءاتنا ... هو لباس الشريعة ... « لباس التقوى » ... أو « مكارم الأخلاق » والإنضباط بالله ولله ، ... ولئن ارتدى أحدنا لباس التقوى حق ارتدائه ... لما ظهر من سوءات نفسه ما يعانى منه الآخرون وهم يتعاملون معه ... ولأمنوا بتقواه شرور نفسه وأمراضها ومطلوبات سوءاتها ... !

وفى غياب « لباس التقوى » ... تحيا البشرية .. فى صراع علنى للعورات المكشوفة ... فى عالم بلا حياء ...

.. « ... لباساً يوارى سوءاتكم وريشاً .. » .. و « الريش » هو « اللباس الفاخر » وكذلك هو .. « المال » و «الخصب » و « المعاش » ...

فهو سبحانه وتعالى ... وإن كان قد أنزل لك ما يوارى السوءات ... فقد خلع عليك مفخرة وكرامة .. فأنت خليفته ... ولذلك فإن كان قد أنزل لك ما يغطى الأساسيات ... فكأنما ألبسك ملابسك الداخلية ... وأنزل عليك ريشاً ... وهو ما ألبسك إياه بالتكريم والإصطفاء ... والذى هو زينتك النهائية ... أو ملابسك الفاخرة الخارجية ... وقال لنا هذه هى أسباب الحياة التى رزقتكم بها ... فاسعوا فى مناكبها .. وكُلوا من رزقه ....

.. « ... فوسوس لهما الشيطان ليُبْدِىَ لهما ما وُرِىَ عنهما من سوءاتهما .. »[1] ... « ... ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ... »[2] .

---

(١) الأعراف : من ٢٠ .
(٢) الأعراف : من ٢٧ .

... أرأيت ...

إن الشيطان الرجيم ... يقصد غاية ما يقصد أن يُظْهِرَ عدوه الإنسان فى أبشع صورة ... عارى السوءات ... مفضوح الكوامن .. مهتوك الأستار ...

.. « ينزع عنهما لباسهما .. » ... إذن فمراد فعله .. هو تعرية سوءات بنى آدم ... أتتخيل بشاعة المنظر وهول الفضيحة ... !

يقودك لتكون عارياً بادي السوءات ... مكشوفاً بلا ساتر ... وظاهراً مُعْلِناً عن نفسك بأقبح ما فيها ... !

وهو النازع اللباس ... وأنت الموافق على هذا النزع ... فتكون للشيطان على نفسك ظهيراً ومُعينا ... وهو لن يراه أحد ... ولكن الفضيحة فضيحتك أنت ... !

وهو يريد أن تعيش سنواتك عارياً ... مكشوف السوءات ... المادية والنفسية ...

ولعلنا الآن فى عصر السوءات العارية ... من كل نوع ... أفراداً ومجتمعات ودولاً ... !

بل والتبارى العلنى فى التفنُّن ، لإظهار فحشها وعريها بالشكل الأكثر إثارة وجاذبية ... وتحت مُسمَّيات لا حصر لها ... مع إكساب ذلك صبغة الإحترام والشرعية ... سواء بمسمَّى .. قرار دولى ... أو قرار حكومى ... أو الفن والإبداع ... أو متطلبات إقتصادية ... أو أمن الدول .. أو أكل العيش ... أو الشرعية الدولية ... أو التحضُّر ... إلخ ... من العديد من الأقنعة الزائفة والأفكار الإبليسية والنفسية المريضة ...

بل ولقد صار الهدف الأسمى الآن ..تجفيف كافة ينابيع مكارم الأخلاق فى عقول ونفوس الأجيال الجديدة ... من خلال إبعادها تماماً عن قال الله وقال الرسول ... أو قال موسى .. أو قال المسيح ... أو قال أى عاقل !

وبنظرة سريعة على قنوات التليفزيون المصرى - على سبيل المثال - تكتشف أنك أمام بث يأتيك من وراء الجاموسة .. ! ... وجميع من ساهم فى بث هذا إليك هم مجموعة من الهواة ... أصحاب وجبة ملل ... لابد لك من تناولها مرغماً .. أو الإشتراك فى القنوات الفضائية والمريخية والشمسية والقمرية .. ! أو تكتفى بأن تكون صاحب طبق استقبال فاخر .. يبث إليك الرذيلة من جميع دول العالم المتحضّر ، والذى نزع لباسه الداخلى والخارجى وأخذ يستعرض سوءاته جميعها بلا خجل أو حياء ... وأدرْ مؤشرات الإستقبال لديك على عاصمة الخلافة الإسلامية السابقة ... وسترى هول الفضائح التى لا تُعَدّ ولا تُحصى ... ، حقاً إنها قنوات تدريس الفحشاء .. وفنون إجادتها ...!

ياسادة ... نريد أن نسمع ونرى ممن لا يزالون يرتدون لباسهم الداخلى ولباسهم الخارجى .. أو حتى الخارجى فقط ...!

ولعلك تتفق معى ... أن قدوة العالم وربّتَه الوحيدة التى لا شريك لها ... بلا شيء يسترها ... ولا حتى ورقة توت ...!

وها أنت تراها داخلة .. خارجة فى العراق .. هى وذيلها الشائخة التى غابت عنها الشمس والكواكب والنجوم وكل شيء ... وكأنما هى تكيِّة بلا بواب ... ! لأن العراق - وبصرف النظر عن أي شيء - ليس نداً لهما ... !

فَتّشُوا كلَّ شيء ... حتى تحت أسرةّ نوم صدّام .. وفى كل شيء ولم يجدوا شيئاً ... ولم يبقَ سوى سوتيانات حَريم العراق علّ صدام قد أخفى بها شيئاً بين صدور نساء بلده ... !

هم يبحثون عن شيء لم يعلنوا حقيقته .. يبحثون عن « البابلى » مُبيد إسرائيل المنتظر والذى يسبق المهدى ... وقد جاء ذكره تفصيلاً بالعهدين القديم والجديد .. وفى مواضع عدةّ ...

أغبياء ... هو ليس هناك ... لا مكاناً ولا مَوَاطنَة .. !!!!

فارفعوا أيديكم عن العراق ... هو ليس هناك ...

وبليبيا الشقيقة فعلوا ما فعلوا ..وكأنما أحالوا الأرض لسجن كبير ... ووضعوا فيه ليبيا ... ومحظور كذا .. وممنوع كذا ...

وغير هذا كثير .. كثير .. كثير ... ولا يجمع بين هذا الكثير سوى تَجَبُّر من لا شريك لها وعفن سوءاتها العارية ... ولكن لينتظروا المفاجاة ... من هناك إن شاء الله ... !!!

وإن كان حال سيدة العالم وربَّته الواحدة بلا شريك ... هو هذه الحال المُتدنِّية ... فلعل حال رئيسها الأوجه قد غابت عنه جميع أنواع الأخلاق والعفة والحياء ... بل وتزداد بمرور الوقت ومع تعالى رائحة عفن أخلاقه وسلوكياته ... - تزداد - شعبيته لدى المواطن الأمريكى السوبر - سيد كل مواطنى الكرة الأرضية - والذى لم يرَ فى سلوكيات رئيس دولته ... الجنسية العلنية الفاضحة أى عيب من أى نوع ... ولا حتى فى فستان البنت المسكينة « المبقَّع » ..!!!

ولم نسمع أنه من جرائم الرئيس الأمريكى .. أو حتى فى قائمة الإتهامات الموجهة إليه .. أنه حتى ... قد أخلَّ بشىء مكتوب في أية شريعة سماوية ... بل أن ما استقروا عليه ... وركنت ضمائرهم إليه ... أنه « كذب » ....! فقد كانوا يريدون اعترافه ... « عملت ولَّا ما عملتش » .. ؟! فقال « معملتش » ... واكتشفوا إنه « عمل » .. !!!!!

لاحظ أنه « كذب » ... وحاول أن يعرقل سير العدالة .. من خلال تغيير مسار شهادة البنت المسكينة صاحبة الفستان ذى البقع التاريخية ... والذى كانت تحتفظ به كتذكار أبدىً بما عليه ... لأن ما عليه يخص رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ... وهو شىء أعظم من أن يُمحَى بالغسيل ... !

وقد اعترفت المسكينة فيما بعد أنها لا تعرف هل سيعيدون لها الفستان المبقَّع أم لا ... طبعاً لأن ليس لرئيس أمريكا بقع أخرى على فستان آخر لديها ... !

واعترفت كذلك بأنها أخفت على الرئيس خلال علاقتها به ، أنها كانت على علاقة كاملة بشاب آخر ... وأنها قد حملت منه سفاحاً ... خوفاً على مشاعره ... !

وتمطّعت عدالة سيدة العالم بلا شريك ... وصالت وجالت ... وفى النهاية « طلع الموضوع مجرد طيش شباب .. وخلاص الولد غلطان ... وما تعملش كده تانى .. » ... !!

ووقف سيد العالم الوسيم يستدرُ عطف وتعاطف الناخب الأمريكى - فقط - وقد كان ... وكسب شعبية غير مسبوقة ... ولأنه لو كان منهم .. مَنْ هو بلا خطيئة .. لرماه بحجر ... ! ... ولكن يبدو أنه ليس لديهم فكرة أساساً عن موضوع الحجارة هذا ..!

أما من حيث كون سيد العالم يكشف سوأته لمن يشاء ... فهذا موضوع يخص زوجته .. التى أنجحته فى الإنتخابات من خلال جمع أصوات الشواذ بعد أن أجزلوا لهم الوعود ... !

أما من حيث أن هذا هو رئيس سيدة العالم ... والمتحكّم فى مصير خلق الله على سطح الكرة الأرضية ... هو وشمطاء خارجيته اليهودية وباقى الفريق ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ...

صار غير الطاهرين سادة على كل السادة فى عقر ديارهم .. بل ويتحَكّمون فى مصائرهم ..

وعند الكيل ... فلدى سيدة العالم آلاف المكاييل والموازين ... وكل متعامل له ما يناسبه طبقاً لوضعه العام وكم يساوى ... ومن لا يرتضى بتلك المكاييل والموازين عليه أن يقوم بوزن ما يريد فى مكان آخر .. ولن يجد ، فالوازن الوحيد المعترف به على الكرة الأرضية هو أمريكا وحدها لا شريك لها ...!

أما اليافطات الدولية والتى تحمل عناوين عدة .. مثل « الأمم المتحدة » أو « مجلس الأمن » ... أو « حلف كـذا » ... أو ... أو ... فكل هذه مسمَّيات ... كانت تحتاجها أمريكا سابقاً بعض الشىء ، ولتغطية قدر ما من عرى سوءاتها ووقاحة سلوكها ... لكنها لم تعد الآن فى حاجة إليها ... فلم تعد أمامها أية قوى دولية تحسب حسابها ...!

وصارت سوءاتها مكشوفة وبلا خجل ... بل وصارت تمارس الدعارة السياسية علناً وفى وضح النهار ...

وعالم العرب والمسلمين ... ذوو عطب فنى جوهرى عطَّل انطلاقهم من زمن ، وعاد بهم قروناً إلى الوراء فى كل شىء ... عطب خطير تمثل فى معظم ساستهم وحكوماتهم ... والذين كانوا باستمرار أوصياء على شعوبهم ومؤدِّبيهم طول الوقت ... وإن كانت هناك مسموحات فى الأداء الصحفى أو الإعلامى أو فى أى مجال آخر فى بعض هذه الدول ... فتجد القصائد المدحية ... فى أن الحاكم قد تفضَّل وميَّز عصره بالديمقراطية ... و ... و ... و ...

نعم ... كل ما يحصل عليه مواطنو هذه الرقعة المظلمة ... كان فقط مجرد ممنوحات وعطايا ومسموحات من الحُكَّام ...

وليس هؤلاء فقط هم أصحاب السوءات البادية فى الموضوع .. ولكن شعوبهم استمرأت بل وأدْمَنَتْ العيش ومسايرة الأمر الواقع كما هو ... فَخُتِمَ على حياتهم ...!

وكانت لحظة المواجهة الأليمة بين مجتمعات تخلف العرب والمسلمين ... مع ما وصل إليه العالم من تقدم مذهل ... أدَّى به إلى القوة والسطوة ... والهيمنة على مُقدَّرات الأرض ومَنْ عليها ... وأدى بالآخرين إلى المزيد من التخلّف .. !

بل ومن هؤلاء المهيمنين يمكنك تصنيف ... السوبر سادة ... ثم السادة ... ثم العاديين ... ثم قعر القفة ...!

وإذا عُدنا إلى الساسة والحكومات العرب والمسلمين الحاليين ... لوجدناهم قد ورثوا تركات بها أثقال وأحمال .. عجيبة وغريبة .. تمثل تراكمات ما سبق من أجيال وحكام وحكومات واحتلال واستعمار ... وقرارات .. وأخطاء ... وأطماع ... إلخ ...

ولو وضعنا أنفسنا مكانهم ... لأدركنا قسوة المواجهة مع العالم والإنفتاح عليه ... لحرج موقفنا فعلاً ..!

والمشكلة أنهم حكام هذه الفترة الحرجة ... والتى تشهد المواجهة مع عالم الهيمنة .. والحلف الواحد .. والذى تتسابق كل الدول لنيل شرف الإنضمام إليه .. بالرغم من أنه لم تعد هناك أحلاف أخرى فى مواجهته ..! إنهم حُكّام الفترة الصعبة والحرجة ... وللأسف لا نستطيع أن نطالبهم بالإعجاز الأدائى المفاجىء ...! ولكن ... لا يزال هناك الكثير والكثير جداً والذى يمكن عمله ... فى زمن انكشاف السوءات الدولية .. واختفاء مُسمّى الفضيحة ...!

إن الشيطان لايُصَنِّع لك قُبْحاً ، ولا يخلق لك سوأة هى غير موجودة عندك ، ... أبداً ...لا تتّهِم الشيطان بأمراضك وبعوراتك ... لأن مهمته الأساسية « التزيين » وليس « الخلق » ...

.. « .. ربُ بما أغويتنِى لأُزَيِّنَنَّ لهم فى الأرض .. »(١) ...

ولقد كانت النتيجة نجاح خطة التزيين .. والتجميل .. وإظهار القبيح جميلاً حتى يُراد ويُرغَب ويُؤتَى ... « زُيِّنَ للذين كفروا الحياة الدنيا »(٢) « .. زُيِّنَ للكافرين ما كانوا يعملون .. »(٣) .. « .. زُيِّنَ لهم سوءُ أعمالهم .. »(٤) .. « .. زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسناً .. »(٥) .

---

(١) الحجر : من ٣٩ (٢) البقرة : من ٢١٢

(٣) الأنعام : من ١٢٢ (٤) التوبة : من ٣٧ (٥) فاطر : من ٨

إذن فخطة كشف السوءات .. إنما هي جزء من الأداء التزيينيّ العام كخطة إبليسية عامة ...

ولا يتأتىٌ كشف السوءات إلا بتزيين ضخم .. وقوى إقناعيه غير عادية ... ولذلك تجد الآن .. الناس في كل مكان ... وقد بدت معظم - إن لم يكن كل - سوءاتهم النفسية في معترك حياتهم ومسيرتهم العامة والخاصة ... وكذلك الدول خاصة « السوبر » ... ولا وقت لستر عورة ...! ... ولا خجل .. من اكتشاف المرادات الحقيقية الحقيرة ...!

أضف إلى ذلك أن زمن الحياء قد ولّى وبلا رجعة ... وانفلت زمام التعرٌى المادى المباشر .. وبشكل غير مسبوق ... بل وتجميل هذا العرى بمسميات عدة مثل الفنون والإبداع ... ومتطلبات الذوق المعاصر ... وتوظيفه في قوالب درامية وموسيقية ماجنة ... حتى لا يكون الموضوع مجرد عرض خامات عارية .. لا .. بل لابد وأن يتم توظيفها ...

وفى بلادنا - أعانها الله - لم تعد القضية الشرعية بمحل اهتمام يُذكَر .. وبدليل تخاذل المجتمع وقوانينه عن مواجهة المجون والعرى والخلاعة ... ومنتديات الرذيلة المنتشرة تحت مسميات عديدة ... مثل الملاهى الليلية ... وقاعات الديسكو ... والمراقص المنتشرة فى كل مكان ... تُقَدٌم لروادها الخمور ... وما يستطيعون .. من وصلات التهتك والمجون ..

... وبالله كيف تكون المنافسة بين أولئك سوى بالتبارى في المزيد من إرضاء إخوان إبلَيس - الزبائن - ... لضمان أكبر نسبة إشغال وأكبر عائد ممكن ... لم تعد هذه الأماكن الساهرة حتى صباح كل يوم ... سوى أماكن رسمية .. تُحصٌل منها الضرائب ، أو حق الدولة ...!

حتى الراقصة .. تجد مندوب المؤسسة الضرائبية مُلازماً لمرقصها .. ليحسب كَمّ « النقوط » الذى حصلت عليه فى وصلتها ... وحتى يُحصٌل منه حق الدولة ... !!!

أيُّ حق هذا الذى يُسَمِّم علينا حياتنا .. وكيف تخلطون بين حلال وحرام وتريدون أن يبارك لنا الله فيما نحن فيه ...؟!

وكيف يكون فى خزينة الدولة مثل هذه الأموال ... ومثل إيرادات تحصيل الرسوم الجمركية والضريبية على الخمور ... ومثل الإيرادات المُحصَّلة من نوادى القمار - والتي قيل أنها فقط للأجانب - ومن العائد الضريبي على الإيرادات المُتحقِّقة لأى تاجر مخدرات يقع فى قبضة أجهزة الأمن ... وغيره كثير وكثير ...!

إن كانت الحكومات لا تُميِّز بين حلال وحرام ... فَلِمَ تحاربون مَنْ يمارس الحرام على نطاق فردى ... ؟! ... ألأنه ليس حكومة ... ؟!

إن الحرام بيِّن ... ومَنْ لا يراه فهو مُتَعَامٍ ... أى يصطنع العمى ... وهو ليس كذلك ...!

إن كانت « الخمور » - على سبيل المثال - مُحَلَّلة حكومياً .. من منطق تداولها وبيعها وتناولها - فى بعض دول منطقتنا - وبالتالى ارتزاق الدخل العام منها ... وهى تفعل ما تفعل بخلق الله ... فلماذا تُعْتَبر المخدرات حراماً وممنوعات لدى نفس حكومات هذه الدول ...؟! .. ويطاردون بائعها .. ويُجَرِّم مُهَرِّبها .. ومتناولها .. ؟! إن كانت هذه تسبِّب لكم دخلاً ... وأنتم تسمحون بدائرة تداولها الكاملة ... فلماذا تُحرِّمون الأخرى ...؟! ولا تسمحون بتداولها فى علانية ..؟!

إن الأمر لمحكوم بما هو ممنوع .. وما هو مسموح ... وليس بمنطق الحلال والحرام ... وإن كان العامل فينا هو منطق الحلال والحرام ... لكان أولى بنا تحريم الخمور قبل منع المخدرات .. فهى ممنوعة ومَجَرَّمة بقانون وليس بتشريع الله ... لذلك فالمهربون وتجارها .. إنما يضعون نصب أعينهم أن الذى شرَّع هذا .. هو نفسه السامح بالخمور ... وبالتالى فالأمر غير محكوم بشرع الله ... وتحايلهم إنما هو مجرد تحايل على قانون وضعى ... وليس على قانون سماوىّ .. وكما يتحايل أحدهم على قانون المرور مثلاً ...!

وإن كان القمار .. ونواديه متاحة فقط للأجانب ... فسحقاً لهذا الدخل الحرام ... ولزيارة هؤلاء الأجانب ... الذين لابد وأن يمارسوا هذه الرذيلة ... ونحن نوفرٌ لهم راحتهم .. ولأن الأمر متعلق بالعملة الصعبة ...!

وإن كان مَنْ « يُزَوِّق » امرأة للإرتزاق بها ... هو عار ما بعده عار ... ويُحكم عليه بأنه قوّاد يشجع الرذيلة ويدعو لها ... فبماذا - إذن - نُسَمِّى انتظار ممثل الحكومة - فى شخص مندوب مصلحة الضرائب - للراقصة المزوَّقة وهى تتلوى يومياً شبه عارية ...فى جو ومناخ عامرين بكل تهيئة ذميمة لتحصيل نصيب الدولة من عرق الراقصة ...؟!

وفى حالات غريبة تكون هناك مَحَاضر ... لبعض الراقصات ... لأن بدلة الرقص لم تكن بالإحترام الكافى ...!

بالله عليكم ... كيف يُقيِّم هذا الذى يقوم بالضبطية بدلة الراقصة .. وهل لديه نموذج نمطى لبدل الرقص ... بأن الواجب ظهوره من صدرها ... كذا وكذا ... والواجب ظهوره من ساقيها .. كذا وكذا ... ومن ... كذا وكذا ...... ومن ..... كذا وكذا ...... إلخ ... وبالتالى فهو قارن هذا بذاك ... ووجد خروجاً عن المعايير ... أو خروجاً عن النص ..؟! ... وكيف يُقيِّم التالون لهذا الرجل - صاحب الضبطية - أمر البدلة ..؟!

ولقد تملكتنى الدهشة .. وأنا أطالع بالصحف .. تصريح فضيلة الأستاذ الدكتور « المُفْتى » - مفتى مصر - بأن « رسوم الملاهى » لا تتفق مع الشريعة الإسلامية ... وأنه يجب تعديل القانون الخاص بذلك ...!!!

ويا سبحان الله ....

أضريبة الملاهى لا تتفق مع الشريعة الإسلامية ... بينما تتفق الملاهى نفسها مع الشريعة الإسلامية ...؟!

فضيلةَ الأستاذ الدكتور المفتي ... كيف أفتيتَ بعدم شرعية الرسوم التى تحصلها الدولة من الملاهى ، وسكتَّ تماماً عن الملاهى ذاتها وكل ما يدور بداخلها ... وعن كونها نجس فوق أرض طيبة ...؟! ... هل سكتَّ أم قلت ولكن صوتك لم يصل إلينا ... ؟! ... فإن كنتَ قد قلت ولم يصل صوتك إلينا ... فعليك وبعد نشر ما تم نشره عن لسانك ... أن تُصحِّح حقيقة قولك ... ولابد لنا من قراءته ... أما إن كنتَ من الساكتين .. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ..!

ولئن كنتَ تفتى لترضى الله ... وأنت تمارس مهام عملك ... فحديثى موجه إليك ... وإن كنتَ فقط تمارس مهام عملك ... فحسبنا الله ونعم الوكيل ... وإن كنتُ أعتقدك - إن شاء الله - من أهل الأولى ...

وما أقوله لك بخصوص فتواك حول ضريبة الملاهى ... أقوله لك أيضاً عن كل ما نعايشه مضطرين فوق الأرض الطيِّبة ..وأنا لا أحمِّلك بأكثر من طاقتك ، .. لكنى أطلب منك .. عدم انتظارك للدولة حتى تستفتيك فى أمر ما .. فتدلى بدلوك الشرعىَ مُعْلناً فتواك ... ولكن ... قُمْ - مشكوراً منا ومن الله - بإعطاء الدولة ورقة توجيه شرعىّ ... عن كل ما يُفسد علينا شرعية حياتنا وحياة الطيبين ... وأجرك على الله ... وكان اللهُ شاكراً عليماً !

ولاحظ أن فعلك هذا ... أولاً هو من صميم عملك ... حتى وإن أخذت أنت المبادرة ... ثانياً ... أنه أداء دستورىّ منك يتفق مع ما تم النص عليه فى الدستور المصرى ...

فإن كان الدستور ينص صراحة أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع ... فأطالبك أمام الله ... أن تُقدِّم « ورقة التوجيه الشرعىّ » ... والفت الأنظار - وكحدٍ أدنى - إلى أن ما نحن فيه غير دستورىّ ...!!!

ياسادة ... اتقوا الله ... ولا أقولها بصراخ الدراويش ، ولا بتشنج أرعن أحمق ... أقولها كلمة حق لوجه الله ... إن أردتم صلاحاً لأمر الرعية فاتقوا الله ... يرزقنا من حيث لا نحتسب ... ولستم برازقى أنفسكم حتى تلجأوا لمثل ذلك ... « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض .. »(١)

ألم أقل منذ البداية ... أن التركة ضخمة .. ذات أعباء ثقال ... تحمل جبال التراكمات ... من حكومات متتالية ... وأجيال رئاسية متتابعة ... وأجيال رعيّة متراخية منذ حقبة بعيدة ...

نعم .. ولهذا قلت ... إن مجرد مطالبتنا بالطفرات الإعجازية المفاجئة من حكومات دولنا ...لبمثابة الأمر المُحال ... لأن العبرة ليست بالإبلاغ وترك الأمور بمنطق ... إبداء النُّصح مستحيل التحقق ... « وأنا قلت وخلاص » ... لا ... إن أردنا إصلاحاً ... فلنضع أنفسنا مكان متخذى القرار ... وسنعلم لحظتها ... أن الأمر جدٌ خطير .. بل وأثقل من ثقيل ... !!!

ولكن ذلك يتطلب خطة طويلة الأجل ... بها أداءات مرحلية .. واضعين نصب أعيننا مراداتنا النهائية ... ولننتظر تحقق النتائج المرحلية ... وحتى وصولنا للنهايات ... جيلاً بعد جيل بعد جيل ... هذا إن أردنا إصلاحاً ...

ولكن الخطأ الفادح إنما يكمن فى إبقاء كل شىء على ما هو عليه ... وترك الأمور بكليتها وبمزيد من التراكمات لأجيال الزمن الآتى ... ولحظتها لن يمكن علاج الأمور زائدة التراكم بشكل مرحلى ... ولكن للأسف لابد وأن تشهد الأمور منطق « مشرط الجرَّاح » ، ولأن الأمر سيكون أضخم وأعظم من مجرد « وضع خطة علاج » ...

---

(١) الأعراف : من ٩٦ .

نعم يا سادة ... نحن هذا المريض الذى يحتاج فوراً لبداية خطة علاج ومهما احتاجت من الوقت ... ولكن لنبدأ ... وحتى ننقذ أجيال الزمن القريب الآتى من الإنفجار ... ولأن الإنفجار لحظتها سيؤدى لعظيم التصدع والمتاعب إلى أن يأتى بثماره ... هذا فى نفس الوقت الذى سيُطلَب من هذه الأجيال الصلابة فى مواجهة العالم كله ... ولأن القرن القادم هو قرن المواجهة لا محالة ...!

فكيف لغير مُهَنَّدم من داخله ... أن يواجه خارجَه ما يجب أن يواجهه ... ولا تسأل عن صلابته لحظتها ...!

فإن أردنا القوة - بكل معانيها - مع الغير ... فلابد لنا من بناء دواخل أنفسنا أولاً ... وإلاستكون مواجهتنا مع الغير ... فقط مواجهة الكثرة العددية الممزَّقة داخلياً والتى لم تُبْنَ كما ينبغى ، وليس الإحترام بحليف الكثرة ... بصرف النظر عن كنهتها كاملة ...!

وإنى لا أريد لمسئول أو صاحب كرسيٍّ من الكراسى العالية العربية والإسلامية أن يغضب لما أقول ... أو أن يعتبر قولى انتقاصاً من الأداء الحكوماتى أو الرسمى ، أو طعناً فى أحد ... لا ... بل أنا أشُفق على أصحاب الكراسى المسئولين عن مُقدَّرات الشعوب وقد أوضحتُ ذلك ... فالأمر ليس بتناول اتهامات ... وتبرئة البعض وإلقاء اللوم على الآخرين ... أبداً ... ليس هذا هو مقصودى ، .. بل ... « .. **إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت** .. » ... حتى نتلاشى أسباب الضعف .. ونأخذ بمكامن ومجامع القوة .. ما استطعنا إلى ذلك سبيلا ... ولا يُفهم أبداً من كلامى .. احتياجنا لحكومات من الدراويش ... إطلاقاً لا أقصد هذا ... ولكن .. ليكُن مراد الله فينا غير منفصل عن مرادنا لأنفسنا ونحن نفعل أى شىء ...وليكن تشريعنا غير غائب عنه ما شرَّع لنا الله تعالى ... لأننا لن نُشرِّع لأنفسنا بأفضل من العليم الحكيم

جل شأنه ... ولكن الأمر يحتاج لدخول هادىء وتدريجى فى خطة تغيير شاملة حتى تحدث الإنتقالة المرجوةُ بلا انفجارات ... والمهم .. نيَّة التغيير والإقتناع بإلحاح حتميته ، ثم يلى ذلك دعوة أهل الرأى والمعرفة .. وهم كثيرون جداً والحمد لله ... لوضع بدايات عن تصوُّر التغيير الهادىء .. ومناقشة وتفنيد وتحليل كل بند مُتصوَّر مع دائرة أهل الدراية به ومن جميع زواياه ... وللوصول فى النهاية إلى أفضل تصوُّر عام لإحداث التغيير ... وترجمة ذلك إلى خطة يصاحبها جدول زمنى تقريبى ...

ولكن إن لم يكن هناك هدف عام .. وكمحصلة لأهداف أخرى عديدة ... لن يجتمع أهل الرأى لأنه ليس هناك أى هدف من لقائهم واجتماعهم ... أقصد ... حتمية صياغة هدف عام لما يجب أن نكون عليه .. وهو بالطبع ... لا يتأتَّى إلا ممن يستشعر بداخله وبكل ما أوتى من معرفة ، أن الأمر بالفعل لا يحتمل إلا التغيير الحتمىّ ... وللوصول إلى مرحلة ستر السوءات ...!

نريد أن يجتمع المجتمعون - مهما كانوا - لكى يكون ناتج جمعهم واجتماعهم أن الله ربنا جل شأنه ... لذو مكانة حقيقية مؤثرة علينا سلوكيا وحياتياً وكأمر فعلى واقع .. وليس إسلامنا وإيماننا مجرد ترديد لاسمه فى خطب الجمعة والأعياد ... وفى دروس العبادات البحتة ... لا .. نريد أن نحيا الواقع كاملاً بالله وبكتابه ، وأن يكون هو مرادنا ولوجهه سعينا .. وأن نأتمر بأمره ... وننتهى عما نهى .. ونُحلِّل كل ما حلَّل ونُحرِّم كل ما حرَّم ... ونستتر به من كل سوءاتنا.. والتى كُشفت لأننا أردنا تغطيتها على طريقتنا نحن ... وليس على طريقته هو جل شأنه ..!

وبالله عليكم لو أن رسول الله ﷺ كان بيننا الآن ... ورأى فينا ما رأى ... أنستحق أن يقول فينا لرب العزة .. يارب أمتى ... ؟!!

والله ... إننا يجب أن نسعى لها حق سعيها ...

وما نحن فيه الآن .. هو فقدان هوية ... فلا نحن اتّبعنا جذورنا .. فصرنا حقاً مسلمين مؤمنين .. ولا نحن أخذنا مما أقُحِمَ علينا من روافد التغريب سوى المنظومات الماجنة القشرية السطحية .. وكانت كل جواهر الأشياء والعلوم لهم وليست لنا ... فكان التقوقع نصيبنا والسيادة نصيبهم ..!

نريد أن نسترد هويتنا ... لأن الإسلام وأهله حقاً لفى أعظم محنة ... والمسلمون على امتداد الكرة الأرضية .. يُفعل بهم ما يُفعل ... ولا رد فعل ... لأن الفاعل لو علم أن هناك رد فعل يخشاه لحسب حسابه ألف مرة قبل أن يُقْدِم على فعل أى شىء ... ولكن ليس هناك أى رد فعل من أى نوع يُحسب له أى حساب ...!

لأن الإسلام قد صار غريباً فى دوله ومجتمعاته ، بل وربما فضُلت هذه المجتمعات مسُمّى المجتمعات الشرقية حين توصيف أى سلوك اجتماعى قد يُشار إليه - تحليلاً - بإعتباره من إفرازاتها الطبيعية ، وكأنما مجرد ذكر الهوية الدينية للمجتمعات .. سوأة حضارية يجب سترها أو حتى دفنها ...

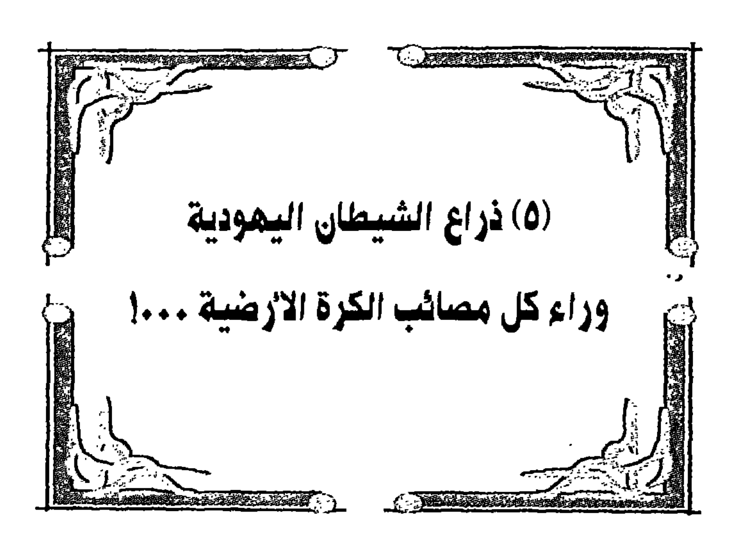
حقاً ... لم تعد للإسلام دولة .. ولكن مجرد ممارسات طقسية فردية ، أو شبه جماعية - وتحت المراقبة - حين أداء العبادات .. وإن تمت ممارستها ...!

.. لقد استهان بالمسلمين عدوهم لأنهم استهانوا بإسلامهم ... فهو يعرف مقدماً الحد الأعظم لردود أفعالهم ... شجب وإدانة واستنكار ...وبلا قدرة فعلية على الحركة القوية الفعّالة .

ولابد من تحرك ... لابد ... ولا مفر ..!

....

فقط ... لمن يريدون الفهم ...!



(٥) ذراع الشيطان اليهودية

وراء كل مصائب الكرة الأرضية ...!

آشعَلَوا بالفعل .. الحرب العظمى الخفية

ونحن آخر من يعلم .. كالمعتاد ..!

إنه الحلم الخيالى .. بالوعد الإلهى ... وبسيادة إسرائيل على الأرض ومن عليها ...

إنه إعداد تمام العدة لميراث الأرض ومَنْ عليها وما عليها ... إنه حلم القرود عبدة الطاغوت ...

ولئن كان الأمر مجرد حلم يداعب بعض الرؤوس الشملة بأحلام عفنة فحسب .. لهان الأمر ... لكنه .. إرث عقائدى ضخٌ سمومه بداية فى الرأس اليهودية منذ القديم ... ثم تحوَّل لواقع يحيون من أجله ... بل واستفحل أمره إلى أن صار القوة الوحيدة المُحَرِّكة لحقيقة الرأس اليهودى البغيض .. ويمكن قراءة مفردات تلك الحقيقة المعلنة ... فوق السطور بكتابهم الأقدس التلمود بشقّيه المشنا والجمارا .. وببروتوكولات حكماء صهيون ، وما خفى كان أعظم عفناً ..![1]

ومشكلة المشكلات الحقّة ... أننا من هواة النظر تحت أرجلنا .. ومعايشة اللحظات فى حينها ... بينما يضع عدونا اللعين خطته نصب عينيه ... وجميع ما يفعل إنما هو خدمة تفصيلات الوصول للمرادات النهائية ...

ولقد تغيرُت وتعاقبت الحكومات بإسرائيل على الأرض المقدّسة .. والخطة واحدة ... لكن تكتيك التنفيذ هو ما يتغير بمرونة لاستيعاب ومواكبة كل شيء ... وحقيقة الأمور أنه لم يتغير شيء بمنظومة الفكر اليهودى .. ولن يحدث هذا الوهم أبداً والذى مكانه الوحيد ... أحلام يقظة العرب والمسلمين .. وأخص - منهم - الراضين بالغفلة بديلاً للوعى ... وبالأحلام من طرف واحد ... بديلاً لإعداد العدة وتقوية الذراع ... والغياب التام فى سحب بخور مجالس .. إحياء الميت المسمى بـ « عملية السلام » .. !

ولا أنسى أبداً يوم وقف مناحم بيجين .. أثناء توقيع معاهدات كامب ديڤيد ... وهو يقول .. لا أدرى ماذا سأقول للنبى موسى عن التفريط فى سيناء ..!

---

(١) راجع ذلك تفصيلاً بمؤلفنا « سنة دخول القدس » وهو الإصدار الثانى فى السلسلة .

ومثل هذه المعاهدة وغيرها .. إنما تمثل تغييراً تكتيكياً مرحلياً لاستيعاب واحتواء متغيرات الفترة بذكاء ... يرسم رتوش الظاهر كما يريد أصحاب اللوحة ... وكمحطة انتقالية تنطلق منها الأمور لنفس المرادات النهائية ... ولكن بمكاسب أكبر ... وهذا هو منطق اليهود دائماً ... المكسب بأى ثمن ... لكنهم أهل مداهنة وصبر حتى الوصول لتمام ما يريدون .. وقد تعوَّدوا ذلك فعلاً وأجادوه وأدمنوه ...!

هدفهم واضح ... ويتحركون له بكل ما يمكن وما لا يمكن تخيّله أو تصديقه .. وهم يستمدونه بقوته الكاملة من مفرداتهم الإعتقادية المزوَّرة .. ولذلك فالأمر بالنسبة لهم ليس ذا بعد سياسى أو اقتصادي أو اجتماعى أو أى شيء ... لا ... فالجذور كاملة هى محض اعتقادات دينية كتابية - حتى وإن كانت موضوعة بوضع واضع - تمثل قوة الدفع الديناميكى الحقيقى للفكر اليهودى والصهيونى ... وما الممارسات والأداءات السياسية والعسكرية والإقتصادية ... وغيرها ... سوى أدوات التحقيق والتى تجد - دائماً - مُسمًّى على خريطة أداءات الواقع الذى نحياه ...!

هم ينتظرون مسيحهم الذى سيسود بهم الأرض ... وقبلها فلابد من أداءات .. ولحظتها لابد من أداءات .. وبعدها أيضاً لابد من أداءات ... وكل شيء محسوب ...

فما قبل مسيحهم .. إنما هى أداءات تمهيدية لمَقْدمه ... وحين مسيحهم هى أداءات تنفيذية ... وما بعدها .. هو التربع علَى عَرش الأرض لا شريك لهم ... وهذا معلن تماماً ولم أفتعله من وثائق أو مخطوطات سرية ... أبداً ... هو محض علانية مقروءة ومفهومة لدى من يريدون الفهم والعبرة ...

فجميع ما يقومون به ومهما أخذ من أشكال ومُسميّات ... إن هو إلا فكر عقائدى بحت فج ... ولكن أدوات التنفيذ لا تُعلن عن نفسها .. بأنها التنفيذ إلتكتيكى للفكر اليهودي الصهيونى بخصوص بلوغ كذا أو كذا أو كذا ... وهذا مستحيل حدوثه طبعاً ... ولكن ...

إن كان متخذ القرار اليهودى يضع نصب عينيه - بل وضمن مفردات هوائه المُستنشق ملء رئتيه - فكرةُ الإعتقادى الدينى .. ، فإننا لم نأخذ حذرنا منه، ولم نُمْعِن القراءة فيه ، حتى نفهم حقيقة محركاته وقواه الكامنة الدافعة ، بل ولم نتحدث - على الإطلاق - بلغة إعتقادية دينية موازية . وبمعنى أننا لم نتناول فكرهم الإعتقادى تشريحاً وتحليلاً لمحاولة فهمه ، وأيضاً لم نجعل للأطروحة الدينية الموازية - واجبة الإعتبار - أية ملامح على خريطة الفكر والقوى التحريكية ، بل أننا - وللأسف - قد أخذنا بمنطقهم الظاهرى غير الحقيقى والذى صدَّروه لنا منذ القديم ... بأنه لا دين فى السياسة .. ولا سياسة فى الدين ... وحتى أشرفت مجتمعاتنا وأجيالها المتعاقبة على الإصابة بالجفاف الدينى ...

وإنه باستقراء أى تاريخ أو نضال ... نجد أن أقوى المحرِّكات بل وأعظمها على الإطلاق - فى تاريخ جميع أنواع الحضارات ... إنما هى المحركات الإعتقادية الدينية ...

وعلى سبيل الإطلاق .. فإن الإيمان بالقضية - أى قضية - إنما يحرك طاقات وقدرة وصبراً وإصراراً ورغبة فى فعل شىء ... ولعل أقوى القضايا ... والتى يمكن لأى إنسان التضحية بنفسه فى سبيلها - إن كان من أصحاب القضايا - هى القضية الدينية الإعتقادية ... وبصرف النظر عن مُسمَّاها ... ، ولذلك فقد تم تهميش الإسلام - وبتعمُّد وسبق إصرار وترصُّد - ولئن تطلب الأمر من أهله قتالاً أو مواجهة ... كانوا - كَمُهَمَّشين - أصحاب أصوات ثانوية هامشية غير مؤثرة بالقدر الكافى ... بل وتجد أن الردود الجاهزة كالوجبات الجاهزة السريعة تماماً ... حين محاولة إثارة قضية الإنتماء الإعتقادى الإسلامى ... بأن هذا ردَّة لعصور الجاهلية السياسية والحضارية ... وأن ذلك إثارة للتعصُّب الدينى ... وبداية تكوين طابور مُتطرِّفين ... بل وللأسف ... صار ما يُقلق مجتمعاتنا الإسلامية ... المسجد وليست الملاهى والمراقص الليلية ..!

ولئن حًللت هذا ... لوجدت أن رواد هذه الملاهى والمراقص هم دُعاة فسق وفجور وتحلُّل من كل الشرائع ... وهم بالتالى ليسوا أصحاب قضية .. وبالتالى ليست هناك أظافر يجب تقليمها ... بل والله .. إن لكثير من هذه الأماكن قد حصلت على قروض ضخمة وبملايين عديدة لا حصر لها ... لتوسيع نشاطها !! ومَنْ الممٌول .؟!.. إنها البنوك ....!

ذلك فى نفس الوقت الذى يُمثٌل المسجد ورَوأَده .. ما يجب إحكام الرقابة عليه ....! ...

لماذا انقلبت الأمور ؟!..

....

وليست كل المساجد بنفس درجة الإهتمام الرقابى لدى جميع هذه المجتمعات ، ... ولكن تلك التى استفحلت أرقام روأدها ...وأطلقوا اللحى وارتدوا الجلباب الأبيض ... وتعمًم بعضهم كأهل القدوة فى صدر قرون الإسلام الأولى ....!

ولئن كانت المواجهات الأمنية هى فقط أسلوب حُكْم الأمور وتملُّك ناصيتها ... فإن كثيراً من أصحاب الآراء السطحية .. والذين يجتمع حولهم الآلاف المؤلفة من خلق الله ... والذين ينصبون الفاعل ويرفعون المفعول .. ولا يعلمون المبتدأ من الخبر .. ولا أبسط قواعد اللغة العربية ... سيتحولون إلى شهداء فكر وعقيدة ... وأصحاب رأى وقضية .. وبهذه المواجهات الأمنية نزيد من شوكة ما كانت لتزيد أو لتقوى لو أن قضايا الفكر ناقشها أهل الفكر ... ولم تنفرد بالتصدى لها الأجهزة الأمنية .. وما يجب أن نعتبر به جيداً من قراءة سيرة تلك الخلايا التى انتشرت فى بقاع الدول الإسلامية بشكل يميل للعشوائية أكثر منه لشىء آخر ... هو تعطش أجيال شباب المسلمين لدينهم .. وأن الجرعة التى يحصلون عليها ... غير كافية لمن يريد التزوٌد .. وللمسنا فعلاً كارثة شعور الإغتراب .. سواء الحقيقى ... أو المُقْحَم على الرؤوس إضافةً للشعور الحقيقى الذى يعيشه المسلم الآن فى مجتمعه ... والذى أدٌى به لأن يبدأ إسلامه هو معتمداً على نفسه ومن أول السطر ...!

والله أعلم بعد ذلك باليد التى تتلقفه وتبنيه وتساهم فيه ... لكننا للأسف نواجه الثمار الشائكة القابعة على نهاية فروع الشجرة ... وكلما قطفناها سينبت غيرها .. لأن الشجرة بجذورها وفروعها .. حية ترزق ..!

نحن لا نساهم فى بناء مسلم حق .. أو مجتمع مسلم ... ولكن الإسلام صار قضية اجتهاد خاصة .. وإن أردتَ أنت ..!

وبمعنى أننا على الصعيد الإعتقادي الدينى ... لم نبنِ شيئاً يُذكَر فى أنفسنا ومجتمعاتنا ... ولم نأخذ حذرنا من خلال قراءة أرصدَة فكر عدونا ... والتى هى كلمات إعتقادية فوق سطور دينية ... يمكنه قراءتها كل من يجيد القراءة والكتابة بكتبهم ذات القداسة ...!

وعموماً ... ليقرأ كلامى هذا من يقرأه ... وليفعل به ما يحلو له بعد ذلك .. حتى وإن رأى أن مكانه هو سلّة المهملات .. فله ما أراد ... خاصةً كلامى الذي ستحمله السطور التالية ...!

....

لعلنا نتابع جيداً أن اليهود لا يتركون فرصة حقيقية أو وهمية من أى نوع.. إلا واغتنموها لصالحهم وضد مصلحة عدوهم ... ولعلنا نلاحظ أيضاً سعيهم الدوؤب لإنتاج وتصدير الكوارث للعالم ... والذى يشاء الله تعالى بفضحه من حين لآخر ... وعندما يلوح بعض مما يُحَاك وراء الكواليس .. كواليس العالم كله .. والذين هم وراءها دائماً ...!

ولعلنا أيضاً تابعنا إنتاجهم وتطويرهم للأسلحة الجرثومية .. والقنابل العرقية والتى يستهدفون فقط بها العرب والمسلمين حولهم ... وإصرار العالم فى نفس الوقت بقيادة من لا شريك لها ... لمتابعة إخلاء المنطقة وكل المناطق المحيطة من أية أسلحة دمار شامل إخلاءً تاماً ... وطبعاً لا يسرى هذا الإخلاء على إسرائيل ... فلمن إذن يكون هذا برمته ...؟! إنه من أجل عيون إسرائيل ... المديرة الحقيقية للكرة الأرضية ...!

وليت الأمر قد توقف عند هذا الحد ...!

بل إن الإصرار الصهيونى اليهودى على إتمام المخطط كاملاً وبدون خروج عن النص ... قادهم لفعل كل شىء ... وأى شىء ... للوصول للمرادات النهائية ... بما فى ذلك التحالف مع إبليس شخصياً ... !

سنجد من يتخيل أن الجملة السابقة مباشرة - والتى انتهت بـ « **التحالف مع إبليس شخصياً** » - إنما هى مجرد صياغة لغوية للدلالة المجازية - فقط - على من يركب أية مواصلة حتى وإن كانت قبيحة لكى يصل لمراده النهائى ..!

لا ياسادة ... !!! ... التعبير المستخدم تعبير حقيقى وليس تعبيراً مجازياً ...!

والأمر ببساطة شديدة هو كما أنهم يستخدمون المعامل لإنجاز الآلة الجرثومية والعرقية .. فإنهم يستخدمون الصوامع وأوكاراً أخرى ... لإحداث نفس الأثر التلويثى ولكن بشكل آخر ولنفس العدو ... وإن كان الثمن هذه المرة أوفر بل وأرخص كثيراً ...!

أنهم يستخدمون ملايين الشياطين لإفساد حياة العرب والمسلمين ... هذا هو الأمر وبمنتهى البساطة ...!

وستجد من يطل لك برأسه ويقول ... الشياطين مرة أخرى ... ألا تمل من تكرار الحديث عنهم ... وستجد من يقول .. أيصح التحدث بمثل هذه اللغة ونحن على أعتاب الألفية الميلادية الجديدة ...؟! ... لا يا أخى إنها ردّة حضارية ... أن نفكر بمثل هذه المعطيات ... أو حتى إن حاولنا أن نجعل منها منظومة نقاشية تستوعبها أو تتناولها أطروحات الفكر ، أو تجاريها أفكار العقول .. أو يدركها منطق العلوم ...!

عموماً ... أنا لن أطالب أصحاب مثل هذه الآراء أو غيرها بالمشاركة فى تكوين جيش خفى لمحاربة القوى الخفية الشيطانية ... ولكن خذوا هذا الأمر حتى - وكأضعف الإيمان - على سبيل أن العلم بالشىء أفضل من الجهل به ..!

وتذكر جيداً أن أقوى الأسلحة وأنت تواجه عدوك أن تقاتله فى غفلة منه .. ولأن الغفلة تسلبه سلاحه قبل أى شىء ... فتواجهه أنت بأى سلاح وتكون لك الغلبة على من لا سلاح له ...!

وقد ناقشنا ذلك كمنطق شيطانى إبليسى رئيسى ... وهو اقتناعك بأنه « عيب تتكلم فى الكلام ده » .. « ده شغل دجل وتخلُّف » ... « شيطان إيه اللى جاى تتكلم عنه ... » إلخ من وسائل التعمية .. ولحين السقوط فى الغفلة ...!

تماماً ... كما يصادفك من يتكلّم بامتعاض شديد عن مجرد ذكر مُسمَّى « الحسد » ...! و « إيه اللى بتقوله ده ... حسد إيه ... إنت بتعتقد فى الحاجات دى » ... إنها عملية تحويل لبديهيات إلى الإستفتاء الشخصى ... للإدلاء فى محسومات بآراء شخصية ...!

ولن نناقش هذه الأمور - الآن - من منطق فعالياتها أو ديناميكية عملها ... ولكننا نناقش فقط بديهية وجودها ...!

فإن كان الله تعالى قد أخبرك - ضمن ما أخبرك - فى كتابه بالشمس والقمر والنجوم والسماوات والأرض ... وأنت ترى ما أخبرك به ... حقيقة لا تقبل النقاش ...فإن أتى وأخبرك بما لا تراه .. كالملائكة .. أيكون الموضوع من منظورك موضع استقصاء شخصى لأنك لا تراه ...! ويخضع الأمر ... لمنطق إنكار الغيب .. أو إنكار كل ما هو غير مادى مدرك بأدوات الإدراك ... والمعتادة فقط على إدراك الماديات ... ؟!

أخبرنا تعالى بالملائكة وبالجن وبالكرام الكاتبين وبالشياطين وبالحسد وبالسحر ... وبغيوب كثيرة ... ولم يخضعها تعالى لمنطق الإستقصاء من منظورنا . فأين الجنة وأين النار التى أخبر بهما ربنا سبحانه وتعالى ... حتى يسأل متشكك .. وأين الحسد والسحر ...؟!

إنك إن آمنتَ بربك ... آمنت بكل ما يقول لك ... فإن كان هو الحق وقوله الحق ... وآمنتَ به وبأنه صاحب الكتاب والمنهج الذى بين يديك ... فمُحال ، أن يكون فى إخباره غير الحق ...

وإن كنتَ تفنى حياتك سعياً لغيبٍ وعدك به ... وهو المقام الأمين وجنة المتقين ... كيف تلفظ من نفس اليد ومن نفس الذات .. ما تنتقيه لتلفظه ..؟! لأنك وبعد تقدُّم القرون الحياتية وصيرورتها لقرب نهايتها .. وبعد وصول المادية لأوج ازدهارها ... تخجل أن تعود بك القرون إلى الوراء وتقبل ما يجب أن تقبله ...!

فإن كنتَ أخذت من ربك ومن كتابه مفرداتك الإيمانية ... وما بها من غيوب ... أتنتقى لنفسك ما يروق لك ولمادية نظرة عصرك ..؟!

بل إن الأمر وصل بالبعض للخجل من مجرد مناقشة مثل هذه الغيوب ... باعتبارها تخلف بل ومحض رِدَّة ... ولا حول ولا قوة إلا بالله ...!

فقد قال الله تعالى فى وصف المتقين ... « ... ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ... »(١)

ولاحظ تقدم الإيمان بالغيب - المخبَّر عنه من الله تعالى - على إقامة الصلاة ...! وذلك لسبب غاية فى البساطة ... وهو أنك إن لم تؤمن بالغيب وما يعدك به الله تعالى ويخبرك به ... فلمن تصلى وكيف ستصلى .. وأنت غير مقتنع بالقضايا الغيبية برمتها والتى هى محور الإيمان ...؟!

فإن لم تكن مؤمنا بما أخبر به ربنا تعالى من غيوب ... فبماذا تؤمن ... ؟! فالقضية الإيمانية كاملة إنما تنصبُّ على الغيب ... وإلا لو لم يكن فى الموضوع غيوب .. لصار الموضوع محض مُعَايَنَة ... والمعاينة هى إدراك مادى يقينى محسوس لما نُعاين ... أما الإيمان فهو اقتناع بما غاب عنا ولا نستطيع معاينته

(١) البقرة : ٢ ، ٣ .

مباشرة ... ولكن يمكننا بشكل أو بآخر ... معاينته ... تذوقاً لطيفاً بعين البصيرة وليس بعيني رؤوسنا ...! ولئن حوّل لك الله جميع الغيوب التى أخبر عنها ... لمُدركات مادية تعاينها بعينى رأسك لانتفى ابتلاؤك ... ولما وُجد فى الكون عصاة من بنى البشر ...!

فإن كنتَ ترى الجنة والنار والجن والشياطين والملائكة ... إلخ من جميع ما أخبر به ربنا تعالى ... لم تكن لحظتها بقادر على معصية .. لا لأنك تحولت لحظتها لكائن مُسيَّر ... ولكن لأنك تحولت إلى منطقة معاينة إدراكية لا دخل للقضية الإيمانية بها ... بل وربما يُصيِّر الأمور بكُلّيتها إلى الجانب الإدراكى وليس الإيمانى .. وبالتالى لا تصير حاملاً لمسمَّى « المؤمن » .. ولكن « العارف بالمعاينة » ... والذى عرف كل شىء إدراكاً ومعاينة ...

إذن فقضيتنا الإيمانية - نحن المخلوقات - هى محض إيمان بغيب ... وليس بالمعاينة الإدراكية يتم الإيمان ... وإنما تتم المعرفة ...!

فإن كان من مفردات الغيب ما لايروق لك ولا لصولجان مادية قروننا الحالية ، فإن الأمر - حقاً - لابتلاء على ابتلاء ...! ولا يجب أن نكون ممن يأخذون إيمانياً ببعض الكتاب ويتركون باقيه ...!

فقد فضح الله تعالى اليهود بأنهم أهل هذا المنهج الإيمانى العجيب ... وقال لهم .. « ... **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض .. فما جزاءُ من يفعلُ ذلك منكم إلا خزىٌ فى الحياة الدنيا ، ويومَ القيامة يُردُّونَ إلى أشّد العذاب ، وما الله بغافل عما تعلمون ..** »[1]

وإن القضية الإيمانية لكُلٌّ متكامل لا يتجزأ ... فإن آمنتَ بربك .. نآمن بكل ما قال حتى وإن لم تدرُك ... وبشرط أن يكون قد قال فعلاً .. وإلا تحولّت المسائل لاختلاط الحابل بالنابل .. والحق بالباطل ...!

---

(١) البقرة : من ٨٥ .

....

ولقد ورد لفظ السحر وكافة المشتقات اللفظية المرتبطة به ... قرابة ستين مرة على امتداد الآيات القرآنية ...

ولئن حاولنا تفسير المقصود من السحر .. لوجدناه بمثابة تدخُّل غير مُدْرَك ، لإحداث تأثير ما أو ناتج ما مُقْحَم على الأشياء ، ليس من أصيل حقيقتها .!

وبمعنى آخر ... إفساد المعادلة الطبيعية التى يحيا بها الناس ... بأن يُقْحَم عليها ما ليس فيها أو منها ... سعياً لنواتج نهائية تخالف النواتج الطبيعية لهذه المعادلة ...!

وقد ضرب لنا الله مثلاً بسحرة فرعون .. حين سحروا أعين الناس ليروا ما يريدونهم أن يروه ..!

وبمعنى تدليسهم على حاسة الإبصار لكى ترى ما ليس بحقيقة ... أى أنهم تدخّلوا لإفساد معادلة الرؤية الطبيعية وأقحموا عليها ما ليس فيها للوصول لناتج معين ، وهو أن يرى الناس ... حبالهم وكأنما هى ثعابين حية تسعى ...!

وهناك مثال آخر .. وهو التفرقة بين المرء وزوجه ... وقد ذكره تعالى حين استعراض قصة تعليم الشياطين السحر للناس .. وتبرئته سيدنا سليمان بن داود - ﷺ - مما نسبه إليه اليهود فى هذا الخصوص ...

... ﴿ ولمَّا جاءهم رسولٌ من عند الله مُصَدِّقٌ لما معهم نبذَ فريقٌ من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلو الشياطينُ على مُلْك سليمانَ ، وما كَفَرَ سليمانُ ولكن الشياطين كفروا يُعلِّمون الناسَ السحرَ وما أُنْزِلَ على الملكين ببابل هاروتَ وماروت ، وما يُعلِّمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يُفرِّقونَ به بين المرء وزوجه ، وما هم بضارين به من

أحد إلا بإذن الله ، ويتعلـمون ما يضُرُهم ولا ينفعهم ، ولقد علَموا لمن اشتراه ما له في الآخرةِ من خلاق ، ولبئس ما شَرَوا به أنفُسَهم ، لَو كانوا يعلمون ... » [1]

إننا نريد التعامل مع الآيات السابقة بمنطق تحليلى دقيق بعض الشئ ، ولأنها تنطوى - حقاً - على إخبارات عديدة وعجيبة ...!

... ولاحظ أن الآية الأولى ، إنما تتناول قضية كُفر فريق من أهل الكتاب بالقرآن وبنبوة خاتم النبيين ﷺ و « كأنهم لا يعلمون » ... وبمعنى أنهم يعلمون فعلاً ... أنه الحق من الله تعالى ، وأنهم قد خُبِّروا بذلك من خلال أنبيائهم وكتبهم ... والأدهى من ذلك هو نبذ كتابهم الأصلى ... والكتاب الخاتم - القرآن العظيم - واشتغالهم بما علّمه الشياطين للناس من عصر النبى سليمان ﷺ ... وكذلك ما أتى به الملكان هاروت وماروت من علوم السحر ... واللذان ما كانا ساحرين ... بل ملكين من ملائكة السماء ... أنزلهما ربُ العزة - جل شأنه - حين استفحل أمر السحر وغرائب صنيع السحر ، وادعاءهم النبوات من خلال التدليس على الناس بما يأتون به من الأعاجيب وكأنهم يأتون بمعجزات ، فكان هذان الملكان لإخبار الناس بحقيقة السحر ... وأنه يؤدى لصنع أعاجيب ... تختلط على غير العارفين فيتصورونها معجزات حقيقية ... وأن أصحابها من أهل الكرامات والنبوات ...! ولربما أيضاً ... لكى يكون ممن يتعلمون من الملكين ... من يمكنه التصدى لشرور السحر والسحرة ، وبما يمكنه أن يدفع عن نفسه وعن غيره أذاهم ... والله تعالى أحكم وأعلم ...

وبدليل ... أن هناك فارقاً ضخماً بين أسلوب التعليم الشيطانى والتعليم الملائكى ...فتعليم الشيطان ... هو لزيادة طغيان النفوس المريضة .. ولإفشاء الرذيلة والكفر بين الناس ... فالساحر إنما هو مُتدخِّل فى مصائر آخرين بقرارات

---

(١) البقرة : ١٠١ ، ١٠٢ .

لا تتفق ومقام العبودية ... فليس لعبد أن يُقرِّر مثلاً ... التفرقة بين زوجين .. أو أن يعيش فلان مهموماً ... أو أن يغلق فلان متجره ولا يُرزَق .. إلخ من أعاجيب سواد النفوس ..! ... فهى قرارات رب إله ولا يمكن لعبد أن يتخذها ... ولهذا فالساحر واللاجىء إليه لفعل مثل هذه الأمور ... إنما قد خرجا بصنيعهما وبمحض إرادتهما من حيِّز العبودية إلى حيِّز الربوبية والألوهية ... والتى هى لله وحده لا شريك له ... وبالتالى فحكم تكفيرهما لا مفر منه ... وهذا هو منطق التعليم الشيطانى .. « **ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر** » .. يعلمونهم ليعمَّ الكفر بين الناس .. ومما يعلمونه لهم أيضاً .. ما كان وقد أتى به الملكان هاروت وماروت ... ولكن الملكين حين كانا يعلمان الناس السحر ... وللسبب الذى ذكرناه ... ماذا كانا يقولان .. ؟!! .. « **وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنه فلا تكفر** .. » ... أرأيت ...؟!

إنما نحن فتنه فلا تكفر ... أى أننا والعلوم التى نُعلِّمها .. ما نحن إلا ابتلاء من الله تعالى ... فلا تكن من أهل العمل بالسحر فتكون من الكافرين، الذين يتعلمون ذلك بغية أذى الناس والسعى بينهم بالخراب ... ولأن من يتعلمه ... فقد ابتُلِى فعلاً بابتلاء عُضال ..!

فإما أنه قد ينزلق من تلقاء نفسه لممارسة ذلك .. ولابد له من آخرين ليمارس هذا فيهم فيكونوا له بمثابة فئران تجارب ... وإما أن يبيع سحره وأعماله لراغبى أذى الناس وتسيير الكون على أمزجتهم الخاصة ...!

وفى كلٍّ من الحالين فهو قد ارتضى بالكفر منهجاً وبالشيطان إماماً ... ولهذا .. كان التحذير .. « **فلا تكفر** » ...!

ولكن الأمور على إطلاقها ليست بذات فعالية أصيلة من تلقاء نفسها ... فلا إله إلا الله النافع الضار ... وما أصاب من ضر فبإذنه كان ، وليس السحر بصاحب الضرر ... لكنه فى عالم الأسباب ... هو السبب الذى سرى خلاله تيار الضرر ... وإلا لو لم يُرد الله النافع الضار بوصول ذلك لما وصل ... مثله كمثل سائر الأسباب .. فهو ليس بأرقى منها ...!

ولذلك فقد قال جل شأنه .. « **وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله** » ... إذن فلا خوف من سحر .. ولو اجتمع عليك سحرة الأرض جميعاً ... لأنهم لن يصلوا إليك بضرر لا يريد الله تعالى وصوله إليك ......

ولكن الجدير بالتأمل فعلاً في الآيات السابقة هو ... ميراث السحر وعلومه ، والتي تخصص فيها فريق من أهل الكتاب ، بدلاً من كتاب الله الذي بين أيديهم .. والكتاب الخاتم الذي نبذوه أيضاً ...

... « ... **نبذ فريقٌ من الذين أوتوا الكتابَ كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلو الشياطين** ..» ...

ولاحظ بمنتهى الدُّقة ... أن هذا الفريق من أهل الكتاب والذين لم يؤمنوا بالرسالة الخاتمة .. إنما - وكحد أدنى - قد احتفظوا بهويُاتهم ومُسمَّياتهم الدينية كما هي دون تغيير ..

وبما يعني قيامهم بتوريث هويُاتهم ومُسلَّماتهم الدينية والإعتقادية إلى أجيالهم وقرونهم التالية ... « ... **كتابَ الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ، واتبعوا ما تتلو الشياطين** ... » ... فإن كان هناك أهل كتاب في عصر الرسول ﷺ .. وما زال هناك أهل كتاب - كذلك - في عصرنا الحالي ... أفتعتقد أن فريق أهل الكتاب الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين ... قد فنوا عن آخرهم ... وأن أهل الكتاب الحاليين لا صلة لهم بذلك ... ولا علم لهم به .. ؟!

إن الذين نبذوا التوراة وراء ظهورهم ونبذوا القرآن العظيم ... هم أنفسهم مَن ينبذون اليوم حقيقة التوراة واستبدلوها بالمشنا والجمارا في تلمودهم الأقدس ، ... والذي يسمح لهم بكل مؤامرات النصب والإحتيال وارتكاب المحرَّمات مع غير اليهود ...!

وبفحص منهج أهل الكتاب الحاليين وخطة أداءاتهم الحياتية ستجدها متفقة مع الوصف القرآنى ... فلم يكن إذن الوصف مجرد إخبار عن فئة فعلت وانقرضت .. لا .. بل فئة باقية ومتخللة للقرون والأجيال ... وما زالت تفعل وتؤدى ...

إذن فنحن الآن وجهاً لوجه ... أمام فريق أهل الكتاب الذين نبذوا كلام الله واتبعوا ما تتلو الشياطين .. وإن كان فى بداية أمره فريق من أهل الكتاب .. فهو الآن كل الذين يدينون بهذا الكتاب .. لأنه ليس لديهم الآن غيره .. التلمود .. الأقدس ...!

وبمعنى أنه .. وإن كان فى الماضى مجرد فريق من مجموع أهل الكتاب ... ينبذون كلام الله ... فمن منهم الآن يأخذ بكلام الله .. إذا كان التلمود لهم جميعاً هو الكتاب الأقدس ولا غيره ..!

فبعد أن كان النابذون كلام الله فريقاً من أمّة ... صار الفريق هو مجموع الأمة ...!

وإلا فما هى جذور أهل المشنا والجمارا والتلمود بشرى الصناعة ... والذين هم إجمالى أمة اليهود الحالية المعاصرة .. ما هى جذورهم .. ومن أين أتوا بكتاب الأعاجيب - هذا - الذى بين أيديهم ومحل قداستهم ... إن لم يكونوا هم سلالة الفريق المشار إليه والذى نبذ كتب الله .. واتبع ما تتلو الشياطين ... فهم الآن فريق واحد .. وبدليل عدم إيمانهم بنبوة خاتم النبيين ﷺ ، وإلا لكانوا معنا الآن من المسلمين ... لكنهم ليسوا كذلك ...

أما الفريق الذى لم ينبذ كلام الله .. فهم الذين آمنوا ببعثة النبى ﷺ ، وضمتهم راية لا إله إلا الله محمد رسول الله ... وانصهروا فى عروق أمة الإسلام ... إذن وبلا أدنى شك فنحن الآن فى مواجهة تلك الأمة والتى اتبع أجدادها ما تتلو الشياطين من تعاليم السحر وأعاجيبه .. والتى أعجبتهم بل وراقت لهم تماماً بأكثر من كتب الله وشرائعه ...!

ولا أعنى بذلك أن لكل يهودى أو كتابى معرفة تامة بعلوم السحر ... أو أن لديه صومعة لممارسة الطقوس السحرية ... ولكنى أعنى .. أن خلاصة التعاليم الشيطانية على مر قرون طويلة هى الآن مُستقرة لدى ورثة أهل الكتاب عموماً وعلى وجه الخصوص لدى كهنتهم .. وعلى وجه العموم .. لدى من استطاع الأخذ بتلابيب هذه العلوم ومسايرة ركب الكهنة والكهنوت فى هذا الخصوص تحديداً .

والحقيقة أننى على مدار السطور السابقة ... كنتُ فقط أقدِّم الإثبات المنطقى القرآنى .. بوجود وبحقيقة السحر وعلومه ... إضافةً إلى اطمئناننا بمواطِن استقرار علومه حالياً ... وأنها لدى ورثة أهل الكتاب ...

ولقد ابتسمتُ كثيراً وأنا أقرأ خبراً غريباً ببعض الصحف ... مفاده أن أحد أساتذة كلية الطب - بمصر - يطلب رسمياً تدريس علوم السحر بكلية الطب ... وقد علَّل ذلك - حين هوجم بضراوة - بأنه كأستاذ طب ممارس ... قد مرَّت به حالات غاية فى الغرابة ... وقد جابت خلالها بعض هذه الحالات الكرة الأرضية بحثاً عن «حَمْل» فلم يُكتب لها .. ولم يكن هناك سبب طبى أو علمى واحد فقط يعوق مثل ذلك ... ولكن مع استخدام بعض الطلاسم السحرية ... وجئت لأطفال موتى مع هذه الحالات ... كانت النتائج إيجابية تماماً ...!

والحقيقة أننى أشفقت على هذا الأستاذ .. لأنه يتكلم عن معاينة وتجربة ... لكنه عاين وجرَّب بلا فهم .. وهو معذور ... لأنه لن يجد من يُفهمه الحقيقة ..! ... ولأنه لا يفهم حقيقة الأمور وما يدور بمطبخها ووراء كواليسها - وكلها كواليس - لم يستطع أن يدافع عن وجهة نظره ...!!!

وأضيف لذلك ... أننا لو أجرينا إحصاءً سريعاً لعيادات أمراض النساء وسألنا الأطباء المتخصصين عن عدد حالات النزف المستمر بلا سبب طبى أو علمى مفهوم لدى السيدات ... وكذلك عدد حالات اللآتى يشكين عدم حملهن ... بالرغم من عدم وجود أية أسباب علمية منطقية ... وكذلك عدد اللآتى يستأصلن الرحم - وليكن الإحصاء على مدار رقعة زمنية معينة ... ولتكن

سنة مثلاً - لسمعت العجب العجاب ... العدد ضخم جداً ... ولكن السؤال الأكثر أهمية ... ما هى ديانة صاحبات هذا الإحصاء العددى ؟!

ستُفْجَع حين تعلم ... أن صاحبات هذه المعاناة غالباً مُسلمات ..! ولم تكن هذه هى بداية متابعتى الشخصية لهذا الأمر ... ولكن بداية المتابعة سبقت ذلك بسنوات عديدة ...

ولكن المتابعة فى تخصص أمراض النساء .. كانت هى الشىء المستحدث بالنسبة لى .. !

وأنا فعلاً ألتمس للأستاذ الدكتور مُقترح تدريس علوم السحر بكليات الطب .. مئات الأعذار لاقتراحه ... ولأنه لاحظ ما لاحظت .. وبالتأكيد لاحظه غيرى وغيره ... العديدون ..!

لكن الأمر لا يحتاج لعلوم السحر ...!

كيف ..؟!

فكثير ممن قابلت من صاحبات المعاناة ... وبدون سابق ترتيب لذلك ... شفاهُنّ الله ... بمجرداغتسالهن بماء مقروء عليه بعض آيات أو سور قرآنية ، أو بالتلاوة المباشرة عليهن ... وبعضهن قد احتجن للمتابعة لفترة من الوقت ... ومن خلال متابعة اللاتى احتجن للمتابعة ... كانت المفاجأة العضال ... أن هذه الحالات .. هى أساساً إصابات روحانية وليست عضوية ...! ومعنى روحانية ... أى إصابة من خلال أرواح ... فالجن أرواح والشياطين أيضاً أرواح ...!

نعم كانت الإصابات روحانية وليست عضوية ... والأدهى من ذلك هو اكتشافك لمصدر بث أو إرسال هذه الروحانيات ... فهى تدبير يهودى شائك ..!

هل تتخيلون .. أن اليهود يرسلون على الدول العربية قوافل وجحافل قوامها ملايين مملينة من الشياطين وبعض الجن الكتابى العاصى ....!!!

إنهم يرسلونهم بإرسالات عامة ... ولكل صغيرة وكبيرة فى مجريات حياتنا ...!

ومن ضمن مستهدفات إرسالاتهم ... التنظيم الإجبارى للأسرة العربية والمسلمة ...!!! ... عن طريق إفساد أجهزة الإناث ..!!! تصوروا ..!!!

وليست قواعد إطلاق تلويثهم الشيطانى .. فقط ... من الأرض المحتلة ... لا ... فلهم قواعد بجميع دول المنطقة .. وه·فذين من خارج المِلَّة اليهودية ...!

ومن هذه القواعد يخرج الراتب الدورى لتعويض أية خسائر فَقْد شياطين تكون قد تمت من خلال العلاجات التى يسعى إليها خلق الله المنكوبون فى جميع دول المنطقة .. ولتقوية جذور الإرسالات ذاتها ...! ... واسألوا أهل الكويت - كذلك - ودول الخليج ومعظم بلاد العرب والمسلمين إن كنتم لا تعلمون ...!

وسيفهم كلامى جيداً ... جميع علماء ودارسى الروحانيات ... والمهتمين عموماً بعلوم الميتافيزيقا ... وسيمكنهم - إن شاء الله - التثبُت من ذلك ...!

وأما الذين - هم - خارج نطاق هذه الدائرة ... لا يمكننى سوى أن أقول لهم إستخيروا ربكم ...!

إن هذا الذى نخوض نقاشاً فى غماره ... إن هو إلا سحر جماعى .. أو سحر عام ... تجد نماذج مصغرة له فى القرى ... وحيث يعمد بعض السحرة ... والذين يُسمون أنفسهم بالمشايخ ... تجد بعضهم وقد ضاق به الحال ، لأنه لا تقصده الأعداد التى تؤدى به لرغد العيش الذى يريده ... تجده .. قد قام بسحر عام يرشه على بعض طرقات القرية ... وكل مَنْ يمر عليه من الرجال مثلاً يُربَط .. !!! فيلجأون إليه ...!!!!

لكن الأداء اليهودى ... لا يحتاج لرش مياه أو غيرها ...! فهو بث إرسالى جاف ..!

يستخدمون فيه علوم السيمياء ... أو الأخلاط والمدفونات والمحرقات مدعومة بعلم الحرف ...

ويستخدمون كذلك المزامير [1] .. وبالأخص مزموراً محدداً ... إضافة إلى دعوة إبليس الشهيرة ... والمئات من الدعوات المخدومة والمسلّمة يداً ليد ... والتى تنتقل خدمتها من المُسلِّم للمُسلَّم إليه ... وبكامل أسرارها ...!

كذلك ... فهناك الآلاف من الطلاسم المستخدمة ، والتى لا تحتاج لتسليم مباشر مثل الدعوات ... ولكنها بمثابة الإرث النادر والذى تتوارثه الأجيال ... ومن يملك الطلسم ومفاتيحه كاملة ، يمكنه أن يمارس به ما يحلو له ..!

وهناك أعمال الرصد والتنجيم ... والتى تُنجز حسب حركة ودورة الكواكب السيّارة وارتباطاً بالساعات الفلكية ... مع استخدام بعض الجلود أو المعادن المحدّدة ..!

وجميع ما سبق تم تصديره كعلوم للقواعد اليهودية فى جميع دول المنطقة للمنفذين من خارج الملّة اليهودية ..!

ولكن والأهم من جميع ما سبق ... هو الترسانة الجرثومية الشيطانية المتطورة والمسماة بعدة أسماء ... أشهرها .. « المكائد الإسرائيلية » ... والتى هى بحق ترسانة حقارة تتكون من ٢٨ اسماً .. يمكن لطفل أن يخدمها ببخورها المقزِّز .. ويرى العجب ... ولدرجة أن بعض الحاصلين على شرف هذا العلم السامى - المكائد الإسرائلية - لا يعمل بجميع الأسماء بل بإسمين فقط من إجمالى الأسماء ... وتجده قد أوشك على الحصول على مُسمًّى شيخ المشايخ ... !!!

---

(١) مزامير النبى داود ﷺ .

أما عُمدة هذا كله والمهيمن عليه فهى أسرار علم الحرف ... وسبحان الله ...!

فجميع الأداءات السابقة كاملة باستثناء الطلاسم تحتاج لخدمة غير سهلة وبمعنى ، إحتياجها لخطب الود الشيطانى لفترات مختلفة .. وحتى تمام ما يسمى « الروحنة بالدعوة » .. أو امتزاج مَنْ سيخدمون هذه الدعوة حين تلاوتها .. بمن يتلوها ... وبما يصل لحد اللبس الكامل ..!

وفيما بعد وحين استخدامها ... يكون إنجازها فى لحظات ليس أكثر ..! وجميع هذه الدعوات .. تشمل الشرك العلنى و/أو الخفى ... وغالباً ما يجهل مستخدمها حقيقتها ...

وطبعاً لا يوجد شيطان سيقول لتالى الدعوة أنه شيطان .. بل أنهم يقنعون السُذّج من مشايخ البركات .. أنهم جن صالح بل وأكثر من هذا .. أنهم جن مُرقّى لرتبة ملائكية ...!

وهناك الدعوات الصريحة .. باستخدام النداء على الشيطان الأكبر .. أو على أهم معاونيه ... بل وهل تتخيل أنه هناك دعوة باستخدام « الرهط التسعة » المذكورين قرآنياً ... بأنهم المفسدون فى قرية نبى الله صالح ﷺ ...!

أما إذا أردت المفاجأة بحق ... فهى استخدام القرآن بفنون عديدة وعجيبة فى إنجاز أعتى الأسحار والأعمال والإرساالات ... وبما يفوق جميع ما سبق .. !!!!!!!!!!!!!!!!!!!

وأعتقد أنه لا يوجد من لم يسمع باستخدام الكفرة الفجرة من السحرة للقرآن من خلال تجنيد القوى الشيطانية الضخمة ، والتى تطيع مُهين القرآن سواء بمجرد استخدامه سورة قصيرة أو آيات معدودة ... والأهم من ذلك تفننه فى إهانة كلام الله ... وكلما برع فى إتمام عظيم الإهانات كلما خدمته أعتى الشياطين وأتت له بالأعاجيب ..!

ليس هذا هو مقصود كلامى ...!

ولكن المفاجأة الحقة ... هو **استخدام علم الحرف مع القرآن** ... وحتى بدون نجاسات أو خلافه ... ولكن باستخدام علم الحرف وأسراره العجيبة ... والتى لو استخدمت مع أى كلمات أخرى غير قرآنية لكان لها ناتجها ... ولكن لعلم الكفرة الفجرة بإعجاز الجملة القرآنية ولاحتوائها على مضمون لا يمكن صياغته بنفس الحروف سوى بهذه الصياغة ... - ولو جُرِّبت صياغات أخرى بنفس الحروف لحمل نفس المضمون لكانت أضعف ... - لذلك كان استخدامهم للقرآن من هذا المنطلق ... بل ولا يمكن أبداً خوض غمار هذه التجربة من أى ممارس إلا وأن يكون له علم وفير جداً بالقرآن وتفصيلات آياته وكامل معانيها ... وسبحان الله ... لقد تخَصَّص فى القرآن وتعمَّق فيه وفى مضامنيه وآياته .. بل وحفظ قدراً عظيماً منها .. **مشايخ البركات** ، والذين معظمهم على غير ملِّة الإسلام .. بل وأصحاب مناصب دينية فى دياناتهم ..!! ... ولاستخدامه فى أعتى الأعمال وأحقر أنواع السحر وأبلغها فى نفس الوقت ... وتجد كل متنطِّع منهم يقول لك ... **أنا لا أعمل سوى بالقرآن** ... !

فعلاً هم لا يعملون سوى بالقرآن ... ولكن فعلهم لا علاقة له بالقرآن حتى وإن استخدموا فيه الصياغات القرآنية .. من خلال استخدامهم للآيات والسور المختلفة ...

ولتبسيط ذلك .. سأضرب لك مثلاً .. جملة دارجة مثل « **ريَّان يا فجل** » ، ... يمكن معالجتها طبقاً لعلم الحرف ... بمعالجة رقمية .. وأخرى طلسمية تراعى المعالجة الرقمية وطبائع كل حرف من الحروف واسمه وجسمه وعقله وقلبه وقوته ووصفه ... ثم يحتاج هذا لنوع كتابة مخصوص على مادة مناسبة لموقف الكتابة وهدفه .. وتلاوة حرفية ذات ترتيب معين ... يصاحبها ويصاحب الموضوع منذ الوهلة الأولى البخور المخصوص المناسب تماماً لجميع ما يتم ... ثم يلى ذلك المكان الأنسب لاستقرار المادة المكتوب عليها ...!!!!

ولكن جملة « ريان يافجل » هذه ... تشمل حروف الراء والياء والألف والنون والفاء والجيم واللام[1] ... وهى ليست أفضل صياغة بهذه الحروف ولذلك فمع جودة صياغة أفضل بنفس الحروف ... يكون الأداء أقوى ...!

وبالتالى كان سعيهم للحصول على تراكيب الحروف المرادة وبأفضل ما يمكن الحصول عليه ... من خلال الصياغات القرآنية ... وبما يناسب المضمون أو الهدف المراد خدمته بما يعملون ...!

ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

لقد تحوُل القرآن من منظورهم إلى منجم خصب للمواد الخام اللازمة لإتمام سحرهم وكفرهم ...!

ولقد تعمقوا فيه إلى أبعد مما يمكنك تخيُّله .. لضمان نجاح ما يعملون .. ولوصولهم للآية التى تمثل بيت القصيد لهم ، وبدلاً من انقيادهم إليه وإلى صاحبه - ولأنهم بالفعل منْ أدرى خلق الله بعظمة القرآن .. وإلا لما وهبوا حياتهم كاملة للعمل به - شنُّوا به حرباً على أهله ...!

ولاحظ أن ما يفعلونه ... لا يجلب لهم النتائج لأنه قرآن ... لا .. بل لبراعتهم فى استخدام تعبيراته ومضامينه المُعجزة بمنطق علم الحرف ...!

والجدير بالذكر ... أن جميع أنواع الممالك الشيطانية والروحانية عموماً والتى يتم توظيفها بمثل ما سبق الإشارة إليه أو بغيره ... جميعهم وبلا استثناء ليس لهم على البشر سلطان ... وليست لديهم أى قدرة مطلقاً على شن الحروب على بنى آدم من تلقاء نفوسهم وإلا فسدت الأرض ... وخَربت الحياة ...!

(١) حذفنا الحروف المتكررة ...!

فالله تعالى قد جعل بيننا وبينهم ما هو كفيل بحفظنا تماماً منهم ومن كافة شرورهم ... ولذلك ولعدائهم القديم مع الإنسان .. - والذى لن ينتهى إلا بنهاية وجود الإنسان -... فإنهم يحتاجون باستمرار ليدٍ بشرية تفتح لهم الطريق وتمهِّده .. وتزيل لهم كافة ما به من عوائق ...!

ولذلك كان احتياجهم دائماً للسحرة وللكفرة ... فخطبوا ودهم بمدد تعليمىٍّ لأعاجيب السحر ومختلف أنواع المعمولات القبيحة .. وليعينوهم على بنى آدم ...! ... بل وإنك لتراهم يغرونهم بالغرائب والأعاجيب ...

فتراهم يقنعون كثيرين بإمكانية الحصول على الكنوز الفرعونية والأثرية ... من خلال استخدامهم ...وبإنفاقهم لمبالغ طائلة ... معظمها يذهب فى استجلاب مواد غريبة أو بخور باهظ الثمن ونادر جداً ... يستنشقه الشياطين والجن العاصى الكاذب ... والذين أوحوا لأوليائهم بهذا[(١)] ...

... والحقيقة أنه ... لا هذه الروحانيات الكاذبة المغرضة قد صدقتهم القول وأخرجت لهم شيئا ، ولا أن مشايخ البركات قد اقتنعوا بأنهم لا يفقهون فى هذه الأمور شيئاً ، بل تراهم مثل لاعب القمار الذى خسر ماله على مائدة اللعب ... وعليه بالتعويض ... ولابد إذن من استمراريته فى الملعب ...!

وهم يغفلون قواعد التعامل الحقيقى مع مثل هذه الأمور ... بل ويتعاملون معها ، وكأنما الأمر متعلق بطرد شيطان معاكس من شقة مهجورة ...!!! ... وكثير منهم قد دفع من حياته الكثير والكثير ثمناً لجهله وجشعه ...!

وترى أيضاً ... على سبيل تلاعب الروحانيات الكاذبة بأوليائهم من مشايخ البركات ... إقناعهم بأنهم إن استعانوا بهم فى تصميم بعض أنواع الأحجبة ... فإنه يمكن لمستعملها أن يكون محفوظاً للأبد من الإصابة بطلقات الرصاص ...! ... وناهيك عما يدفعه الناس من آلاف الجنيهات والدولارات ... للتسابق فى

---

(١) مثل « الطقش المغربى » .. و « الزئبق الأحمر » .. !!!

الحصول على مثل تلك الأحجبة وإرضاء مشايخ البركات ... وبالتبعية محاولة مشايخ البركات إرضاء أسيادهم فى كل ما يطلبون ...!

وقد تجد أحياناً الموقف المثير التالى حين إنجاز « مشايخ البركات » لحجاب الحفظ من طلقات الرصاص ... وحين تسليمه لطالبه ... تجدهم يعلقونه له - على سبيل التجربة - فى رأس خروف ... ثم يطلقون الرصاص على الخروف ... فلا يُصاب الخروف بشىء ... وحينئذ تتعالى صيحات التهليل ... والتمسح فى « شيخ البركات » لنيل أى شئ أو قدر من البركات ...!

والحقيقة أنهم ... أبداً ما أعطوه لطالبه ... ثم جربوا إطلاق النار عليه ...!

وفعلاً إن فى الأمر سراً ... وكذلك خدعة غير مستديمة ... ولكن ... ليس هذا بمجالٍ لذلك الآن ...!

....

وعودة ... مرة أخرى لجوهر نقاشنا ... فإن جميع الروحانيات الكافرة والعاصية ... إنما تحتاج دائماً لقلب وعقل وأيادى الفسقة والكفرة الفجرة من بنى الإنسان ...

وسبحان الله ... فللشياطين وللجن عموماً سحرة ... من نفس أجناسهم وقد أشار إليهم الرسول ﷺ فى أكثر من حديث ... ولكن هل تعلم أنه لا يمكن لساحر من سحرة الجن أو من سحرة الشياطين أن يتمم سحراً لبنى آدم من تلقاء نفسه ... وإن اجتمع هو وإبليس شخصياً وجميع ممالكهم وبنيهم ..! وسبحان الله الحفيظ الحق ...

ولذلك .. وبمناسبة قرب نهاية المُهْلة ... تجد إبليس - لعنه الله - وجميع بنى جنسه .. يسارعون لإنجاز ما كان ينجز فى سنوات خلال ساعات ، ولعدم تفويت ما بقى من فرصة وقت لن تتكرَّر ولن تعود ...!

ولو أن سحرة أهل الكتاب ... ومعاونيهم من المنقلبين على ملّة الإسلام ... لم يمارسوا ما يمارسون ... لانحصر دور الشيطان فقط فى مجرد الوسوسة وتزيين الباطل ... وبعض الهامشيات التى ذكر النبى ﷺ ممارسة الشيطان لها مع الإنسان ... ولكن قدَّر الله وما شاء فعل ...

فلقد مكّنوهم ... من اختراق حواجز عديدة ... بل ومن التجرؤ على الإنسان المسلم فى أدق تفصيلات حياته ... والأدهى من ذلك وقبل كل شىء ... هو خروجهم من حيث كانوا ... وما كانوا بخارجين حتى يوم القيامة مما كانوا فيه ... ولكن .. قدَّر الله وما شاء فعل ...!

وحين قال الله تعالى إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً ... لم يلتزم بذلك جميع بنى الإنسان .. فاتخذه بعضهم سيداً ورباً ومعيناً .. ولذلك فهم فى حد ذاتهم .. شياطين الإنس المتحالفة مع إخوانهم من شياطين الجن ... ويكون شمول عموم الآية لهم جميعاً .. « إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً » ... ولذلك فقد ورد عن النبى ﷺ أن حد الساحر قتله ...!

ولكن ... « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله » .. ولا إله إلا الله النافع الضار الحق ...

ياسادة ... لم تعد لنا حصون سوى الله ... فتحصّنوا به ...

أليس هو أهل التقوى وأهل المغفرة ...

ومهما كان حجم ما اقترفته ... عُدْ إليه من لحظتك ... فمن ذا الذى يمنعك عنه .. ؟! ... فوالله .. لن تمنعك جميع أنواع الذنوب من الدخول إليه ...أرأيت من قبل مَلِكاً يُدخل عليه بلا استئذان ... ؟!

.. هو الرحمن .. !!!

غافر الذنب وقابل التوب ... القائل .. نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم والقائل فى حديثه القدسى ... **من أجلكم سميّت نفسى الغفور الرحيم ...!**

من أجلنا وليس من أجل نفسه ...!

حقاً هى من صفات الجمال الحقة له ... لكن المستفيد هم عموم عباده ...!

والله ... إنى لأتعجب ...

يفعل المرء ما يفعل .. ثم يقول يارب .. فيردّ جل شأنه .. لبيك يا عبدى .. أى نعم .. ونعم ياعبدى ..!!

نفعل ما نفعل ... « وهو الغفور الودود »[1]...!

أوتعلم معنى الودود ...؟!

إنه المُحبّ لعباده .. والمتودِّد إليهم بفرط محبة وإنعام وإحسان ... وحين يقول عن نفسه - تعالى - « وهو الغفور الودود » ...

فإن الودود هنا ... لا يجب إلا أن تصرف ارتباطاً بعميم مغفرته ... وكأنما الحديث موجه لكل بنى آدم .. فكُلُّهم خطَّاء ... وهو الغفور الودود .. أى أنك أنت المخطىء والمذنب .. وهو مُستقبِلك بمغفرة لما ارتكبت .. ليس هذا فحسب ولكن ... وبمحبة وود ..!

ولله تعالى المثل الأعلى ...

فكأنك عائد إلى والدك بعد انصراف عنه .. وبعد ارتكابك فى حقه لما لا يُعد ولا يُحصى ... وبمجرد عودتك قائلاً .. سامحنى .. كان عفوه عنك شيئاً مفروغاً منه ... والأبلغ من ذلك ... أنه أخذك فى صدره ليغمرك حناناً ومحبةً ووداً ... وكأنما الأهم رجوعك إليه وليس ذنبك الذى اقترفت ... فذنبك لديه مغفور .. منذ الوهلة الأولى لدخولك .. وليس بمادة حوار بينكما ... ولكن الحوار هو حوار المحبة وفيض الود والحنان ...!!!!

---

(١) البروج : ١٤ .

فبماذا يكون دخولك على ربك وأنت مذنب ... أتدخل عليه بذنب وود أم بذنب فقط .. ؟!! إن الود لا يكون من ضئيل لكبير .. فأنت لا تملك هذا له !! .. ولئن طلبت حين دخولك عليه أكثر من المغفرة لكان ذلك منك سوء تقدير لحالك ومقامك ...

إنك لا تدخل عليه إلا بقبيح الصنيع والأعمال ... ولئن غفر لك فقط فإنه تعالى الغفور الغفار وهذا يكفى ... ولكن أن يستقبلك بالودودية ... فهو ما لا يخطر لك على بال وأنت فى هذا الموقف ..

فأنت قد دخلت عليه طالباً مقاماً واحداً وهو المغفرة ... فارتقى بك مباشرة لما لم تطلب ... وأدخلك فى مقام أهل تكريمه وحبه .. دخلت عليه كما أنت وبما اقترفت .. وخرجت من عنده بلا ذنب ... بل ومنه قُرِّبت ... وبودِّه وبمحبته كُرِّمت ... فلقد استقبلك الغفور الودود .. بما يليق به ... وهذا يفسِّر .. مقولته تعالى فى حديثه القدسى .. عن عبده الراجع إليه .. **وإن أتانى يمشى أتيته هرولة ..!!**

ومعنى أتيته هرولة .. أى أن مسارعته إليك بأكثر من مسارعتك إليه ... وهو من هو وأنت من أنت ...

فاتقِ الله .. تثق به كل شيءٍ وأحد ... ولا يُيَئِّسَنَّكَ الشيطان من رحمة ربك ... ومهما كان ذنبك وفعلك ... فاجمع قلبك وأقبل عليه ... وسيستقبلك ملك الملوك الرحمن الغفور الودود ... ولئن استعنتَ به .. فلا قدرة لمخلوق على من استعان بالخالق .. إذ لا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق .. ولئن اجتمعت عليك جميع الخلائق ...

الرحمنُ فاسأل به خبيراً ...!



الدنيـــا مقلوبـــة
ورأسها مكان رجليها ..!

مُتضايق لأنه مُسْلِم ... !

قال لى مُحدثى - الشاب المثقف الجامعىّ المسلم - ألا ترى أننا نحن المسلمين نزداد تخلُفا بمرور الأيام والسنين ، بينما يزداد العالَم غير المسلم تقدماً وعلماً وغنىً وقوة ... ؟!

قلت له ... نعم ... هذا حق ...!

فاستمر قائلاً ... إننا نوظِّف الدين بشكل خاطئ فى حياتنا ... وبأسلوب أدَّى إلى ما نحن فيه ... وبدليل أنه بغير صلواتنا ولا أصوامنا ... ولا أى شئ من جميع ما تنادى به أنت وغيرك من المسلمين ... وصل هؤلاء الناس لما وصلوا إليه ... ولا أعتقدهم يدخلون الكنائس أو المعابد أو أى دور عبادة من أى نوع ...!

وإننا لو فعلنا مثلهم - والكلام مازال له - لأصبحنا أفضل حالاً مما نحن فيه الآن ... فقد صرنا فى مؤخرة العالم ، بل وفى قاعه نحاول التشعلُق بأى شئ حتى لا نقع ... ولكى يكون لنا أى شكل من أشكال الوجود ...!

وأعتقد أن الإيمان والأديان ... لا مكان لهم سوى القلب ... والله يحاسبنا على نياتنا ... ولكن أن نفتعل خلافاً وصداماً بين الحياة والدين ... فهو ما يجرجرنا إلى الفشل وعدم الأخذ بأسباب الرقى كما أخذ بها غيرنا ، والذين هم ليسوا من أصحاب العمائم ولا اللحى ...!

وكونك - يقصدنى - تطالبنى بالمحافظة على الصلاة والعلاقة بالله طيلة الوقت ... فهذا أمر مستحيل ... إذ أنه يجب علىَّ أن آخذ كغيرى بأسباب الحياة ... ومن أجل الحياة ... وإلا لن يكون لى وجود فيها ... ولن يرزقنى الله بلقمة عيشى وأنا أصلى له طوال اليوم ... تاركاً عملى ومكانى لغيرى ... بل إنى أعتقده سيرزق هذا الذى احتل مكانى ... ولن يكون لى أنا نصيب من الرزق ...!

إن الحياة ... حتى ننجح فيها ... فلابد أن نحياها ونمارسها بواقعية وأن نعمل ونكدح ونبتكر ونعرق فيها حتى نحصل على ثمرة ... وليس أن نتفرغ للعبادات ... ونترك أدوارنا الحقيقية بفهمنا الخاطئ للدين ... أخذاً بما يسمونه « التوكُّل » ... فنكون من الخاسرين ... ويكون لمن سار بعكس منطقنا هذا الغلبة والعلم والقوة ... وبدليل أن الدول العظمى والحضارات الضخمة التى يضج بها العالم الآن ... حضارات وقوة بلا دين وبلا لحية وبلا عمامة وبلا جلباب من أى لون ...!

بل إنى - والكلام مازال له - أرى أن منطق التوكُّل هذا قد خلق بالفعل أجيالاً من « التنابلة » ... يستحسنون « التنبلة » تحت مُسمّى الأديان والإسلام ... وعلى الآخرين رعايتهم وكفالتهم ...!

بل وإن ما تهاجمه أنت - يقصدنى - من برامج وقنوات وإنتاج إعلامى عالمى ... تحت مُسمّيات ... أن العالم قد تفسّخ ... وصار يكلم بعضه بعضاً ولا ساتر يستره ... وبلغة حوار الأجساد العارية ... وما تسميه بقنوات بث تدريس أسس وقواعد جميع أنواع الرذائل ... كل هذا وغيره مما تقوله ... فإن وجوده أفضل من عدم وجوده ... فهو انفتاحة على كل ما يفكر فيه العالم ... ويجب أن نراه ونسمعه ... حتى نعرف كل شئ عن هذا العالم ... والذى نتطلع إليه بشغف ... لأنه قد سبقنا بدوله إلى الرقى والتقدم ... وما نحن إليهم بواصلين ... بل نحن مجرد متفرجين ...!

أفتكون فُرْجَة المتابعة ...هى أيضاً حرام ...؟!

سامحنى ... إن مثل هذه النظرة - ومعذرة - تُسبِّب لنا ما نحن فيه وأكثر ...!!!

....

حقيقةً ... إنك لتستمع لمثل هذا وغيره ... وتكاد تدمع دماً من فظاعة المعاناة الحقيقية التى يحياها أجيال أبنائنا ... بل ومن فظاعة التصورات والأسباب والأعراض المُقحمة ... والتى أجاد المغرضون غرسها فى لبن رضاع

هذه الأجيال فتسممت حتى النخاع ... وهم ليسوا بمتُّهم بقدر ما هم ضحية ... ونحن مَنْ أكْمَلَ الإجهاز على الضحية ...!

يا بنى ... أقولها لك ولكل جيلك ... ولكل أجيالنا المعاصرة وكذلك لأجيال الزمن الآتى ... لا تزيدوا من نزيف الإسلام ... ولا تزيدوا مرارة معاناتنا ...

بل إن الإنصاف ليقول ... إن كل ما هو مسلم على خريطة العالم ... حتى وإن كان إسلامه حبراً على ورق ... لا وزن له ولا قيمة ... أفراداً ومجتمعات ودولاً ... أليس ذلك بمدعاة لقليل من التأمل ...؟!

ألا يعنى ذلك شبْه توحُّد لنوع المواجهة والمرادات المستهدف إتمامها ضد الإسلام وضد كل ما هو مسلم ؟ وبدليل وقوع كل المسلمين فى كل دول العالم بلا استثناء تحت نفس مُلابسات النظرة الأخرى المواجِهة ، وتحت ضروس القهر إن سمحت الظروف ...!

ألا نلحظ أو نشتم مجرد رائحة لشئ ما يُقصد به بقاء كل ما هو مسلم على ما هو عليه ... مع تطاول قامة كل شئ غير مسلم ... وبما يعنى فى النهاية زيادة تخلف المسلمين عما هم عليه ...؟!

ألا تعنى قراءة الأحداث التاريخية أى شئ ...؟! ألم تكن دول المسلمين ومقدُراتهم غنائم يقتسمها سادة العالم وعسكره فيما بينهم ...؟!!

ألم تكن عملية إنهاء دولة الخلافة الإسلامية وتمزيق المسلمين إلى شتات متفرقة بين حارات الكرة الأرضية ... هو بمطلوب قديم من أهل الحقد على الإسلام والمسلمين ؟!

ألم يكن هذا بمراد يجرى له التخطيط على قدم وساق ... وحتى لا تكون للإسلام دولة كما كان ، وقد جرَّبوا هم ذلك من قبل ...؟!

ألم يكن تحالف الجميع معلناً وبوضوح منذ الوهلة الأولى ... وهو القضاء على دولة الإسلام وبأى شكل ...؟!

وعلى سبيل الإمعان فى الإجهاز على الكيان الإسلامى ... فقد لعب المخطط المقابل والمعادى لكلمة إسلام - فى أى صورة وفى كل صورة - دوره بمهارة واقتدار على مدار حقبة زمنية ليست بالقصيرة ... ولقد كانت الآلة العسكرية أكبر وأعظم فى يد أعداء الإسلام ... تزامناً مع ما تم نهبه من خيرات دول المسلمين ... لإفقارهم إضافةً لضعفهم ...

ولقد كان مخطط الإفقار الأعظم هو إفقارهم إيمانياً وإسلامياً ... وليس مجرد تركهم « على الحديدة » ... لا ... بل وبيع هذه الحديدة الإسلامية أيضاً ... وغُرِست مكانها ... على مدار سنوات طويلة ومديدة ... كافة أنواع البدائل لكل ما هو إسلامى ...

وكنتيجة منطقية لهذا المخطط المرسوم بمهارة ... كان أن خرج الناس جيلاً بعد جيل عن مضمون الإسلام ... واقتنعوا بكل ما تم تصديره إليهم من دعارة وجنس وفكر ومخدرات وأديان وضعية وحضارات زائفة وبريق وهمى ... إلخ ...

لقد صار الميراث الإعتقادى لدى الأجيال المتعاقبة فى دول المسلمين وفى صدور معظم أبناء الإسلام ... أن السبب الأوجه لتخلفهم كونهم مسلمين ! ولقد صدَّق الغافلون ما صدَّروه إليهم ... وأورثوهم إياه ...!

ومصيبة الإسلام ليست فى أعدائه ... إطلاقاً ... فلكل دين أنصار وأعداء ... أو كحد أدنى غير مقتنعين به ، دونما وصول الأمر إلى حد العداء ... ولكن مصيبة الإسلام فى أهله ... !

لقد تم عَلْمَنَة الحياة برمتها ... وإن كان مصطلح « العَلْمَنَة » يحمل بريق معنى العلم والعلوم ... إلا أنه برئ تماماً من هذا المقصد ... وينحصر مضمونه الصادق ... فى فصل الدين تماماً عن حركة الحياة ...!

ولذلك فقد وجدنا العديد من المحاولات .. والتى سطرتها الأجيال المتعاقبة .. مُحَاوِلَةً استرداد الهوية الإسلامية ... وتحت مُسميات عديدة ... مثل أحزاب أو جماعَات أو تنظيمات أو حركات ... إلخ ... آخذة الشكل الرسمى أو غير الرسمى ... وبحسب نوعية المناخ السياسى الذى تتشكل فيه هذه التشكيلات ... وحسب مُسمَّى الدولة التى يتم فيها ذلك الإفراز ... وفى ضوء ما تعتبره مسموحات أو مرفوضات ...

ولقد أخذت الكثير من هذه التشكيلات وتحركاتها الشكل التصادمى غير الناضج ... وكانت ردود الحكومات بالمواجهات الأمنية ...!

ولا أعتقد أن رجل الشرطة أو رجل الأمن ... يستطيع إخماد ما فى كوامن الصدور ... حتى وإن كان خطأ ...!

ذلك لأن الإعتقاد هو أقوى ما يحرك الإنسان ... فإن كُنَّا نريد تصحيح خطأ اعتقادياً لدى إنسان ... فإنما بالمحاورة وبالحجة وبالدليل والبرهان والأسانيد ... نصل إلى ما لا تصل إليه أجهزة الأمن بالمواجهات التصادمية ... إن هذه المصادمات ... والتى هى فى أغلبها ... مرادات خارجية مُقحمة على إسلامنا ودولنا ... لم يكسب - خلالها - أى من المتصادمين شيئاً ولم تُخْدَم قضية الإسلام بمثقال ذرة ... بل وأعطينا لأعدائنا منطق حلاوة الفرجة على صراع المسلمين ... ولم تكسب هذه الدول ولا حكوماتها شيئاً ... ولم تكسب الحركات إسلامية المسمَّى - والله أعلم بجوهرها - أيضاً أى شئ ...!

ما هذا ؟! أسنظل على هذه الحال لمُدَد أكثر وأطول ؟! أم ماذا ...؟!

ولعل وَهْم تغيير أنظمة الحكم بالقوة وبالإنقلابات ... وبأسلوب من يستيقظ مبكراً عن غيره يَقُد انقلاباً ويستولِ به على مقاليد الأمور والحكم ... كما رأينا وعاصَرْنا فى بقاع مختلفة من خريطة المعمورة ... لم يعد هو المطلوب أو المستهدف المراد ... لأنه لا يُحقَق أى شئ من أى نوع سوى تغيير الوجوه ... والدخول فى قائمة طويلة للمعاناة ، يعانى منها أفراد

الشعوب والمجتمعات ، وبما لا طاقة لهم به ... وطبقاً لأهواء أصحاب الإنقلابات ... ولأن مواطن هذه الدول إنما هو واقع تحت وصاية المُنقلبين ... ولا حول له ولا قوة فى أى شئ من أى نوع ...

إننا وإن كنا الآن أصحاب دول ومجتمعات وحكومات ... فلنكن أذكى من منطق مُصدِّرى الإنقلابات ... فرؤساؤنا وملوكنا هم جزء من الواقع ... ولابد وأن تسير بهم وبنا الأمور ... ليس بالشكل التصادمى ولكن بأسلوب أنا مُسْلِم وأنت مُسْلِم ... أنا مصرى وأنت مصرى ... أنا ليبى وأنت ليبى ... أنا سعودى وأنت مغربى ... نحن أصحاب مواطنة ودين ...

فلئن تمت إنقلابات تطيح بجميع الأنظمة العربية والإسلامية لمن ستكون مقاليد الأمور ...؟!

إنها بالطبع ستكون لآخرين ... وماذا سيفعل الآخرون ...؟!

الله أعلم ؟! ومن هم أساساً الآخرون ...؟!

صدقونى ... نحن فى محنة ... ومحنتنا ليست محنة نظم حكم ، ولكنها محنة تمزّق الجسد الإسلامى من جهة ... ومن جهة أخرى تبعيض الكيان العربى فى أبعاض أو أجزاء ... لا يجمعها منطق الجسد الواحد ...!

فلا نحن قد التأمنا إسلامياً ولا عربياً ، وبمعنى أنه لا يوجد الكيان أو الجسد الحقيقى المتناغم الجامع لنا ...

فالمشكلة أصلاً ... هى تطبيقنا لسياسة الجسد الممزّق ... سواء إسلامياً أو عربياً ...

إن افتعال المصادمات داخل البلد العربى أو الإسلامى الواحد ... لهو كفيل بتبعيض وتمزيق الكيان الإجتماعى الواحد ... داخل حدود وجدران الدولة الواحدة ... ومن ثم فاستشراء هذا على مستوى العرب والمسلمين ... لهو كفيل أساساً بأن يُفْرز لكل دولة ما يكفيها داخل جدرانها ... بل ويُلْقِى بظلاله

الضبابية على علاقات هذه الدول بأخواتها ... ولطالما أثبتت التجربة ... نجاح سياسة التبعيض العربى أو الجسد العربى الممزّق ... وبدليل ... أن بعض الدول العربية صار حُرّاسها من دول غير العرب ... لأن بعض العرب قد طمعوا فى أخوتهم من شعوب العرب ودولها ...!!!

ما هذا ؟!

لقد استورد بعض العرب حرّاسهم رسمياً ومكّنوا لهم من التواجد الآمن فوق أراضيهم ... وعلى هذه الدول دفع فواتير الحساب الباهظة ... حالياً ... وفى الأجل القريب اللاحق ...!

ولقد سمعنا بوضوح وجلاء عن بداية ضعف واهتزاز المراكز المالية لهذه الدول ...!

فهى سياسات تقود إلى الدخول فى مستنقع الفقر أولاً ... ثم أنا فوق أراضيك ولا طاقة لك على مواجهتى ... فأنا ذراعك أما أنت فلا ذراع لك ...!! ...هى إذن سياسة الأمر الواقع ...

ولئن كانت متطلبات الحفاظ على بعض الأنظمة الحاكمة ، إنما تكون باستيراد دول أجنبية تلعب دور الجندى والشرطى والحارس الأمين ... فمعنى ذلك أن العبرة فقط بمحافظة أهل الكراسى على كراسيهم ... وليس فى المخطط ما ستُسفِر عنه تلك المُقْحمات على المنطقة حالياً أو مستقبلياً ...

ولئن كان لَمُّ الشَّمل عربياً بسياسة الجسد الواحد القوى ... هو أمر مستحيل ... لأن الكثيرين ينظرون للآخرين من إخوانهم العرب بنظرات الريبة والشكوك ..! ... ولذلك ولغيره ... ونتيجة لجميع ما وصلت إليه المنطقة العربية من أحداث وأمر واقع ... فإن الجمهرة العربية المستهدفة ... لا أعتقدها ستثمر فى الوقت الراهن عن أى شئ ...!

ولئن كان الأمر قد وصل إلى هذه الذروة ... فلْنُعد حساباتنا على أسس إسلامية ... نتجاوز بها حدود مُسلمى العرب ... إلى جميع مُسلمى الكرة الأرضية ... لأنه وإن كان أساس الأرض لم يستطيع جمعناً ... وهو عربيتها وبالتبعية هويتنا العربية ... فإن أساس السماء أقدر على جمعنا إن اعتقدنا فى حقيقة جدواه وأنه ملاذنا الأخير ... بعد تجربة جميع ما جرّبناه ...!

مواجهة العالم لبعضه البعض ... دينية لا محالة ... !

ألم نسأل أنفسنا يوماً ... لماذا - ودائماً - يرأس الولايات المتحدة الأمريكية رئيس غير مسلم ... وكذلك الحكومات الأوربية ... وغيرها من الدول ... ؟!!

لأن الإجابة وببساطة شديدة ... أن هذه الرقعة من العالم وبدولها لا تدين بالإسلام ... وبالتالى فرؤساؤها ... والذين هم ثمرة منطقية وطبيعية لهذه المجتمعات والدول ... غير مسلمين ... وذلك واقع يجب التسليم به .. وبلا أدنى نقاش .. !

واعترافاً بذلك واستناداً إليه ... بماذا نُسمِّى افتعال مشكلات فى دول المنطقة العربية تحت ما يُسمى بحقوق النصارى ... ويقود هذه الإختلاقات دول عديدة على رأسها أمريكا ...

ألا يعنى هذا ... أن هذه الدول تقول « بالفُم المليان » أنا مسيحية ... وليتها قيلت بشكل يدعو لاحترام ما قيل ... فـ « لكم دينكم ولى دين » ... ولكن أنا مسيحية وأرعى حقوق مسيحىِّ العالم ... بل وبالتدخل السافر فى مصير الدول وبشكل غير مهذب ...

ألا نلاحظ أن الدين يحتل مكانة تحريك سياسى لدى هذه الدول ، حتى وإن لم يكن يمثل لرؤسائها ومواطنيها ، تحريكاً اعتقادياً حياتياً لضبط إيقاعات الحياة وسلوكياتها وأخلاقياتها ...!

وبدليل أنهم يعبرون القارات والمحيطات ... ليُعَلِّموا دول المنطقة وحكوماتها دروساً فى الأدب ... وكيف يعاملون مواطنيهم ... والذين هم مواطنو دول المنطقة وليسوا مواطنى أمريكا أو أوربا ...!

إذن فموضوع الأديان يفوق موضوع المواطنة لدى دول الدرجة الأولى الممتازة ... ولدى دول الفيرست كلاس ... وبدليل افتعالهم مشكلات واضطهادات دينية للمسحيين ليس لها أدنى سند أو أساس ... وعبورهم القارات يقيمون الدنيا ولا يقعدونها من أجل وَهْم اسمه إضطهاد للأقليات المسيحية فى دول العرب المسلمين ...! ... و « إيه اللى أنتم بتعملوه مع المسيحيين ده » ؟ !!!!!!! ... إذن ... فالموضوع يحمل فعلاً الواجهة الدينية الـمعْلَنة ، وبلا أدنى مواربة ...

ألا يحرك هذا بداخلنا أننا - كمسلمين - مستهدفون ... وأن موقعنا على خريطة ساكنى الكرة الأرضية وكأصحاب دين ، لم يعد يروق لسادة الأرض المزعومين ... بل وسمحوا لأنفسهم من منطلق دينى ... ما لم يستطيعوه من أى منطلق آخر ...!

ألا يقودنا ذلك إلى أن المواجهة متى بدأت ستكون دينية ...؟!

إننا فى دول منطقتنا نتعامل مع موضوع الأديان بشكل يشوبه منتهى الحرص بل والخوف كذلك ... لأن أصحاب الشوكة والصولة والجولة فى العالم غير مسلمين ... ولذلك يجب إرضاؤهم وإسكاتهم بأى شكل ...

لا يا سادة ... هذا هوْ الكارت الأخير الباقى لنا ... ولا يجب بأى شكل أن يُقبل التفاوض السياسى بشأنه بين الدول والحكومات ونحن كمسلمين فى معزل عنه ...

إنهم وهم يتبجحُون فى وجوهنا ... يقولون نحن مسيحيون أو يهود أو أى شئ .. وأنتم مسلمون ... تفعلون ... وتفعلون .. وتفعلون ...! والناتج بعد هذه المواجهات المفتعلة ... والتى ليس لها أدنى أساس من الصحة ... هو قبول المناقشات والمداولات والإجتماعات فى هذه الموضوعات كأية أمور سياسية أخرى ...!

لا ... نأسف لهذا الخطأ ...!

إن مواطنينا من المسلمين والمسيحين وأية اعتقادات مذهبية أخرى ...هم أخوة جمعتهم المحن والمواطنة وسماحة الإسلام منذ عهود بعيدة ...

ولكن إفصاح العالم القوى عن حقيقة نواياه ومُحركاته الدينية ... هو محض عواءٍ مرضيٍ لا يجب إرضاؤه بأى شكل تفاوضى أبداً ... فهم ليسوا بأوصياء علينا وعلى شعوبنا وعلى دولنا ... وعلى أدياننا وما نعتقده ...

ولئن شهد أى مجتمع من مجتمعاتنا أية خصومة بين طرفى نزاع ... سواء كان طرفا النزاع مسلمين أو مسيحيين أو مسلماً ومسيحياً ... فإن لدى دولنا ومجتمعاتنا ما هو كفيل بحل أي شكل من أشكال هذه النزاعات ... من تشريعات وقضاء وعدالة ... يتساوى أمامها الجميع ...

ولكن ... أن يأتى لمنطقتنا ودولنا ، من يقول أنا راعى المسيحية وأنكم تضطهدون المسيحيين ... الخ من هذا الهذيان والخبلان ... فهو ما لا يجب السكوت عليه ...! لا أقصد أن تقوم الدول بطرد مثل هؤلاء المبعوثين وافتعال أزمات ... ولكن ... كان يجب أن تكون مثل هذه المواقف بمثابة ناقوس خطر ... يعتمل فى النفوس لنتبيّن أن المواجهات جميعها فى الفترة القادمة ... أساسها وركنها الركين ... دينى لا محالة ...

وعلى سبيل المثال ...

هل يُقْبَل ... - وعلى سبيل المسايرة لهذه الأصوات والوفود المريضة ... وعلى سبيل مجاراة ما ذهب إليه سادة العالم - أن تتطور الأمور ببعض مجتمعات دول المنطقة العربية ، أنه وحين صدور أى حكم قضائى بين طرفى نزاع أحدهما مسلم والآخر مسيحى ... فلابد وقبل تنفيذ الحكم القضائى ... من إتمام دراسة أمنية ...!!!! مع ملاحظة أن مثل هذه الدراسة ستنعدم تماماً وسيتم تنفيذ حكم القضاء فوراً ... لو كان طرفا النزاع مسلمين ...!!!

واللهِ ... إن كرامة الإسلام والمسلمين لفى مِحْنَة ...!

فهل أنتم مُعْتَبِرون ...؟!

هل أنتم مُتَفَهِّمون لمتطلبات مرحلتنا الحالية والمقبلة ...؟!

إننا نحتاج لتجمع إسلامى بالغ القوة ... تُعْمَل له آلاف الحسابات المُعقَّدة ... هو وأهله ...!!!

وليس أن يكون فقط شعار ورمز دولنا أو تجمعاتنا الإسلامية منحصرة فى كون أسماء رؤساء الوفود المجتمعة - بما فيهم من رؤساء وملوك دول العرب والمسلمين - تحمل الإشارة الإسلامية مثل أحمد ، محمد ، ... الخ ... لا ...

هل أنتم مدركون أننا فى أزمة ...؟!

أزمة اختلال لكافة الموازين والتوازنات ...!

هل أنتم مدركون فعلاً أننا نحتاج لإحداث تغيير فعلى وجذرىّ ...؟!

إن كانت الإجابة ... نعم ...

فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ...

وحقاً إن كرامة الإسلام وأهله لفى مأزق ...!

....



إبليس دُوَلِيّاً ...!

يا أهل المحنة والزمن الصعب ... يا أمة الإسلام ... أفيقوا ...! فلا رُقعة أمان لكم فى هذا العالم ...

فأنياب أعداء الإسلام ... الذين يصافحوننا - وقت اللزوم فى المحافل والتجمعات الدولية المختلفة ... - بابتسامات عريضة ... وفى كوامن جذورها بغض لنا متجمهر به أغنى ميراث حقد وضغينة ... قد شُحِذت وبلغت أوج عُتُوُّها ..!

أفيقوا لتروا ... المهزلة ...

العراق - وبصرف النظر عن أى شئ - يُدَكُّ ليلاً ونهاراً ويُفرض عليه كيف يسوس أموره ... وما هو محظور وما هو غير محظور ... أيكون لمثل هذا البلد سيادة له على أراضيه ... أله سيادة حقيقية ؟!

يا سادة ... إنهم ينتزعون ما لدول الإسلام من سيادة على بقعة أراضيها المتواضعة ... إنهم ينتزعونها انتزاعاً ... وينتهكون حرمة الدول وأراضيها ... ومن ذا الذى يعترض ؟!

وليبيا - وبصرف النظر عن أية أراء - أليست جزءاً من العروبة والإسلام ...؟!

حظر لكذا ولكذا ولكذا ... ومحكوم عليهم بركوب الناقة والحمار وكحد أقصى السيارة ... وحظر جوى ... وحظر لكل وأهم أسباب الحياة ... ونحن ... لا صوت مؤثراً حقاً لنا ...!

إن كانوا يبحثون عن تسلُّم مواطنين ليبيين بتهمة غير ثابتة - ثبوتاً قطعياً نهائياً - لسقوط طائرة بركابها ... وأقاموا على ليبيا الدنيا ولم يُقعدوها ... واجتمعى يا كل منظمات العالم واتخذى عقوبات وحظر حياة لهذا البلد ولهذا الشعب ...

فكم من الأبرياء والمسلمين والطـائرات والأخلاق وأسباب الحياة أطحتِ بهم يا أمريكا أنتِ وعواجيز زفـة الناتو ... ولا من شاف ولا من درى ... وإن رأى أحد أو علِم ... فماذا يستطيع أن يفعل ؟!

وحتى بعد تسليم المواطنين الليبيين ومع تعهد محاكمتهما محاكمة عادلة ... فلم نستطع أن نفعل شيئاً منذ تفجُّر أزمة لوكيربى ... ولكن الجدير بالإحترام هنا ... هو الموقف الصلب تجاه هذه الأزمة ومنذ تفجرها ... وإصرار القيادة على عدم تسليم المواطنين تحت أية ضغوط ... وبصرف النظر عن العديد من الملابسات والتى قد أتفق فيها مع البعض أو أختلف فى هذا الخصوص ...

ولعل ما أعلنته عجوز الناتو - إنجلترا - عن حوزتها لأدلة جديدة قاطعة دامغة لا تقبل الشك .. بخصـوص تورط ليبيـا رسميـاً فى هذا الحـادث ... - لعله - بداية جديدة لسيناريو تجريم وإدانة للرئيس الليبى ، ومن ثم المطالبة بمثوله للمحاكمة ... وحين رفضه ... سيكون ميلاد المبرر - الجاهز مسبقاً - للصولة والجولة فى سماء ليبيا ... !

وراجعوا سيناريو ما قبل هتك الحرمة الدولية ليوغوسلافيا ... فقد جهَّزوا لها بنود اتفاق ... لا يقبلها عبيط القرية ... أى قرية ...!

جهـزوا لهـا ما لا يمكن أبـداً قبوله .. وحتى يكون للبهدلة سببٍ وجيه ... « أنهم رفضوا » ...! وبصرف النظر عما عُرِضَ عليهم ... « أهـم رفضوا وخلاص » .. !!!

والسودان ... التى استخفَّ بها وبكل العرب والمسلمين الولد الشقى ... ومع أول بوادر إدانة عامة له ... إستخدم الأسلوب القديم العفن والذى حفظناه من صفحات التاريخ غير النقية ... لصرف الأنظار عن قضيته لقضية ... هـكذا وبدون حياء ... ليصرف النظر عن سوستة بنطلونه وعن بقع فستان البنت « إياها » ... إلى أن دولته فى حالة أداء عامة خارجية ، ولتتضافر الجهود والهمم والإهتمامات كلها مُؤازِرةً سندباد الأرض وسيد الكوكب كله بلا

منازع .. وباستخدام مئات الحُجج التالفة منتهية تاريخ الصلاحية من قبل إطلاقها واستخدامها .. مثل .. مصانع كيماويات سلاح ..ومصانع أسلحة ...

... هل داس لك أحد على طرف ... أنت تنتج فى بلدك ليس فقط الأسلحة ... بل جراثيم وميكروبات لتصنيع الأمراض لخلق الله ... واسألوا الإيدز - يا أهل الغفلة - إن كنتم لا تعلمون ...!

وكذلك إسرائيل ... لم نشهد عليها حظراً من أى نوع أو احتراماً لأى قرار من أية مؤسسة أو جهة دولية ... ولم نرَ أية عقوبات من أى نوع ...

وفى النهاية ... يُثْبت خلق الله المنكوبون فى السودان ومن خلال خبراء محايدين - أمريكان - أَن ما تم ضربه ... لا علاقة له بالسلاح من أساسه ... ولا بأمن البيت الأبيض أو الأخضر أو أى بيت من أى لون ...!

مذابح البوسنة والهرسك ... واستخدام السادة لأسلوب « عيب يا ولد » ... خلال فترة أداء زمنى ... كفلت للولد الصربى تأدية وإنهاء كافة مهامه وكما ينبغى ...!

ومكّنوا للآخرين ... من إبادة وذبح المسلمين وهتك أعراضهم ... وهذا لا يهم ...!

وبقية المسلسل الحالى ... الخاص بالمسلمين الألبان ... وتعرض هؤلاء المسلمين - على خد وصف المراقبين - لمذابح ووحشية وهتك أعراض فاق بكثير ما حدث فى البوسنة والهرسك ...!

وها هم سادة العالم أهل الناتو ... يجوبون سماء يوغوسلافيا ضرباً ... وطلعات ونزلات ... ولم يتوقف أى جزء من سيناريو الأحداث تجاه المسلمين ... بل إن السيناريو يتم بدقة بالغة تفوق الوصف ... ودون أى خروج عن النص ...!

وقد يتعاطف البعض - غفلة - مع سيدة الأرض ومن عليها ، ومع جمهرة الناتو ومع الطلعات والنزلات ... متصورين أمريكا ... إنما تفعل ذلك من أجل عيون المسلمين ...!

إنه لم يتم إنقاذ شبر واحد مسلم أو مواطن واحد مسلم من ألبان كوسوفا بما فعلته أمريكا والناتو ... بل إن المخطط هو الدخول فى زحام الأحداث وكسب موقف بطولة وهمى ... بأنهم رجل الأرض فى كل زمان ومكان ... ونصير المستضعفين ... ومن منطق إنسانى بحت ...

لا ... أفيقوا يا سادة ... فالمخطط الوحشى تجاه المسلمين ومقدّراتهم وأعراضهم يتم دون انحراف عن الخطة ... وأمريكا والناتو لا ينوون إيقافه ... فهو يشمل إبادة مسلمين ... وهذه فرصة ...!

والفرصة الأخرى ... هى إنهاك وتخريب أحد أهم حلفاء المعسكر الشيوعى القديم وتقليم أظافر سكان كوكب الأرض ... خاصة وأن هذه البقعة كانت مما انفلت عياره من يد أمريكا فى نهاية الحرب العالمية الأخيرة ، ولم تستطع أن تضعه فى جرابها ...

إن الأمر يا سادة ... بمثابة عمل على محورين ... إبادة للمسلمين وهتك لأعراضهم وتشريدهم ... وأمريكا والناتو يشاركون فيه من خلال إتاحة الفرصة لأن تستثمرها يوغسلافيا دون إيقافها ! ولأنهم لو أرادوا إيقاف ذلك لأوقفوه .. ولكن لماذا يوقفونه ولطالما يُحقق مصالح عليا ...وهى « بهدلة مسلمين » [1] ...!

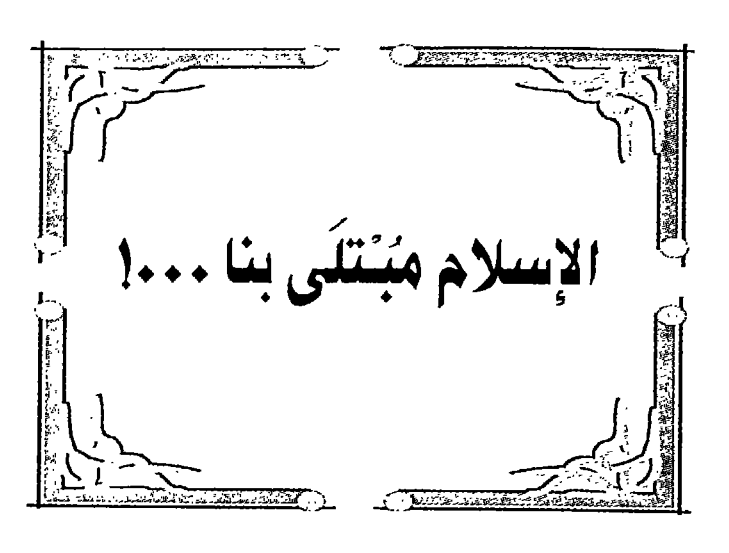
والمحور الآخر ... هو محاولة جادة لإنهاك وإضعاف الآلة العسكرية للمحور الشرقى ... أو لأى دولة خارج حيِّز أهل الناتو ... وقد جاءتهم الفرصة ...!

وراجعوا قراءة التاريخ المعاصر والحالى ... لجميع المسلمين فى كل دول العالم ... بلغاريا ... وبورما ... وكمبوديا ... وجنة عدن الواقعة بجنوب لبنان ... وفلسطين والقدس والمسجد الأقصى ... الخ ...

وقد سبق هذا ومازال يواكبه ... محاولة المسح الشامل للهوية الإسلامية داخل جميع المجتمعات الإسلامية وبفنون شتى ...!

....

(١) حتى وبعد إيقاف النزهات الجوية فى سماء يوغسلافيا ... فقد أوقفوها بعد خراب مالطة .. !!!



الإسلام مُبْتلَى بنا ...!

....

« لا يغرنَّك تقلُّبُ الذين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد ... »[1]

إنما - إذن - هو لهم استدراج من الله تعالى ... « ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم ، إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ، ولهم عذاب مهين »[2] وقد قال أصدق من قال ﷺ «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته» ! وقال أيضاً ... «إذا رأيت الله يعطى العبد من الدنيا على معاصيه[3] ما يحب فإنما هو استدراج » !!

« ولكن قست قلوبهم وزيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون ، فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون ، فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين »[4]

... ألا ترى أن استدراج الله تعالى وبداية إنزال عقوبته بأهل القلوب الميِّتة القاسية أصحاب الزينة الشيطانية والتى لابد وأن تهواها النفوس ... وتستهوى هي النفوس وتستعبدها ... ألا ترى أن استدراج الله تعالى لهم لإنزال العقوبة ... إنما يبدأ بـ « فتحنا عليهم أبواب كل شئ » أي أعطى لهم من الخيرات والثمرات والتقدم والرقى والعلوم ... و ... و ... الخ ...

« حتى إذا فرحوا بما أوتوا » ... أولم يفرحوا حقاً بما أوتوا ..؟! إنهم به لفرحون ... يجوبون سماء العالم سادةً بلا منازع ...! وماذا بعد فرحهم ... « أخذناهم بغتة .. » ... « فقطع دابر القوم الذين كفروا » ... !

(١) آل عمران : ١٩٦ ، ١٩٧ (٢) آل عمران : ١٧٨ .
(٣) أى بالرغم من ارتكابه للمعاصى والمظالم والمحرمات ... تجد أن الله تعالى يعطيه كل ما يحب ... ولا يمنع عنه شيئاً ...
(٤) الانعام : من ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ .

إنه استدراج ... وتخطيط إلهى محكم معلن ... وتلك هى سُنَّة الله والتى لا تتبدَّل ولا تتغيرُ ... وهى التى أعملها - جل شأنه - فيمن سبقونا من أقوام وأمم وقرون .. « سُنَّةُ الله التى قد خَلَتْ[1] من قبل ، ولن تجد لسُنَّةِ الله تبديلاً .. »[2]

.. « فهل ينظرون إلا سُنَّةَ الأولين ، فلن تجد لسُنَّةِ الله تبديلاً ، ولن تجد لسُنَّةِ الله تحويلاً .. »[3]

.. وهو القائل جل شأنه .. « ألم نُهْلِكِ الأولين ثم نُتْبِعُهُمُ الآخرين .. ؟! »[4] ...أى أن سُنَّة الله تعالى ... فى اجتثاث جذور الفساد والمفسدين وكما طبَّقها - تعالى - فى الأولين ... سيطبقها دون تبديل ولا تعطيل ... أيضاً فى الآخرين ...

ولكن ... « وما كان ربُّك ليُهلِكَ القرى بظُلمٍ وأهلها مصلحون »[5]

وهو القائل ... « فأهلكناهم بذنوبهم » ..[6] ... فهو تعالى لا يُنزل عقابه إلا بأهل الظلم البيِّن والذين هم لا يرتدعون ولا يرجعون ... فهو لا يظلم أهل التقوى وهم يُصلحون .. « وما كان اللهُ معذِّبَهم وهم يستغفرون »[7] ... أى أن رجوع العصاة مقبول منه شريطة اعترافهم بذنوبهم واغتسالهم بندمهم واستغفارهم بين يدى ربهم الغفَّار ...

فإن كانوا أهل استغفار ... فلا يجب لهم من الله العذاب ... أما إن كانوا أهل غفلة وموات قلوب وإصرار واستكبار .. فقد حق عليهم القول

---

(١) أى التى قد سبقت .
(٢) الفتح : ٢٣ .
(٣) فاطر : من ٤٣ .
(٤) المرسلات : ١٦ .
(٥) هود : ١١٧ .
(٦) الأنعام : من ٦ .
(٧) الأنفال : من ٣٣ .

... « فأهلكناهم بذنوبهم » [١] ... « وتلك القرى أهلكناهم لمَّا ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعداً »[٢] .. « ولو يؤاخذُ اللهُ الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابةٍ ولكن يؤخرهم إلى أجل مُسمىً[٣] ، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون .. »[٤]

يابنى [٥] .. أصْدُقُكَ القول ... إننا نراهم الآن وهم فى استدراج من الله تعالى لهم ... وهى مرحلة ... « فتحنا عليهم أبواب كل شيء » ... ليفرحوا ...« حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة » والنتيجة .. « فقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا » ... هذه هى سُنَّة الله مع الأولين ومع الآخرين ..!

وأنظر لعظيم توعُّده لأهل الفساد والإفساد الفرحين ... « وإنْ من قريةٍ إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة أو معذبوها عذاباً شديداً ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا »[٦] .

إنه إذن وعيدٌ بالهلاك التام أو بالعذاب الشديد ... والذى سيشهده أهل الظلم ... وتحديداً فى حياتهم الحالية ... ودونما انتظار لما بعد القيامة . إذن فصريح الوعيد بالآية قد حدُّد ميقات إتمام ذلك وإنجازه ... « قبل يوم القيامة » ... !

يابنى ... هذا وعيد الله ... فأين نحن منه .. ؟!

نعوذ بالله أن نكون من الجاهلين ... أو ممن حق عليهم القول والوعيد ...

---

(١) الأنعام : من (٦) (٢) الكهف : ٥٩ .
(٣) أى إلى موعد محدد . (٤) النحل : ٦١ .
(٥) مازال النقاش السابق دائراً مع محدثى الشاب ..!
(٦) الإسراء : ٥٨

وللذين يرون الإسلام سبباً للتخلُّف والرجعية ... أقول لهم ... إن كنتم من أهله ... فأنتم غافلون ... وإن كنتم من أهل أى شىء آخر ... فأنتم صم بكم عمى حاقدون ...! ... أو قد تكونون ... ممُن لا يعملون ...!!!

... فلا تصفوا الإسلام بما فينا نحن ... فالإسلام مُبْتَلى بنا .. !

وما الإسلام إلا صفحات سماوية رقراقة قدوسة ... صاغت ما عجز عنه المُشرِّعون ... وحقَّقت للإنسان معادلة وتوازن الدنيا والآخرة ... بينه وبين نفسه وبين كل شىء ...

أرأيت نبى هذا الدين ... - والذى رسموه خنزيراً يكتب القرآن - ... يوصينا عند ذبح الحيوان بأن نخفى السكين وراء ظهورنا حتى لا نصيبه بالهلع والذعر ... ؟!!!!

حتى الحيوان ... أخذ حقه ... ومراعاة حُرْمَة مشاعره فى هذا الدين ... ولكن قست القلوب أو استُهْدِف تقسيتها حتى يصيبها العمى ... وحتى تنفضح على الملأ عورات الناس والنفوس ... وتكالبهم الحيوانى - فقط - على الحياة ... مأكل ومشرب وجنس وأولاد ... وأموال ... إلخ .

ولئن انحصرت رسالتنا على الأرض فى تلك فقط لما اختلفت أسباب وجودنا عن أسباب وجود الحيوان بوجه عام ... ولصار هو أفضل منا حالاً ... لأنه لن يُحاسب أو يُعاقَب أو حتى يُعَاتَب مجرد عتاب على تقصير ما ... ولكن نحن أهل التَحيْوُن بإرادتنا المطلقة .. والذين سعينا جاهدين لهذه المنزلة المتدنِّية ...!

يا سادة مازلتُ أكررِّ ... وهاكم اقرأوا كتاب الله ... القرآن العظيم ... واستخرجوا لى منه أنه والإسلام أسباب تخلفنا ...!

أكررها ... إننا ابتلاء لهذا الدين ... نعم هو المُبتلى بنا ... وقد كان أهله فيما مضى خير القرون وخير ساكنى الأرض ومَنْ عليها ... وبنفس الكتاب .. وبنفس الدين ... الإسلام ...

ليس العيب فى الإسلام ياسادة ... ولا فى القرآن ... ولكن البلوى فى أنفسنا ... وما ركنت إليه ...

خير أمة أُخرِجَتْ للناس ..!

لقد امتدح ربنا جل شأنه أهل الإسلام بقوله ... « كُنتم خيرَ أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله .. »[1] .

« خير أمة » ... أنحن خير أمة ...؟!

هذا هو مقال ربِّ العزَّة جل شأنه ... ولكن إن كنا خير أمة فما هى شروط هذه الخيرية ... حتى نكون خير أمة ...

.. الإيمان بالله كما أمر الله تعالى على لسان نبيه وفى آيات قرآنه العظيم .. الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ... أو بعبارة أخرى تقوى الله والإلتزام بمنهجه وما احتواه ... وأن تقدِّره حق قدره ومقداره العظيمين .. سراً وعلناً ... تطبيقاً على نفسك ... وعلى من تجب لهم منك النصيحة ... « ياعباد فاتقون »[2] ... « ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تُقَاته ولا تموتُنَّ إلاَّ وأنتم مسلمون »[3] ... « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[4] .

وقد قال سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. « مَنْ سرَّه أن يكون من هذه الأمة - أى من خير أمة أخرجت للناس - فليؤدِّ شرط الله فيها ..!

فما هو شرط الله فيها ...؟!

الإيمان بالله كما أمر الله وكما علَّمنا الله تعالى ... وتقواه ... والتى ينبثق منها ما ينبثق ... من مكارم أخلاق .. وإحسان .. وأمر بمعروف ونهى عن منكر ... إلخ ...

---

(١) آل عمران : ١١٠ .
(٢) الزمر : من ١٦ .
(٣) آل عمران : ١٠٢ .
(٤) الحجرات : من ١٣ .

أما عن أهل الغفلة وترك التقوى ... « كانوا لا يتناهون عن مُنكرٍ فعلوه ، لبئسَ ما كانوا يفعلون .. »[1] وهم مَنْ حَقٌ عليهم وعيدُ الله وقوله ...« فأهلكناهم بذنوبهم » ...

أما عن أهل التقوى ... « ونَجيَّنا الذين آمنوا وكانوا يتقون »[2] . وهو المادح التقوى .. « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى »[3] .

وقد عظُمت آيات القرآن العظيم بَيان أجر المتقين فى الآخرة وبما يعجز عنه المقام شرحاً وإيضاحاً ... ولكن ولأن الناس قد أدمنوا الدنيا وما فيها ... إليكم قائمة مختصرة بوعود رب العزة - والذى هو أهل التقوى - لعباده المتقين فى الدنيا ... !!!!

...« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض ..» [4] ....

وكأنَّ ما نحن فيه من نقص البركة فى كل شيء ... إنما هو محض انعدام تقوى .. إنعكس فى شكل انعدام بركة فى كل شيء ... ولو لاحظت « بركات من السماء والأرض » ... أى من كل نوع ومن كل صوب وناحية .. !

.. « واتقوا اللهَ ويعلمكم الله »[5] ... حتى العلم إن أردناه فبتقوى الله جل شأنه ... « ومَنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب »[6] .

---

(١) المائدة : ٧٩ . (٢) فصلت : ١٨ .
(٣) البقرة : ١٩٧ . (٤) الأعراف : ٩٦ .
(٥) البقرة : ٢٨٢ . (٦) الطلاق : ٢ .

.. « ومن يتَّقِ الله يجعل له من أمره يُسرا .. » ... وكأنما الصعب المنغلق علينا - أيضاً - هو نقص تقوى ...!

وقد يتبادر للذهن اعتراض منطقى ...!

وهو ... إن كان هذا الأمر صحيحاً ... فإن أهل الفساد والإفساد ... بل والخارجين أساساً عن الملِّة ... أمورهم مُيسَّرة ويُرزَقُون ... ويعلمون من العلوم ما لا نعلم ... ومنهجهم ليس ما نقول ... !

إخوانى ... أنا لا أقول أو أبتدع شيئاً من نفسى أو أتكلفه .. لكنها الحقيقة .. وإذا اعترض منطق أحدكم بمثل الإعتراض السابق ... فإن رد ذلك بسيط جداً ...!

وهو أن الخطاب الموجه ... بالحضّ على التقوى ... هو للذين أسلموا وآمنوا أى لأمة الإسلام ...

فالتقوى المقصودة هى تاج السائرين على الدرب الإيمانى الإسلامى ... وهى نتاج مجاهدة المؤمن المسلم وحصيلة مسيرته ...

فإن كان هذا هو مضمون خطاب ووعد رب العالمين لأمة الإيمان والإسلام ... ولم يأخذ بمنهج هذا الوعد أهل الإيمان والإسلام ... فهم - إذن - ورثة دين بمُسمًى مسلمين ... ولئن فتُشتَ قلوبهم لما وجدتَ فيها من الإيمان ما يُسمن أو يُغنى من جوع ...!

ولقد قال أصدق المَعلِّمين ﷺ أن الإيمان ما وقر فى القلب وصدُقه العمل ...

فالموضوع ليس إذن بشعارات وادعاء قراءة غيبيات وشق صدور الناس ومعرفة مخبوءاتها ... لا ...

فإن كان بالقلب إيمان فهذا حقيق عمل القلب ... وإن لم تعمل الجوارح مدفوعة بمنهج هذا الإيمان وبجُملة قواه الدافعة فهو ليس بإيمان ... ولكن مجرد ظن ...!

وقد كذَّب النبى ﷺ الأقوام الذين قيل له عنهم أنهم يدَّعون الإيمان ولا يفعلون من أفعال الإيمان شيئاً ، ويقولون نحن نُحْسِن الظن بالله ... وهو - أى الله تعالى - عند ظن عبده به ..!

فوصفهم ﷺ بأنهم كذبوا ... لأنهم لو أحسنوا الظن بالله لأحسنوا العمل بموجب إيمانهم القويم والذى عبَّروا عنه بحُسن ظنهم بالله ... ولأن الإيمان ما وقر فى القلب وصدَّقه العمل ...

وحُسْن الظن بالله تعالى هو واجهة رقراقة فيَّاضة للحقيقة الإيمانية المستترة بالقلب ... ولا يظهر ذلك كله إلا بصدور العمل فى حيِّز الأداء والإدراكات المفهومة ... فنعلم من خلال المواقف والسلوك إن كان صاحبها يُحْسِن الظن فعلاً بالله أم غير ذلك ...!!!

إذن ... ولكون الله تعالى قد أفصح فوق السطور فى قرآنه العظيم أننا « خير أمة أخرجت للناس » ... وأوضح - جلّ شأنه أيضاً - شروط استحقاقنا لهذه الخيرية ... ولطالما أننا لم نعمل بشروطها .. فقد سقط عنا وعده وحتى نفيق ...!

وقد يقول قائل ... ولكن الآخرين ... ليسوا مسلمين أو مؤمنين .. ويُفْتَرض - طبقاً لما سبق - أن نكون أفضل منهم حالاً ...!

لا ...

فأنت بكونك مؤمناً مسلماً ... تكون قد عقدتَ مع الله تعالى عهداً وأبرمتَ ميثاقاً ... وعليك بتنفيذ ما عليـك لطالما ارتضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماماً وبالكعبة قبلةً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً ... ومرشداً أميناً ... وعليه تعالى - كما تفضل هو ووعد - باقى شروط العقد أو الإتفاق كربٍ إله ...

إذن فكونك مُسلماً ... إنما يمثل هذا عقداً واتفاقاً وعهداً مع الله تعالى ... فكيف تطالبه بما وعد به ... وأنت لم تُوف بعهدك معه ... « وأوفُوا بعهدى أوفِ بعهدكم ..»[1] ... إذن فالأمر برُمّته قيد التحقيق المشروط ... لأن ما بينَنا وبين الله بإسلامنا هو عهد ... أفلا نستحى ألاّ ننفّذ من وصايا العقد وصيّة ... ونقول ... أنه لا يفعل لنا شيئاً ...!!!

.. « وأَوفُوا بعهدى أوفِ بعهدكم » ...

إن ما نحن فيه الآن ... هو عقوبة عدم الوفاء بالعهد ...!

أما الآخرون ... فلا عهد لهم مع الله ...!!!

وإنما يريد الله أن يحصلوا على كل صغيرة وكبيرة فى دنياهم لأنه لا آخرةَ لهم ..!

أما الناسون عهدهم ...ففروا إلى الله ... وأوفوا بعهده يوفِ بعهدكم ...

ولعل سيناريو أحداث الزمن القريب جداً الآتى - والله تعالى أعلم وأحكم - إنما لا يحتمل الهزل أو التراخى ... وإن كُنّا أهل غفلة عن المنهج ... فالآخرون أهل غفلة عن المِلّة وعن صاحب المنهج ...

ولئن كان الفواق من الغفلة بالفرار إلى الله ... والوفاء بعهدنا ليحق لنا أن نسأله ما وعد ... وهو صادق الوعد جل شأنه ، فإنما نُهيىء أنفسنا بتقواه ...

(١) البقرة : من ٤٠ .

لكى نتقى به ما سيحيق بالأرض ومَنْ عليها ... ولأن فترتنا الحالية - والله تعالى أعلم وأحكم - إنما هى فترة التمهيد لاستقبال المسيح ﷺ وممهده المهدى الأمين ﷺ وهى فترة الإبتلاءات العضال والآيات الجسام ...

وما يسبق هذا من تمهيد إنما هو تذكرة ضخمة وبليغة وليست بالأمر الهيِّن ... لفرز مُعَسْكَرىَ الصراع ... حزب الرحمن ... وحزب الشيطان ...!

... « حتى إذا أخذت الأرضُ زخرُفَها وازَّيَّنتْ وظَنَّ أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغْنَ بالأمس ... »[1] .

حقاً إنها لإشارات تعيها العقول والقلوب الحيَّة ...

والزخرف هو تمام الحُسْن والزينة ... ولعل تكرار الزينة مرة أخرى بلفظ « وازَّيَّنت » ... إنما هو إشارة إلى « التزيين النفسى والشيطانى ... والذى توعَّد به اللعين » لإظهار الحياة الدنيا ومفرداتها الباطلة على غير حقيقتها ... وبدليل تَوهَّم أهلها ... أى أهل محبة الدنيا والركون إليها ... أنهم قادرون ... عليها ..!

وعليها - هنا - إنما تشير إلى عُلُو وفوقية ... وأنها تحتهم ذُلِّلَتْ تذليلاً ... وأنهم يرونها كدابة ذلول لا تعصى لهم أمراً ... وهم بها فرحون وإليها مطمئنون ...

والقدرة إنما سبَّبت لهم غروراً ... نظراً لبراعتهم فى الأخذ بالأسباب ... والتى قادتهم إلى التمكين ... والذى أورثهم ظنَّ أصالة القدرة فيهم ...!

---

(١) يونس : من ٢٤ .

« أتاها » ... أى أتى الأرض ... « أمرنا » ... أى أمر ربها جل شأنه ... فهى التى كانت لهم منذ قليل ذلولاً مطيعة ... هى نفسها التى سيصدر لها من ربها أمر بالإنقلاب ... - على من توهموا فى نفوسهم بأصالة القدرة والتمكين - ... وبالتعطُّل التام للذَّلُوليَّة ... بالتزامن مع الأداءات الفوقية والتى لابد وأن تُشْعرهم بأن هناك يداً أعلى فوقهم ... وهُم منها فى تحتيَّة لا تقدر على فعل شئ ... بل هى القاهرة فوقهم ... ولا حيلة لهم ولا قوة ...!

وها هو الأمر من فوقهم ومن تحتهم .. « فجعلناها حصيداً كأن لم تغنَ بالأمس » .. وكأن كل ما عليها لم يكن موجوداً من قبل.! وليدخل كل ما رحل إذن ... بصفحات ذكريات التاريخ ... سطوراً ... أو كلمات من سطور ...! لقد كان ... وكان ... وكان ...!!!!!

....

يا أهل عهد الله ...

أين أنتم ... من هذه الخريطة العجيبة ... ؟!

إبدأوا بغسيل نفوسكم ... وعودوا إلى ربكم ... وأوفوا بعهده يوفِ بعهدكم ... واتقوه تتقوا به ... وعيده ... وخلقه وشرورهم ... « وهم من فَزَعٍ يومئذٍ آمنون » [1] .

إتقوا يوماً ... لا ينفعكم فيه سوى الله ... وما قدمتم من تقوى ... قبل أن يأتى يوم آيات ربنا ... « يوم يأتى بعضُ آياتِ ربك لا ينفَعُ نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى إيمانها خيرا ... » [2] .

---

(١) النمل : من ٨٩ . (٢) الأنعام : من ١٥٨

فهــو وقت تحقيق الوعيد وفرز صنوف المخلوقــين ... ما بين صالح وطالح ... هو يــوم أمــن المتقــين وفــزع المفــرِّطين ... يقول الإنســان يومئذ أين المفر ... ؟! [1] .

فَـفِرُّوا إلى الله إنى لكم منه نذيرٌ مبين [2]

واعلموا أن البـاقى من ساعـات وأيـام ... وحتى مطـلع القرن الجـديد ... - قـرن أتى أمر الله - ... ومنــذ بدايتــه وحتى شرارة الإلتـحام ... إنما هو فرصة أعظم من بلاتينية ... بل فيض رحمات مُهداة من الرحمن الرحيم الرؤف الغـفـار ... وليس مطلوباً - بدايةً - سوى العـودة إلى الله ... وبداية الوفـاء بعهده ... إن كُـنَّا مسلمين مؤمنين مُـتَّقين ...

... « قل يا عِبَادىَ الذين أسرفوا على أنفســهم لا تقنـطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكُـمُ العذابُ ثُـمَّ لا تنصرون ، واتَّبِعوا أحْسَنَ ما أنزلَ إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكُم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون ... » [3]

من أنت على خريطة المعاصى والذنوب والصغائر والكبائر ... ؟!

أنت كما تكون ... ومهما كانت جناياتك ومخالفاتك ومعاصيك وصغائرك وكبائرك ... لك مكان على خريطة مغفرة ورحمات الغفور الرحيم ... « وهو الغفور الودود » ...

---

(١) القيامة : ١٠

(٢) الذاريات : ٥٠

(٣) الزمر : ٥٣ - ٥٥ .

فلك أيضاً مكان على خريطة وُدِّه وحُبِّه ... إن رجعت وندمت ... واستغفرت ... وليشكرنك على حُسن صنيعك ... « إنه غفور شكور »[1] ... « إن ربنا لغفور شكور »[2] ... فهو الشكور أي يُقدِّم عظيم شكره لعباده الصالحين المصلحين ... وكذلك الذين أصلحوا من بعد إفساد ...!!!

أوتعلم ماذا يعنى شكر الله لنا ؟! ... إنه يعنى ذكراً لنا فى الملأ الأعلى ، ومديحاً ومباهاة بنا فى محافل أكابر الملائكة وأهل حضرة القدس ...أى أنك ستكون مشكوراً من كل أهل ذكر السماوات ، ومُسْتَغْفَراً لك من أهل السماوات والأرض ... يُصلِّى عليك الله وملائكته ... وأهل قدسه ...

ولكن ... لا تقنط - لا تيأس - من رحمة الله ... فتهجر باب الإستغفار وتُغلق التوبة أنت فى وجه نفسك ...!

« ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ... »[3]

... ولئن فعلتها ... فستكون من أبدل نعمة الله كفراً ومَنْ لم يُقدِّر ربَّه حق قدره ...

فهو القائل عن نفسه عز وجل ... « غافر الذنب وقابل التوب ... »[4] ... ولئن يأست من رحمته فكأنما نظرتَ إليه ... بغير ما قال عن نفسه ... ولأن ما قاله هو الحق والصدق ... فتكون كمن كذَّب الله تعالى وكأنما قلتَ له ... لستَ بغافر الذنب ولا بقابل التوب ... ولست بغفور ... ولست بغفار ... !!!

(١) فاطر : ٣٠ (٢) فاطر : ٣٤ .
(٣) الحجر : من ٥٦ (٤) غافر : من ٣ .

ولئن اتبعت هوى نفسك ... مُـتَّـخذاً اليأس منطقاً مع رحمة الله ... فأنت غير مُقرّ له بما قال عن نفسه وعلّمك ... !

فتكون صاحب جُرمين ... جرمك الأول معاصيك ... والثانى إنكارك على الله لما هو فيه ... وهو أهل له ...!

فاتّق الله فى ظنك بالله ... ولا يذهبنّ طريد رحمة الله بك إلى الحارات السد وإلى قاع سواد اليأس ...!

إن الله ينتظرك ... فماذا تنتظر ...؟!

....

التوّاب ... (جل شأنه)

« أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم » ... (١)

... « فأولئك أتوب عليهم وأنا التوّاب الرحيم » ... (٢)

... « واتقوا الله إن الله تواب رحيم » (٣)

... « إن الله يُحبُّ التوّابين ... » (٤)

....

إن التوبة تعنى الرجوع والعودة ... ولئن فحصت الآية الأخيرة لوجدت منطقية اتساق معنى التوبة لغوياً فى سياق الآية ... فالتوّابون ... جمع كلمة توّاب ... وهى صيغة مبالغة على وزن « فعّال » ... وتعنى العبد كثير ودائم الرجوع والعودة إلى الله تعالى كلما قصّر فى شئ ... أو ارتكب ما يستحق العقاب ... الخ ...

فكونه كثير الرجوع إلى ربه ... فربه إذن حاضر فى قلبه على الدوام ... وكلما فعل ما لا يرضيه ... سارع بالعودة والرجوع لمولاه ... إذن فهو عبد توّاب ...

---

(١) المائدة : ٧٤ (٢) البقرة : من ١٦٠ .
(٣) الحجرات : من ١٢ (٤) البقرة : من ٢٢٢ .

... هذا منطقى مع العبد ... إتساق لفظ توّاب مع حاله وسلوكه ... ودوام عودته إلى الله تعالى ... والله تعالى يُحبُّ عبده التوّاب ...

هذا هو العبْد التوّاب ...

ولكن ماذا عن ربنا الله التوّاب ... ؟!!

إن كانت التوبة هى رجوع وعودة العبد لربه ... والعبد التوّاب هو كثير الرجوع والعودة لربه ومراداته ... فإنما يجد فى استقباله ربّاً توّاباً ... يتوب أو يرجع أو يعود لعبده وعليه بأعظم الرحمات ... ويضفى عليه فيوضات إشراقية لنظره إليه ... ألم يقل جل شأنه على عبده التائب أو الراجع أو العائد إليه ... « وإذا أتانى يمشى أتيته هرولة » ... !

فإن كانت توابية العبد ورجوعه فى صورة الماشى ... فإن توابية الله تعالى ورجوعه بكامل رحماته على عبده ، إنما تأتى إليه فى صورة المُسْرِع جداً حتى أنها لتهرول - رحمات التوّابية - لمن أتاه ماشياً ...!!!

هذا إذن هو العبد التوّاب ... وهذا هو الرب التوّاب جل شأنه ... فإن كانت توبتك مشياً ... فتوبته هرولة ...! ويا سبحان الله ...

ووالله إنى لأريد جمع المخلوقات فى صعيد واحد لأسألهم سؤالاً واحداً ... ألا تستحون من ربكم الذى يحبكم بأكثر مما تحبون نفوسكم ...؟!

وغاية اعتقادى ... أنهم لم يعرفوه ... ولذلك ما فهموه ...!

وانظر لمبادرة ربِّ العزة لعباده بالتوبة والرجوع منه أولاً لعباده المنصرفين عنه ... حتى يعودوا ويتوبوا إليه ... وبالرغم من كون مبادرة العبد بالتوبة لابد وأن تسبق توبة الله تعالى ... « ثم تاب عليهم ليتوبوا ... إن الله هو التواب الرحيم »[1].

---

(١) التوبة : ١١٨ .

أنظر ... « **ثم تاب عليهم** » ... أى هو الذى بدأ بالرجوع إلى المنصرفين عنه حتى يعودوا إليه ... « **تاب عليهم ليتوبوا** » ...

ولله تعالى المثل الأعلى

أفئن كنتَ على خلاف مع والدك ... وانصرفتَ عنه ولم تُعره التفاتاً ... وهو بالطبع - وتحت أية ظروف أو ملابسات - سوء أدب منك ... أمِنَ المنطقى واللائق أن يبحث عنك والدك وأنت مخطئ بكل المقاييس فى حقه ...؟!

مَنْ يبحث عن مَنْ ... ؟!!

فإذا كان المنطق أن تعود أنت لوالدك نادماً طالباً صفحة وعفوه ... وليس بحثه هو عنك ...

فما حالك مع ربك ...؟!!

أتنصرف أنت عنه ويبحث هو عنك ...؟!

وأنت من أنت ... وهو من هو ...؟!

بالله عليكم ماذا تريدون من ربكم أكثر من هذا ...؟! ...

ومما أراه عجيباً حقاً ... لكنه لطالما من الله جل شأنه ... فما هو بعجيب ...!

... « **إلا من تابَ وآمنَ وعملَ صالحاً فأولئك يُبدِّلُ اللهُ سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفوراً رحيماً ...** »[1].

لئن كانت توبتك إلى الله مقبولة - بإذنه وبرحمته - وعملك الصالح تُجزاه بما يليق بكرمه وجوده ... فهذا لأن المجازى يجازيك بما يليق به ... وبما هو أهله ... فهو البرُّ الكريم ذو الإحسان العميم ... ولكن ... أن ما اقترفته من سيئات

(١) الفرقان : ٧٠ .

قبل توبتك أو عودتك إليه ... لا يُشْطب ولا يُمْحَى من كتاب سوابقك ... بل وينتقل لكتاب بِرّك ... بأن تتحوّل السيئات إلى حسنات ... فوالله ... إن هذا لفعل مُعْضِل ... لا أجد لصاحبه تعالى ... أى وصف يليق به فى هَذا المقـام ، لكى أصـفَ عظـيم عجيب فعله ... بسيئات عباده ...!

ليس هذا فحسب ... بل أنظر إلى مكافأة الرب لعباده ليس على كلّ حسنة وبما تساويه ... ولكن على أعلى مستوى خير عملته تكون مكافأة الله لك ... وعلى جميع حسناتك الأدنى ... أى على مستوى الحسنة العظمى ولربما تكون الوحيدة التى عملتها فى حياتك كلها ... يكون تقييم باقى حسناتك الأدنى ... وبمعنى أنك – على سبيال المثال – لو كنت تملك عشرة أقلام ... أولهم ثمنه جنيه واحد ... والثانى ثمنه جنيهان ... والثالث ... والرابع ... إلخ ، وأغلى قلم ثمنه مائة جنيه ... وقلت لك سأشترى منك جميع الأقلام على سعر أغلى قلم ... أى سأشترى الأقلام العشرة ... بثمن مائة جنيه لكل قلم ...!

.... أعتقدك ستبيت ليلتك مستغرباً سلوكى ...!

ولله تعالى المثل الأعلى ...

فهكذا يعامل هو حسنات عباده ... « ولنجزينَّهم أجرَهُم بأحسن ما كانوا يعملون ... »[1]

بأحسن ما كانوا يعملون ... أى أجرك على إجمالى حسناتك مُقاساً على أعلى حسنة اكتسبتها ... أو على أحسن خير قدمته ... ولو مرة واحدة فى حياتك ... ينطبق على باقى حسناتك ويرفعها لمقام أعظم ... !!

حقاً ... إنها لمن عجائب الرحمن الرحيم ... ولكنها لمن يعرف الله ... ليست بعجائب ...لأنه هكذا هو ... ولا يكون كذا .. سواه ..

---

(١) النحل : من ٩٧ .

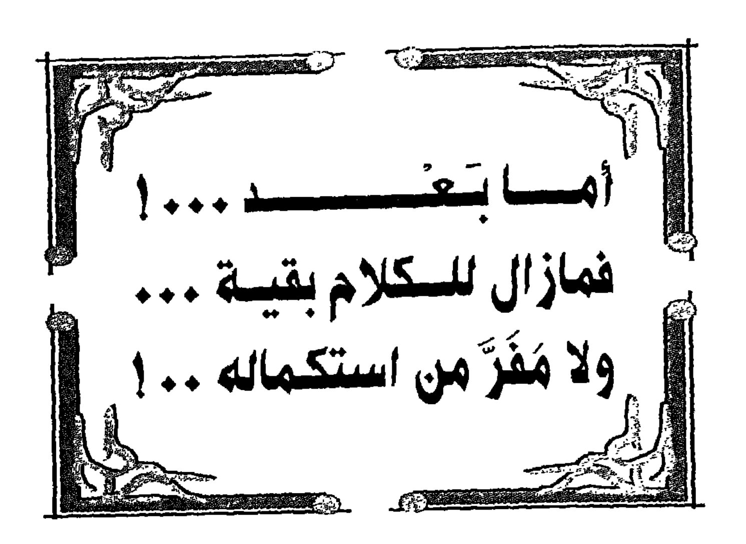
ووالله إنى لم أعـرض سوى ما تتسـع - فقط - له الصفحـات والسطور فى هذا المقام ...

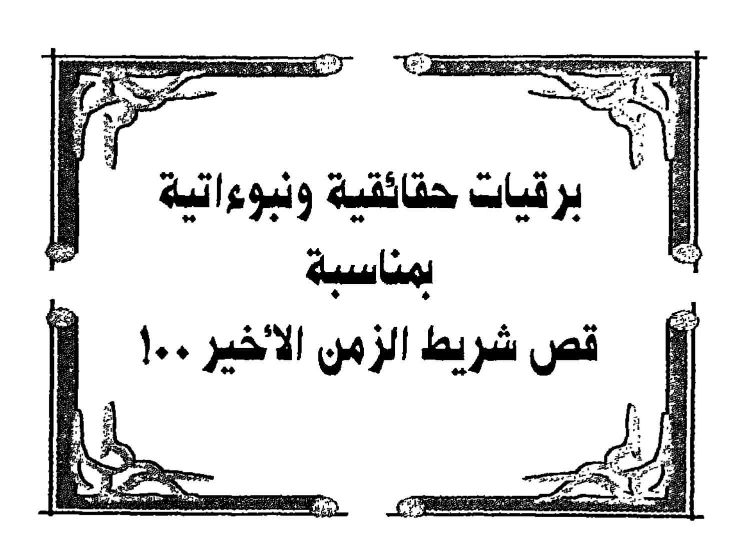
ووالله ... إنى ما وفيتُ ربكم حقه ...!

لكنى فعلاً ... أقف أمام كتاب الله ... وأنظر فى السماء مُتعجِّباً ... مَنْ هُمْ يا رب أهل العذاب إذن ... إذا كنتَ أنتَ ذاك ...؟!!!

حقاً ... وصدقاً ... الرحمنُ فاسأل به خبيراً ...

....


أمـــا بَعْـــــد ...!
فمازال للـكلام بقيــة ...
ولا مَفَرَّ من استكماله ..!



برقيات حقائقية ونبوءاتية بمناسبة قص شريط الزمن الأخير ١٠٠

١- حتمية البداية من أجل النهاية ... !

٢- بل الساعة موعدهم ... بل الساعة أدهى وأمَرّ ... !

٣- لا شئ يزول من هذا الكون ... ذى الذاكرة القوية ... !

٤- جهالة إبليس اللعين بنسبِيَّة أينشتين ... أفسدت الأمور ... ! .

٥- مُقدِّمات ما قبل انسحاب الكونيَّة فى لحظة موتها المَهِيبة ... ! (ونهاية عمر أمة الإسلام) .

٦- القُدس الرابع مصرى ...

٧- رؤوس أموال اليهود بالكامل مصرية .... (مطلوب استعادتها قبل نهاية اسرائيل ... !)

٨- موجز رحلة الأرقام ... وفك شفرة الكتب المقدسة ... !

٩- البطشة الكبرى - وبداية أحداث اليوم الأخير ... !

٩ / أ - إثبات وتأكيد لتطمئن القلوب .. !

٩ / ب- ٥٣ ... !!



(١) حتمية البداية من أجل النهاية ...!

... هكذا دائماً ... البداية تكون من أجل النهاية ...!

نعم ... تلك هى الحقيقة ... ولكن النهاية لن تكون - فقط - لمجرد إنهاء ما قد بدأ ... بل هى نهاية لما قد سبق ... وبداية لما سوف يليها ... هكذا دائماً أى نهاية ...! ولقد بدأنا التواجد فى ساحة المعترك الحياتى المعتاد ... بصرخة الميلاد ... وننسحب أيضاً ... ولكن بضجة وجلبة صُراخية أعلى ... لأن المنسحب قد أدمن الحياة ... وقد أدمن مَنْ حوله وجوده الحياتى ...!

ولا يمكن أبداً إغفال صرخة الميلاد ... التى يطلقها أى مولود جديد من بنى الإنسان ... ولا يمكن إغفال مغزاها ...

فإن كان الباكون والصارخون والمولولون ... يفعلون ويفتعلون ما يستطيعون فى موقف رحيل مَنْ يهمهم أمره ... وبصرف النظر عما أقدموا عليه ... من زاوية تلقائيته ... أو من زاوية افتعاله ... إلا أنه موقف تعبير عن حزن ... ولا يستطيع جاحد أن ينكر ذلك ...!

وإن كُنَّا قد تعودنا - مشاعرياً - أن البكاء والصراخ ... إنما هما تعبيران - وبصرف النظر عن أسلوب أدائهما - عن الحزن والهم والغم ... ولربما عن مصيبة حلَّت فعلاً بمن يمارس التعبير بهذه الكيفية الباكية الصارخة ... فإنه وفى حضرة موقف الموت ، إنما يكون التعبير من الأحياء مشاعرياً ... تجاه مصيبة حقَّة لحقت بهم ... وهى موت عزيز لديهم ...!

وتعبير مصيبة الموت ليس بتعبير افتعالى إنما هو تعبير رب العزة - جل شأنه - بلسان كلمات القرآن العظيم ... وبما يعنى البليَّة والشِّدة ...!

... ﴿ فأصابتكم مصيبةُ الموت ... ﴾ (١)

حقاً إن الموت لمصيبة ...

... ولكن مصيبة الميلاد والحياة ... لهى - بحق - المصيبة الأكبر ...!

(١) المائدة : من (١٠٦) .

فما أتينا إلا بقدر وعلى علم ...

وقد وصف رب العزة الحال الحياتي برُمَّته قائلاً ... « **ولقد خلقنا الإنسان في كَبَد** » [(١)] ... أي في شقاء ومكابدة ومعاناة ... وتلك هي مفردات الحياة الدنيا وظلال مناخها العام السائد ... وسمة الكوكب الأرضي منذ أول مخلوق وحتى المخلوق الأخير ... « **إنَّا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه** » [(٢)] .

وإذا كان ابتلاء ربنا - تعالى - لخلقه هو اختبارهم ... فكل صغيرة وكبيرة في الإنسان وحوله - إذن - لابد وأنها أحد مفردات هذا الإبتلاء ... أو أحد أسئلة الإمتحان ...!

والإنسان الفرد ... هو مُخْتَبرٌ أو مُبْتَلى فرد ... وبمثابة عضو في جماعة ابتلاء أكبر - عدداً - وهي الأسرة ، والأسرة بدورها عضو في جماعة ابتلاء أضخم هي المجتمع ... أو الدولة ... والدولة الواحدة ... عضو في مجتمع دُوَليّ ... يمثل مجموع تنظيمات الإنسان على سطح الكرة الأرضية ، وهذا المجموع الكلي أو المجتمع الدولي ... إنما هو مجموع المختَبَرين أو المبتلين في زمان ما ... ومنذ الزمان الأول وحتى الزمان الأخير ... مروراً بمختلف التعاقبات الجيلية ...

وما يحدث بين هذه التعاقبات الجيلية ... هو إحلال وتجديد لمختلف الموجودين على كوكب الأرض من أهل الإبتلاء ... وبحيث يفسح الجيل لغيره من الأجيال أن يحصل على فرصته الإبتلائية كاملة ... وحتى يسلم الأمور ومقاليدها لجيل آخر وهكذا ... منذ البداية وحتى النهاية .

فالأرض - إذن - هي مكان تتعاقب عليه الأزمان ، شاهدة ميلاد ورحيل أجيال تُختبر وتُبتَلى منذ اللحظة الأولى وحتى اللحظة الأخيرة ...

---

(١) البلد : (٤) .   (٢) الإنسان : من (٢) .

وهناك ثوابت كونية عاصرت وتعاصر البشرية من الألف للياء ... وهى مفردات النظام الكونى الكلى العام ... والتى لا دخل للإنسان المخلوق فيها ... لكنه يتفاعل معها - بعلم أو بدون علم - تأثُّراً وتأثيرا ...

ولكن المشكلة الحقة ... هى اللغز العجيب البسيط ... الذى يكتنف وجودنا الحياتى ... وهو ... لطالما أننا نعلم يقينا أننا راحلون لا محالة ... فلماذا إذن هذه الإفتعالية المحمومة ... والإشكالية المذمومة ... التى تُغلِّف جميع مراحل السعى الحياتى لبنى الجنس الإنسانى ... ؟!

... إننا أتينا لدار المصائب ... لنحصل على جرعتنا المصائبية ... ونؤدى خلالها عدة أداءات ثم ... يأتى إذن الرحيل ...

والجرعة المصائبية جاهزة على كوكب الأرض ... وكأحد المقدّرات الأساسية فى مفردات النظام الكونى العام المتفاعل معنا ... وهى جرعات لابد من تجرعها ولا مناص ...!

ولكن ... أن نساهم نحن - وبأيدينا - فى رفع أنصبتنا من الجرعات المصائبية ... فهذا - بحق - لهو عين السفه ...!

... فإن كل ما نمر به ... ومهما كان اسمه وطعمه وتوقيته ... إنما هو قدر من الله ... وليس بمنطق إكراهى أو جبرىً دائماً ... لا ... ولكن بمنطق ... أنه لطالما قد سمح الله تعالى بأن يصل إليك كذا ... فهو قد قَدَّره عليك ...

والقهرية أو الجبرية ... إنما تشمل عظيم مفردات النظام الكونى ليتفاعل معنا ولصالحنا وحتى تسير بنا الحياة ... وكما أراد الخالق جل شأنه ...

وهناك القهرية أو الجبرية المصائبية ... والتى قد نُصاب بها وبلا أدنى تُدخُّل منا فى ذلك ... مثل إصابتك بمرض معين ... وأنت تمارس إدارة طاحونة حياتك وبلا حيلة لك فى منع ذلك أو إيقافه أو تأجيله ...!

وكذلك قدر الموت وقدر الميلاد ... وبقية تقديرات الحكيم العليم والتى لا ينتظر منا مشاركة ما فى صنع قرارها ... لأنها بمثابة قرارات سيادية إلهية ربانية بحتة ...!

ومصيبة التواجد الحياتى وما ينبنى عليها ... من مصائب تابعة يزخر بها وجودنا الدنيوى ... لا تحتمل أن نضيف إليها بُصنع أيدينا وبمحض إراداتنا مصائب أخرى إضافية ...!

... ولكن ذلك أيضاً من صميم وجودنا الحياتى الأرضى ...!

فالإنسان يخترع لنفسه ولغيره المصائب اختراعا ... ويقول لك ... أصحاب الدين منهم ... إنما هو ابتلاء من الله ...!

لا ... فالإبتلاء المحض من الله تعالى ... لا دخل لك فيه إطلاقاً ، ولا تتفاعل أنت معه ، سوى تفاعل المتلقِّى الذى لا حيلة له ... فلستَ أنت بصاحب أى مساهمة فى وقوع ما وقع ... لكنك المتلقِّى لما يقع ...!

أما صناعة يديك ... فقد تجعلك أيضاً فى ابتلاء من نوع آخر بخلاف ما سبق ذكره ...

فقد تمارسْ حياتك أنت بعدة ثغرات أدائية ... فكرية ... دينية ... مهنية ... سلوكية ... وقد تكون هذه الثغرات لدى البعض الآخر من الخلق ... بمثابة ثقوب تمر منها الجمال والبغال ...!

وخلاصة توجهاتك وممارساتك ... إنما تؤدى بك إلى مُسْتَقَرٌ نتائجىَ معين ... قد يغير مسارات حياتك - أو بعضها - من حال إلى حال ... وقد لا ترتضى أنت هذا الحال الجديد ... فتتسرع بإطلاق مُسمَّى ابتلاء على صناعتك اليدوية ... وترجع مصدره لله ...!

فالذى جمع ثروة طائلة ... ثم قرر فجأة تسييل معظم - إن لم يكن كل - ممتلكاته للمضاربة بها فى بورصة الأوراق المالية - مثلاً - ثم نجده قد خسر معظم ما يملك ... وإن كان صاحب دين ... نجده يقول ... قدر الله وما شاء فعل ... وآخر قد يقول له على سبيل المواساة ... « معلهش المؤمن دايما متصاب » ... !!

إن سوء التقدير فى إدارة الموقف برمته هو ما أدى بصاحبه لما آل إليه من إنقلاب حال ... وتدهور من يُسر إلى عُسر ... ولكن بعد وقوع الأمر برمته دون إكراه إلهى من أى نوع وبفعل صاحبه فقط ... ولطالما لم يوقفه الله بأى شكل ... فقد سمح الله تعالى بهذا الموقف أن يحدث وأن يستقر فاعل الموقف فى هذا المآل شكلاً وموضوعاً ...!

... وحين تبدأ مرحلة ما بعد صناعة البشر فى مثل هذا الموقف ، فإن الموقف أو المآل النهائى والذى استقر فيه صاحبه مقاماً ... إنما يسُمَّى لحظتها إبتلاء .. !

كيف ...؟!

أولا ... إن أى أداء سلوكى فى حياتنا الدنيا إنما هو جزء إبتلاءاتى من مجموع أو اجمالى حصيلتنا الإبتلاءاتية الكلية والبادئة بالميلاد والمنتهية بالموت ... وبالتالى فتفاعلك مع أى شئ من النظام الكونى وحتى مع أبسط مفرداته ... إنما هو جزء من الابتلائية الكلية الخاصة بك ...

ثانيا ... إن المآل الجديد - لصاحبنا - إنما هو عثرة صنَعها بيديه دون قصد الوصول إلى هذا المقام تحديداً ... فقد كان يريد الأفضل ... ولعل دخول صاحبنا فى هذا المقام الجديد ... والذى لربما كان قد نسيه منذ زمن بعيد ... إنما يجعله موضع ابتلاء جديد مع ربه ... فهو سيتعامل مع ربه الآن وهو صاحب مقام شكوى وحاجة ... بعد أن كان صاحب مقام شكر ... هذا باعتبار أفضل السلوك ... وهو سلوك الشاكرين ...!

ولكن ...

... إن كان صاحب الحال الجديد قد نجح قديماً فى ابتلاء الشكر ... حين كان الإبتلاء ابتلاء إعطاء ... فما حاله الآن فى مقام ابتلاء الصبر ... وحين تحول الإبتلاء به إلى المقام الجديد ...؟!

إن إبتلاء الإنسان لمستمر لطالما له دبيب حياة على كوكبنا الأرضى ... ومهما تغيرت به أطوار الأحوال ... فهو خلالها - جميعاً - المُبتلى فى كل حال ...!

وإن كان الإنسان - كما رأينا - قد يساهم بنفسه فى الدخول إلى تغير مقام الأحوال وبالتالى صنوف الإبتلاءات ...

وقد يكون ابتلاء الإنسان ... إبتلاءً عُقُوبَاتياً ... كيف ...؟!

... إن عباد الله المؤمنين ... إنما يحتاجون من مولاهم دائماً الإغتسال والتطهير ... وهو الذى يقوم لهم بذلك ... كقصاص مبكرٍ مخفَّف لما يكونون قد اقترفوه ... وهو إن طهَّرهم من صُنعهم السوء بأنفسهم ... وكَفَّر عنهم ما اقترفوه ... إنما أيضاً كانوا فى ابتلاء مع الله ... من المنطق الإبتلاءاتى العام أولاً ... ولأن ما يمرون به هو جزء من خريطة الحياة وزمنيتها وما تحمله من ابتلاء بحكم ما نحن قد تواجدنا بالفعل من أجله ... ثم من المنطق الإبتلاءاتى الخاص - ثانيا - ... والذى يحمل ضمن ما يحمل ابتلاء عقوباتياً تخليصياً ... مُطهِّراً المبتلى من سابق سوء صنيعه ... وهو كقدر ... إن كان ظاهره القسوة ... فباطنه إنما يحمل مُطلق الرحمة ... والتى لا تقبل لابن حضنها الإيمانى ... إلا وأن يغتسل بطهور قداسة الرحمات ...

وإن كان المسلمون فى ضعف بعد قوة ... وفى شتاتٍ بعد دولة ... وفى استباحة بعد منعة ... وفى قاعٍ بعد قمة ... فإنه صنيع أيديهم ... وما فرض عليهم الله شيئاً ...!

وصنيع أيديهم إنما يشمل نوعى سوء الصنيع ... ما فعلوه ... وما لم يفعلوه ...! فما فعلوه بأنفسهم وبأمة الإسلام عظيماً ... حكاماً ومحكومين ... على مر الحقبة الجيلية القريبة الماضية ... وما لم يفعلوه فى مواجهة منحرفيهم ...وأعدائهم ، بل ومجاراتهم ومحاولة أسلَمة التدنيات المستوردة ... والإرتماء فى أحضان مسميات ومناهج الغفلة ... من علمانية واشتراكية ورأسمالية وشيوعية ... إلخ ... بل وتهيئة الأجيال والشعوب إكراهياً على حتمية التعايش مع الأمر الواقع ... إنما خلق اليد الأخرى الطولى ... والتى أمكنها مع يد السلبية الأولى - سلبية المسلمين تجاه إسلامهم ودولتهم - من الصفع المهين والمدوّى على أقفية كل ما هو مسلم ...!

... بل إنه وبعد انهيار الإتحاد السوفيتى ... قالها العَالَم غير المسلم دون مواربة ... لقد تخلصنا من الشيوعية ولم يبقَ أمامنا سوى الإسلام ...!

حقاً ... إن المسلمين لفى ابتلاء عظيم ... وما فرضه الله عليهم ... لكنهم صنعوه بالسلبية وبالغفلة ... وصار سوء صنيعهم محض ابتلائهم ...!

وإن كنا نحن المسلمين ورثة أجيال أجدادنا الذين تسربت من بين أيديهم وأجيالهم بذور ما نعانى منه الآن ... فلن يعفينا هذا من جملة التركة وما فيها ... خاصة وأننا مقدمون على النهاية ... والتى لا بعدها ...!

... وهى ليست نهاية جيلنا أو أجيالنا الحالية ... ولكنها بداية نهاية تامة للجيلية بأكملها وختام زمنيتها ... إنه آخر الزمان ...!

وكما صاحبت الميلاد صرخات وبكائيات المولودين ... وشيُعتهم بالآلام والدموع عيون وقلوب المُشَيِّعين ... حين رحيلهم ككل الراحلين ... فقد صاحب ميلاد الإسلام ما يصاحب كل المولودين ...

وسار به أهله فى دروب الزمن والإبتلاء ... وها هم كبشر مخلوقين مُبْتَلين قد أقدموا بكامل أجيالهم على النهاية .. وكذلك أوشك التكليف العِبَاداتِىّ على الإنقضاء ... وما لهم ... وما له من عودة لأنها النهاية ...!

ولا يجب انتظار النهايات لسكب الدموع ولطم الخدود ... والولولة بحناجر الأسى والمرثيات المطولّة ...

... ولأن هـذه النهاية الأخـيرة ... لن يوجـد من يستطيع تقـديم الرثاء أو العزاء فيها ... فالكل سينتهون ... الكل راحلون ... لأنها نـهاية مالها من فواق ...!

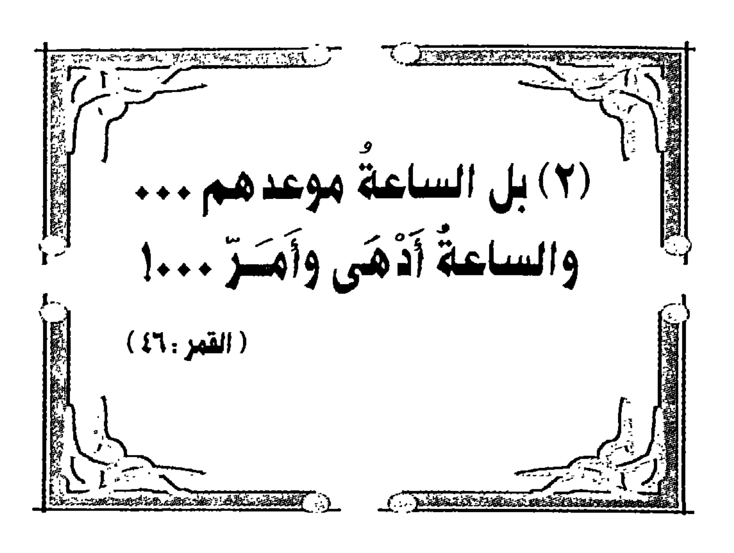
... فقد جاء أشراطها ...!

... ولم يمر بنا ما لم يُنبُّئنا به سيدنا رسول الله ﷺ ...

... لقد قال من زمنه ... عن زمننا ... كل ما كان ...

... وقد كان ...!

... فتابعوه فى كل صحيح ما قال ... وستعرفوا ما هو أعظم ...!



(٢) بل الساعةُ موعدهم ...
والساعةُ أَدْهَى وأَمَـرّ ...!

(القمر : ٤٦)

... ما هو الغيب ...؟!

الغيب ... هو كل ما غاب عنك إدراكاً ... بعلّة « الحيلولة » ... وبمعنى ... أن الزمن مثلاً قد يكون حائلاً بينك وبين معرفة ما قد تمت أحداثه فى الماضى ... ولأنك لم تكن مُعاصراً لتلك الأحداث ، تجد أن الأمر قد صار لديك غيباً ، والزمن هنا يحول بينك وبين تمام المعرفة .

وتمام المعرفة - هذا - هو ما يُصَيِّر الغيب «شهادة» ...أو أمراً «مُشَاهَداً» . فبافتراض أنك عُدت إلى منزلك فى تمام العاشرة مساءً ، وروى لك أهلك ما حدث طوال اليوم قبل ذلك التوقيت .

ماذا قبل أن يرووه لك ؟! أكان لديك تمام المعرفة بما حدث ، حتى تدركه وتحيط به علماً وكأنك كنتَ معايشه ...؟!

لا ... فقبل رواية ما حدث ... كان الأمر لديك غيباً ... وبعدها عَمَلَتْ إدراكاتُك فيما رُوِىَ لك ... ونقلتك تفصيلات الرواية من حيِّز غياب الحدث - أو الغيب - إلى حيِّز الإدارك ...

أما ما يحدث بعد العاشرة مساءً - بعد عودتك لمنزلك - فى حيِّز إدراكك أى داخل جدران منزلك ، فهو فى حيِّز «علم الشهادة» ، أو المُدْرَك المُشاهَد . ولو أفزعك صوت مفاجئ مصدره خارج المنزل - وأنت بداخله - سنراك تهرول للنافذة لاستطلاع الأمر . لأن للحدث مُقدِّمات استقبلتها منك حاسة واحدة فقط هى حاسة السمع . إذن فالحدث أو الأمر غير مُدْرَك تمام الإدراك ، ولذلك فإن كانت أعراضه التى وصلتك بمدارك السمع هى ما صار لديك فى حيِّز الإدراك ، إلا أن فحوى أو جوهر الأمر مازال غائباً عنك ... أو مازال بالنسبة لك غيباً .

فقد يكون مصدر الصوت انفجار إطار سيارة ، وقد يكون رصاصة أطلقها أحد الأشخاص ... وقد يكون ... وقد يكون ...

ولكن مالا يختلف عليه أحد ... هو أن الموجودين بدائرة الحدث نفسه ، وكذلك ذوى الفرصة الأفضل والأقرب فى متابعة ما يحدث ... لأن منازلهم مثلاً أقرب من مكان مسرح الأحداث ... سيكون علمهم إلى حد كبير علم شهادة ... لقيام إدراكاتهم بالعمل فيما وصل إليها ... معايشة ...

ولنا هنا عدة نقاشات هامة ...

أولاً ... وبالرغم من كونك قد استمعت فور عودتك لمنزلك لكل ما حدث خلال غيابك عن الأحداث ذاتها ، وبما يعنى انتقالك من «الغيبية» - أو غياب المعايشة وبالتالى الإدراك - إلى ما يقرب من « المشاهدة » ... وبالتالى مُقاربة الإدراك ... إلا أن بالأمر « بواطن غيب » لا يعلمها إلا الله تعالى ... كيف ؟!

فمن أدراك أن ما قَصَّهُ عليك ابنك وأخوك وأمك وزوجك كان برواية البصير ببواطن الأمور ؟! ولم يكن مجرد نقل إدراك معرفى محدود يعكس تحليل ما حدث ... أو يعكس هوىً معيناً فى نفس الراوى ؟! إن ما نقلوك إليه بروايتهم هو مجرد نقلك من « غيب تام » إلى « بوادر مشاهدة » لا تختلف كثيراً عن « بوادر المشاهدة » أو « مرحلة الإدراك المبدئية » التى جعلتك تطل برأسك من النافذة لاستطلاع الأمر حين أفزعك الصوت المفاجئ . وحتى لو أخبرك من كان بمسرح الأحداث أن هذا الصوت ... هو صوت انفجار إطار سيارة ... فهل تمت بذلك كامل معرفتك بالحدث ؟! ... لا ...!!

فما هو سبب انفجار الإطار ؟! إن الأمر مازال غائباً عنك وحتى عن كل المشاهدين والمعاينين لمسرح سير الأحداث .

إذن فمازال فى الأمر ثمة « غيب » ، ما هو سبب الإنفجار ؟!

وبعد معرفة السبب الحقيقى من « مُتخصِّص » ... سيكون الأمر لحظتها برمته قد صار « علم شهادة » بعد أن كان « علم غيب » ...

إذن فبمنطق محدودية الحواس فى الإدراك وبمنطق نقص المعلومات الكافية أو غيابها ، سيكون دائماً هناك « غيب » يرتبط بكل ما يُدْرَك أو يُشَاهَد .

ولو طبُقت ذلك كقاعدة على كل ما يمكن لمداركك المخلوقة معاينته وإدراكه ... لعلمت يقيناً أن إدراكك لما تشاهد ، إنما هو كالسباحة على سطح المحيط ، والذى يخفى بداخله ما لا يعلمه يقيناً إلا الله تعالى ... وتكون أنت مُدركاً فقط - لو أدركت - - كل ما هو على السطح حولك وفى استطاعة ومقدور أجهزة إدراكك أن تحيط به علما .

وبمعنى أنه ... لكل « علم شهادة » ... « علم غيب » أو « غيوب » ... ظاهره ما تُشاهد وباطنه مالا تعلم ، ويغيب عنك ...

وقد يتحوّل « الغيب » تدريجياً - كما رأينا - إلى « علم شهادة » ، وبحيث تحيط إدراكاتك تمام الإحاطة بما يجرى ظاهراً وباطناً ... وكما قلنا ... فإن علّة أو سبب « الغيب » دائماً ... هى محدودية قدرة الحواس على الإدراك ، وغياب المعلومات الكافية لتمام عملية الإدارك ذاتها .

وفى نطاق الحيِّز الإدراكى الإنسانى ، فإن التأرجُح بين دفّتى « الغيب » و« الشهادة » ، هو أبرز ما يصيغ عُنصر التفوق من عدمه ، كصفة لشخص ما أو مجتمع ... أو دولة .

فمجتمعات التخلف هى تلك التى رضيت بنصيب الأسد ...بل وكل الأسُود ... فى عالم الغيب ، واكتفت بنصيبها السطحى الهزيل من المعرفة الحقة أو « علم الشهادة » وعاشت غائبة عن كل شئ ... وكل شئ عنها غائب ...!!

ومجتمعات الدرجة الأولى هى التى سعت سعياً دؤوباً مستمراً لتحويل الغيب إلى مُدْرَكٍ محسوس مفهوم ، وقد نجحت ووصلت إلى ما وصلت ...!

والتحوّل من « الغيب » إلى « الشهادة » ... هو تطور ونضوج أسباب ... كيف ؟!

ألم يقل ربنا تعالى ... « وعنده مَفَاتِحُ الغيب لا يعلمها إلا هو » ...[1]

---

(١) الأنعام : ٥٩ .

فهو تعالى يخاطب من يجرى عليهم هذا الغيب ... ولا غيب يغيب عنه تعالى ... إنما الغيب للمخاطبين ... للـمُكلَّفين فى هذا الحياة الدنيا ...

فهو تعالى يخبرنا أن عنده خزائن علم كل ما يغيب عنا ، فهو تعالى عالم الغيب والشهادة ...

وكما جاء فى صحيح حديث سيدنا رسول الله ﷺ ... « مَفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله » ... وتلا الآية ... « إن الله عنده علم الساعة ويُنزِّل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير » [١] .

وطبقاً لإخبارات ربنا عزّ وجلّ ... وكما قال رسوله ﷺ ... فإن الغيوب الخمسة التى لا يعملهن إلا الله تعالى ... إنما تخص ...

١- الساعة ،

٢- الغيث ،

٣- ما فى الأرحام ،

٤- الرزق ،

٥-الأجَل .

وكما قلنا ... فإن التحول من « الغيب » إلى « الشهادة » إنما هو تطور ونضوج أسباب ، بفعل رزّاقية الله تعالى ، ولكى تزيد مفردات وقيمة الأسباب المأخوذ بها فى حركة الحياة ، وحتى يصل تكالب الناس على الأسباب المتطورة إلى الذروة ، وحتى يظنوا أنهم قادرون على تسيير حركة الحياة كما يريدون ، بعد أن ازينت الأرض بزخرف الأسباب ، وظن أهلها أنهم قادرون عليها بملكية الأسباب ...

---

(١) لقمان : ٣٤ .

... « ... حتى إذا أخذت الأرض زُخرُفَها وازيَّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرُنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْنَ بالأمس » [1]...

أى هلكت الأسباب وعُبَّادُها ...!!! وما أغنت عنهم من الله شيئاً ... ولكن ...

هذا هو حال القوم الظالمين ... الذين يظلمون أنفسهم بالشِّرك ...!

كيف ؟!

فهم قد أشركوا الأسباب مع الله تعالى دون أن يُقَدِّروا لـ « فعالية الإرادة الرحمانية » حق قدرها ، معتقدين بأصالة الأسباب فى فعل الأفعال وتوجيه حركة الحياة ...ونسوا أنه تعالى « فعَّال لما يريد »[2] ...

إعتقدوا فى أصالة الأسباب وطواعيتها لمراداتهم البحتة ، دون أدنى اعتبار لخالقهم وخالق الأسباب ومعطيها بأمره فعاليتها ...

إنما الأخذ بالأسباب هو أحد أبرز معطيات الحياة الأرضية ، وحتى تسير حركتها منضبطة ... وحتى يفرغ الجميع من أداء الإمتحان ...! ولكن يجب أن يكون الأخذ بالأسباب من يد خالق الأسباب وليس من اعتقاد ملكيتها خالصة ، بعد تسجيل براءات اختراعاتها فى المنظمات العالمية التى تمنح شهادات بذلك ...!

فأنا سأستقل سيارتى ... باعتبارها سبباً ظاهرياً للإنتقال من مكان لمكان ... سأستقلها كى أصل فى تمام الثامنة صباحاً إن شاء الله إلى مقر عملى ...

لقد أخذت بالأسباب ... ولكنى لا أملك غير ما بيدى من أسباب ، ولذلك إن لم أصل فى موعدى ... فالأسباب الظاهرة وكذلك الباطنة ليست ملكى وطوع يدى حتى أعدِّلها لتوافقنى ...

---

(١) يونس : ٢٤ . (٢) تم نقاش ذلك تفصيلاً ...

ولكن ... قدَّر الله وما شاء فعل ...

والتطور من « الغيب » أو عدم المعرفة إلى « الشهادة » أو المعرفة ، إنما هو تطور ونضوج أسباب ، يؤدى للمزيد من التطور والنضوج لما فى حوزتنا من أسباب ، ولصالح جودة حركة الحياة عموماً .

أوليس تطور وسائل المواصلات مثلاً ... هو تطور للأسباب المأخوذ بها عند الإنتقال من مكان ... إلى مكان ...؟!

فمع بداية وجود الانسان ... وهبه الله تعالى وسيلة المواصلات ... هبةً مباشرة كاملة الصُنع الإلهى ... فى صورة الخيل والجمال ... الخ . ولحظتها لو قلت لعائش فى تلك الأزمنة ... ستأتى أزمان تكون المواصلات فيها طائرات تحلّق فى الهواء كما الطيور ... وتحمل الناس وأشياءهم ... لقال فيك ما قال ولطَالَبَك بالتوبة من إثمك العظيم ...!!!

إن الله تعالى إنما يتعامل مع خلقه بمنطق التدرُّج فى مسيرتهم الحياتية المعتادة ، فالصيف الحار لا ينتقل الناس منه مباشرة لصقيع الشتاء ... إنما يتدرجون من الصيف إلى الخريف ، ومن الخريف إلى الشتاء ومن الشتاء إلى الربيع ، ومن الربيع إلى الصيف وهكذا ...

فقد كان تدرج الأخذ بالأسباب مُسايراً لعقول الناس ومُحْتَرِماً لها ... فذلك اكتشاف تعقبه نظرية ... يليها اختراع ... يُكلّلهم الإستخدامَ والنجاح ... ثم التعوّد والملل ومحاولة تحسين وتجويد الأسباب ، ثم السعى إلى تطويرها إن لم يكن تغييرها بالكامل ...!!

هكذا الأمر ... فى كل ما توصل إليه الإنسان ...

كانت البداية هى ضبابية الغيوب ... ثم بريق أمل مع بصيص ضوء خافت ، ثم المزيد من المعرفة ، ثم التمكن من الأسباب ... وهكذا شاء رب الأسباب ... فما كان غيباً صار عِلْماً ... وما كان مستحيلاً صار فى الإمكان ...

إذن فَسُنَّة الحياة كما علَّمنا ربنا تعالى ... هى التطور والرُّقِىّ فى الأسباب والإنتقال من ضبابية عدم المعرفة أو « الغيب » إلى « علم الشهادة » ...أو المعرفة ...

وعودة مرة أخرى للغيوب الخمسة ، والتى لا يعلمها إلا الله تعالى ... **« وعنده مفاتِح الغيب لا يعلمها إلا هو »** ...

وكما تناولتها الآية الشريفة ... كانت ...

... غيب الساعة ، غيب الغيث ، غيب ما فى الأرحام ، غيب الأرزاق . غيب الأجل .

ولو بدأنا بتناول تلك الغيوب سريعاً ... والتى أكَّدت الآيات على إختصاص الله تعالى بعلمها وحده ، وكما أكَّد ذلك حديثا سيدنا رسول الله ﷺ ، لوجدناها تدور فى فلك ... « متى » ، « **كيف** » ، « **كم** » ، « **أين** » ، « **لماذا** » ... الخ .

... ولو بدأنا بمناقشة الغيب الثالث ... وهو ...

غيب ما فى الأرحام

... لقد استُحدثَت الأسبابُ للإنسان ، وأصبح يملك أجهزة متقدمة للكشف على الأجنَّة فى بطون الحوامل ، ورؤيتهم على الشاشات المرئية الملونة ... وتحديد أنواعهم ... ذكر ... أنثى ... فى وضعه الطبيعى ... حجمه معقول ... نبضه سليم ... الخ ...

... فهل فى ذلك التطور ... إهدار لما احتفظ به الله تعالى لنفسه فى هذا الخصوص ... وكما جاء ذكره بالآية ...

حاشا لله ...

فهو تعالى عندما يقول « ويعلم ما فى الأرحام » ... إنما هو علم إحاطة كاملة شاملة سابقة لاحقة ... إلى مالا نهاية .

فهو علم « عالم الغيب والشهادة » ، فهو إذن علم إحاطة بالغيب المحض لما لا يعلمه أحد عن هذا الجنين المرئى على الشاشة ، أو هو علم « غيب الشهادة » لما هو مرئى ومُشَاهد على الشاشة ، أو لغيب ما تشاهده أنت ولا تدركه بالرغم من كونك تشاهده ...!

وقد كان هذا الأمر منذ فترة زمنية غير بعيدة « غيباً محضاً » ، وحيث لم يكن هناك طبيب يستطيع الزعم بأنه يعرف ماذا تحمل تلك الأنثى ...!

ولكن بعضاً من هذا الغيب المحض ، قد تحوَّل بمرور الأيام إلى « علم شهادة » . وبحيث يمكنك أن تصطحب زوجتك الحامل مثلاً إلى أقرب طبيب أو مستشفى يملك مثل ذلك الجهاز ، وتسمع من الطبيب ما لذ وطاب ...!!!

ولكن الغيوب ستظل حكراً لعلام الغيوب ... سبحانه وتعالى ... فما قد صار لديك « علم شِهادةَ » ... قد أزاد من اعترافك بعظمة عالم الغيب والشهادة ، وما أُتيح من علم فى مجال الأجنَّة ومن خلال تلك التقنيات المتقدمة ، إنما قد شهد بأسبقية القرآن العظيم فى ذكر أدق تفصيلات علم الأجنَّة ؛ والذى تحدَّث به العالم مؤخراً فقط ...!

فهو تحوَّل من الغيب المحض إلى « علم الشهادة » لخدمة القضية الإيمانية والحقيقة القرآنية بالدرجة الأولى .

لكن هذا التطور العلمى لم يُجبْ لوالدىّ ذلك الجنين الظاهر على شاشات الأجهزة ... على العديد والعديد والعديد من علامات الإستفهام الجديرة بالتأمل والإجابة ... مثل ...

- متى سيولد بالضبط هذا الجنين توقيتاً ...؟!

- كم سيبلغ عُمر هذا الجنين فى حياته ... كرجل أو كامرأة ...؟!

- هل هو من الأشقياء أم السعداء ؟!

- هل سيكون مُتديِّناً ...؟!

- ماذا سيعمل ...؟!

- هل سيكون غنياً أم فقيراً ...؟!

- ما هو عمله أو ما هى حرفته التى سيمتهنها ؟!

- ما هو دوره على سطح الكرة الأرضية ...؟!

- مَنْ سيتزوج ...؟!

- كم طفلاً سيرزق ...أم سيكون عقيماً ...؟!

... الخ ، من العديد والعديد ... من الغيوب التى لن تستطيع أجهزة الكرة الأرضية كلها مجتمعة أن تجيب عنها إلى يوم القيامة ... لأنها من صميم عمل ربنا الله تعالى كرب إله علام للغيوب ... ولئن أتاح تعالى للناس تلك المعارف لفسدت أنظمة الحياة وحركتها ، ولخفتت فاعليتها وانطفأ بريق طاحونتها ...!

والسؤال الآن ...

هل وقوف إحدى السيدات الحوامل أمام أحد تلك الأجهزة للكشف عن حملها ... وأن يقول الطبيب لها مثلاً ... أنك حامل فى أنثى مثلاً ووزنها ... ووضعها ... ونبضها ... الخ ، هل هذا جائز أم مُحَـرَّم شرعاً باعتباره اطلاعاً على الغيب ...؟!

إن خالق الأسباب قد طوَّر لنا الأسباب ، وعلَّمنا شيئاً من علمه « ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء » ... إذن ولطالما رأينا على الشاشات ما لم نكن نراه من قبل وعلَّمنا ما لم نكن نعلم ، فبمشيئته كان هذا القدر من

علمه ، وبمشيئته كان هذا هو مبلغ علمنا ... و « **سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا** » . ولنأخذ من العلوم ما أتاح لنا ... وقد حوَّل لنا بعضاً مما كان « **محض غيب** » إلى « **علم شهادة** » ... واحتفظ لنفسه عَما عَلِمْناً بكل شئ ...!!!

ولا يكون من المحرَّمات ... لجوء تلك السيدة وغيرها للكشف بمثل تلك الأجهزة والأخذ بتطور ورُقيِ الأسباب .

ولك أن تتخيَّل هذا الموقف الطريف ...

لو أن جَدّ ذلك الطبيب الذى سيستخدم مثل تلك الأجهزة الكشَّافة كان طبيباً أيضاً ، وأخبر جدة تلك السيدة الحامل ... أثناء شبابها وفى فترة حملها ... منذ مائة عام تقريباً ... أنها حامل فى توأم أحدهما ذكر ... أشقر ... ملوَّن العينين ... طويل القامة ... والأخرى أنثى ... وزنها كذا ... لون بشرتها كذا ... الخ ...!!!

أكان يُقْبَل منه ما يقول ... ؟!!

بالطبع لا ... وكان رد الفعل المنطقى هو اتهام مثل ذلك المدَّعِي بالتنجيم والشعوذة . ولكن عندما يقولها الطبيب اليوم بعد الأخذ بالأسباب ... سنحترم ما يقول ... وهو ليس فتشاً للغيب ... ولكن أخذاً بنِعَم الله علينا ، حيث أمدَّنا بما لم يمد به السابقين ... فالحمد لله رب العالمين ...

وما يهمنا إعادة الإشارة إليه ... هو أن الله تعالى ... قد أتاح لمعرفتنا أن تنضج ولعلومنا أن تكبر ... وأن ترى ما كان غيباً بعين الشهادة ...

فما كان « **غيبا محضاً** » ... صار منه « **علم شهادة** » أو « **معرفة مُشَاهَدَة** » وإن كان غيبها بالكامل فى علم الله تعالى ...

وما انطبق على غيب ما فى الأرحام ينطبق أيضاً على «غيب الغيث» . فمؤسسات الرصد الجوى ، بما تملك فى مختلف دول العالم من معدات وأجهزة عملاقة وحسابات ومستحدثات علوم ... الخ ، وإن استطاعت القول - وصدقت فيما تقول - بأن اليوم الفلانى هو يوم سقوط أمطار غزيرة على كذا وكذا ... وتجمع السحب الكثيفة فوق كذا وكذا ... وزيادة حركة الرياح ... الخ ...

فإن هذا محكوم بقاعدة «ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء. وسقوط الأمطار ليس هو قمة اختراق الغيب ... ولكنه إتاحة معرفة ، وتطوير أسباب من رب الأسباب للعباد ...

- فهل منعت تلك المعرفة الشحيحة سقوط الأمطار ؟!
- هل أمكن لتلك العلوم تحديد توقيت بداية ونهاية سقوط الأمطار ؟!
- هل أمكن لتلك العلوم عدّ عدد حبات الأمطار المتساقطة ؟!
- هل أمكن إنقاذ المدن الغارقة بسبب معرفة يوم سقوط الأمطار ؟!
- هل أمكن معرفة عدد حبات الثمار التى ستنبتها الأرض بعد أن روتها حبات الأمطار ...؟!
- الخ ... من علامات الاستفهام العديدة...!!!

وكذلك الحال فى غيب ...« وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً » ... فالآخذ بأسباب الرزق ... إنما يتوقع له مَنْ حوله أن يُرزق ، ومن أخذ بأسباب أكثر وأفضل ... فإنهم يتوقعون له الرزق الأفضل والأوفر ... وهكذا. ولكن إن كانت أسباب الرزق هى الرزاقة لما أغلقت العديد من كبريات المؤسسات والشركات أبوابها وأفلس مُلاكُها ... فهى من منظورهم ومن منظور غيرهم أسباب رزقهم ... ولئن كانت هى رازقهم فهى إذن ربُّهم ...! لكنها ليست الرازق الحقيقى ... وإن كانت هى اليد المعلنة والظاهرة ...!

فحركة الحياة تحمل المنطقية التى فُطرنا عليها ، وبمعنى أن الأسباب هى ما تعوَّدنا عليه ممارسةً ومُعايشةً ، ولكنها ليست هى الرزَّاقة[1] ... بل ربها وخالقها هو الرزَّاق ، ومُحمِّلها برسائل رزقه وفيوضات رزَّاقيته .

والأسباب ليست سوى ستار تتحرك من خلفه رزَّاقية الله تعالى ، ولا تتحدَّد رزَّاقيته بالأسباب ولا يقتصر عطاؤه تعالى عليها ... فأنت لا تعلم مثلاً ماذا سيرزقك الله تعالى من سبل فعل الخيرات لاكتساب الحسنات فى يومك أو فى غدك ، ولا تعلم أيضاً ما ستجنيه عليك نفسك من فعل الإثم وجمع السيئات ...!

ومهما اجتهدت فى تحصيل العلوم الشرعية والمعرفة الفقهية ، لن يُفتح لك برزق فيما أنت فيه إلا طبقاً لقاعدة ﴿ **ولا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء** ﴾ ...

وإن كانت الكتب والمراجع هى أسباب الأخذ بالعلم ، إلا أنها ليست برازقك العلم ... وليست هى الفاتح عليك بفتوح العارفين لكنها رزَّاقيَّة ربنا الله تعالى ...

ولئن أعملت فكرك فى ... ﴿ **ولا تدرى نفس بأى أرض تموت** ﴾ ... لوجدتها تحمل غيب الأينية والزمنية ... أى غيب المكان والزمان . وحيث أن زمن ومكان الموت مجهولان تماماً ... فهما محض غيب لكل مخلوق يجرى عليه الموت ... حتى وإن سبقت - ذلك - الأسباب التى تشير بكل علومها ومعارفها إلى دخول شخص ما فى مقدِّمات الموت ... إلا أنها ليست الـمُحدِّد الفعَّال لحقيقة الموت وتوقيته .

فإن كان مرض أحد الـمُسنِّين هو سبب توقع موته ... فلماذا نراه يعيش بمرضه إلى ما بعد سن التسعين والمائة ...؟!

وإن كانت العلوم الطبية تؤكدً حتمية موت أحد المرضى بمرض خبيث فى غضون عدة أيام أو أسابيع ... تراه كيف يعبر تلك الفترات حياً ...؟!

---

(١) تم مناقشة ذلك تفصيلاً ...

وكيف تفسِّر العلوم والمعارف الطبية الحديثة موت شاب صحيح جسمانياً ... فجأة ودونما مقدمات ...؟!

إنهم إن أرجعوا الموت للأسباب أحياناً ... فهى مجرد محاولة لإبداء الأمور أكثر منطقية ... ليس أكثر ..!

ولو استرجعت سريعاً خلاصة ما ذكرناه منذ ابتدأنا نقاشنا ، لوجدت أننا ندور فى فلك ... « الغيب » و « علم الشهادة » ... أو « المجهول » و « المعلوم » ...

ولوجدت أنه برزاُقية الله تعالى وتطبيقاً لقاعدة « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » ... قد أتاح لنا ربنا تعالى من أنباء الغيب علماً ... ويمعنى أن ما كان أمامنا طلسم مغلق أو محض غيب ، قد أتاح منه لنا الله تعالى بعض علم . أو قد تحوَّل الأمر من كونه غيباً كاملاً إلى «علم الشهادة» ، ولكن تبقى لربنا تعالى كامل « غيوب الشهادة » ، أو كل ما نجهل نحن عمَّا نعرف ...!!!

إننا بكل ما سبق من نقاش ... إنما نُمهِّد أنفسنا جيداً للخوض فى نقاش الغيب الأكبر المخصوص لرب العزَّة تعالى ... وهو « غيب الساعة » ... وكما ابتدأنا نقاشنا بأن سيدنا رسول الله ﷺ قد قال ...

مَفاتِحُ الغيب خمسٍ لا يعلمهن إلا الله ... ثم تلا الآية ... « إن الله عنده علم الساعة ويُنَزِّل الغيث ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً وما تدرى نفسٌ بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير ... » .

ولئن حلَّلنا المقصود بعلم الساعة ... لوجدنا أنه ...

١- يحمل توقيتاً يمثل حد الفصل لما قبله عما بعده ...

٢- ما قبل الساعة ... « أشراط » ، تمثل علامات وآيات تمهيدية قبل الدخول على التوقيت المحتوم للساعة .

٣- ما بعد الساعة هو استقرار لفريقى النعيم والجحيم كلٌ فى مستقره النهائى ، حيث الدار الآخرة ... وبعد تمام الحساب .

ولقد تحدث سيدنا رسول الله ﷺ فى تلك الأشراط أو العلامات والآيات التى تسبق الساعة ... والتى تعاصرها الحياة الدنيا فى زمانها الأخير ... ولقد أشار لمثل ذلك سيدنا المسيح ﷺ ، وهو ما نجد له أثراً فى الأناجيل ...

ولقد تحدث أيضاً سيدنا رسول الله ﷺ عما بعد الساعة ... وعن الدار الآخرة . تحدث عن أشراط الساعة - والتى تشهدها الحياة الدنيا - بإفاضة ، وكذلك تحدث عن الحياة الآخرة ...

أما توقيت الساعة ... فقد نفاها الرسول ﷺ فى حديثه مع الأمين جبريل - سلام الله عليه - حين جاءه جبريل فى صورة أعرابى ... وسأله عن الإسلام ثم عن الإيمان فالإحسان ... إلى أن سأله عن الساعة ... فقال له ... « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » ... قال جبريل فأخبرنى عن أشراطها فأخبره عن ذلك ...

وأيضاً حين سُئل سيدنا المسيح ﷺ ... قال ... « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين فى السماء ولا الإبن - أى المسيح ﷺ - إلا الآب[1] ... » (مر ١٣ : ٣٢) .

(١) يقصد الله تعالى

إذن فمن لوازم نجاح الإمتحان ، ومن فيض رحمات المُمْتَحِن للمُمْتَحَنين ، أنه قد أخبرهم منذ آلاف السنين ... ليس فقط بما ينتظرهم فى الدار الآخرة ... ولكن أخبرهم بمنطق « خذوا حذركم » ... إن تلك الأشراط أو العلامات والآيات التمهيدية ... إنما هى سابقة للساعة ... وليست سراً من الأسرار ...

بل أن أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ قد جمعت وأوفت هذه الآيات والعلامات ...

ترى - إذن - أهى « علم شهادة » ، أم « محض غيب » ؟!

إن كان عن عددها فقد أخبرنا به رسول الله ﷺ ، وإن كان عن مظاهرها وما يصاحبها ... فقد أخبر بذلك أيضاً ... وهى بهذا المنطق ... إنما تقع فى دائرة المعلوم وليس المجهول ... أى ليست بغيوب محضة ... ولطالما قد توافر علمها منذ زمن بعيد ...!

ترى ... ما الغيب الرئيسى المُتَبَقِّى .. والمرتبط بما بقى من أشراط أو آيات وعلامات تسبق الساعة ...؟!

أعتقده ... توقيت تلك الآيات والعلامات ...

ترى ... أمعرفة توقيت تلك العلامات والآيات ... يفتش توقيت الساعة التى أخبر ربنا تعالى عن احتفاظه به لنفسه ، ولم يُصرِّح به حتى لخاصته وصفوته ...؟!

لا أعتقد ذلك إطلاقاً ... لسبب بسيط وهو أنه لا يوجد أثر قرآنى واحد أو أثر بالحديث الصحيح لسيدنا رسول الله ﷺ ، يخبر به عن المدة الزمنية التى تفصل بين آخر آيات وعلامات الساعة وبين الساعة ذاتها ...

وبمعنى أنه بمعرفة توقيت بعض علامات وآيات الساعة نكون قد عرفنا متى تكون الساعة ...؟!

لا ... فليس هناك ما يشير لذلك إطلاقاً ... وحتى تظل الساعة وتوقيتها محض غيب ، لا يعلمه إلا الله تعالى ... ولكن السؤال الذى يفرض نفسه ... هل يمكن لبشر معرفة توقيت بعض الأشراط - من علامات وآيات - التى تسبق الساعة ...؟!

إننا قد بدأنا نقاشنا بتلك الغيوب التى اختص بها الله تعالى نفسه ... « **وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو** » ... وقول الرسول ﷺ « **مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله** » ... وتلا قوله تعالى ... « **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ...** » الخ الآية الشريفة . والغيوب الخمسة المذكورة لم يأت تفضيل بعضها على بعض بأى شكل من أشكال التفضيل ، وترتيبها فى الآية لا يشير إلى ذلك ... وكما رأينا فى الغيوب الأربعة الأخرى ... وهى « **غيب الغيث** » « **وغيب ما فى الأرحام** » و « **لا تدرى نفس ماذا تكسب غداً** » و « **لا تدرى نفس بأى أرض تموت** » ... رأينا صيرورة بعض الغيب أو بعض المجهول إلى معلوم ... مع استمرارية احتفاظ الله تعالى لنفسه بغيب ما علمناه ...

وكما احتفاظ الله تعالى بـ « ساعة » مَنْ رآه أبواه على شاشات الأجهزة الطبية ، وكما أتاح لهم جميعاً من المعارف المتنوعة ما يُعتبر مُقدِّمات ... إلا أن المسيرة والنهايات لا يعلمها يقيناً سواه تعالى ...

وكذلك « **الساعة** » العُظمى تكون ... فقد أتاح لنا ربنا تعالى عنها المقدمات ... والمعارف السابقة قديمة العمر ... ومهما بلغ علمنا بهذه المقدمات ... إلا أن النهايات ... أو « **علم الساعة** » لا يعلمه إلا هو وحده ... عزّ وجلّ ... وكما قلنا فقد أوفت الأحاديث النبوية وكذلك الآيات القرآنية أشراط الساعة عدداً ... وكيفاً ... ووصفاً ... إلخ ...

وعودة مرة أخرى لتحليلنا للمقصود بـ « **علم الساعة** » ... والذى قلنا فيه ...

١- أنه يشير إلى توقيت معين يمثل حد الفصل أو القطع لما قبله عما بعده ،

٢- أن ما قبل الساعة ، إنما هى الأشراط أو الآيات والعلامات التمهيدية ... قبل الوصول بالكون كاملاً للحظته المحتومة ... أو ساعة نهايته استعداداً لساعة قيامته ... ،

٣- أن ما بعد الساعة ، وبعد تمام الحساب ... وإقرار الثواب وكذلك العقاب يكون الإستقرار فى الدار الآخرة ...

وكما قلنا ... فإن تحليلاتنا ونقاشاتنا إنما تنصبُ على « الأشراط » أو « العلامات » و « الآيات » التى تسبق الساعة ، والتى أخبر بها النبيون تفصيلاً منذ الزمن البعيد ...

وكما ذهبنا ... فإن تلك الأشراط ... قد أوفاها النبيون حقها وصفاً وشرحاً وتبياناً ... وقد أتت الأزمنة السابقة بكثير منها ، إبتداءً ببعثة النبى ﷺ . وتشهد أزمنتنا المعاصرة استمرارية العديد والعديد من تلك العلامات أو الأشراط امتزاجاً بمسيرتنا الحياتية ...

وتلك التى نحياها مما أخبر به رسول الله ﷺ ... إنما كانت محض إنباءَ حقٍ من علم الغيب ، عايشه من عرفه وآمن به ... وكذلك عايشه من لم يسمع به ... لأنه واقع عام لا فرار من معاصرته ومعايشته لمن هم أهل زمن تحققه ...

ولحظة المعايشة هذه ، إنما تشهد تحوّل «إنباء الغيب » إلى « علم الشهادة » . وبمعنى ... أن ما كان محض غيب قد صار حقيقة يعايشها الناس ... وكذلك ... فالعلامات والآيات الباقيات ... « كأشراطِ الساعة » ... مازالت تحمل شقّيَ الغيب والشهادة ...! كيف ...؟!

فتلك الأشراط الباقية والمنتظرة ... إنما علمنا عنها ما علمنا من الإخبارات القرآنية وكذلك النبوية . ولأنها إخبارات حق من لدن الحق سبحانه وتعالى ، وبلسان لا ينطق عن الهوى ... إذن فقد انتقلت لدى المؤمنين تلك الأشراط من دائرة الغيب إلى دائرة الشهادة ، وكأنهم يرون ما يوعدون .

ويكون الشّق الغيبى الوحيد المتبقى لدى المؤمنين ، توقيت تلك الأشراط الأخيرة السابقة للساعة العظمى ...!

وكما حدثت الأشراط السابقة ... وتحدث الآن ... وعايشها ويعايشها معاصروها ، وتحولت لديهم إلى « علم شهادة » ... أو معايشة ملموسة ومُدْرَكَة ... ستصير أيضاً تلك الأشراط الكبرى والأخيرة « علم شهادة » لمعاصريها متى حدثت ...

ولكن الأمر مختلف فى الحالين ... كيف ؟!

لقد عاصر المعايشون - ومازالوا - الأشراط الصغرى ، ولديهم الإخبارات القرآنية والنبوية بقائمة الأشراط كاملة . وبالتالى كانوا يعلمون حقيقة موقعهم الزمنى على خريطة الأداءات ... وأنه مازال فى عمر الزمن بقية ...!

ولكن الأمر الآن مختلف ... حيث أننا على مشارف استقبال بداية العلامات والآيات الكبرى ...

وكما قلنا فإن الغيب النسبى المتبقى لتلك العلامات والآيات الأخيرة هو توقيتها ... لأنها قد وُفيِّت حقها وصفاً وشرحاً ... فى الآثار النبوية الكريمة ...

إذن ... ما أود إعادة التأكيد عليه - بل وبإلحاح شديد - ... هو أننا لا نتكلم أبداً عن توقيت الساعة والتى هى من اختصاص علم الله تعالى وحده ... وعموماً ... فليرُح الجميع روسهم وأفكارهم من مجرد التحدث لأنفسهم ولو همساً عن موضوع توقيت الساعة ... لسبب بسيط ... وهو أنهم واقعون فى دائرة سريان الزمن المفهوم والمستفاد به ... والساعة أساساً تقع خارج نطاق الزمن المفهوم والمستفاد به ...!!!

لأننا - وببساطة - لو سألنا أنفسنا ما هي الساعة المقصودة ...؟ فإن إجابة ذلك ... تكون إنها عبارة عن توقيت معين للنهاية الحياتية للمخلوقات ، بعد تقدُّم كل ما سبق وأخبر به النبيون من أشراط ... وعلامات وآيات ... والمُعَبَّر عنها فى القرآن العظيم عند الحديث عن « نفخة الصعق » ... إذن فهى لحظة نهاية ، وما بعدها هو خمول حياتى تام من المخلوقات فى لا زمن انتظاراً للنفخة التالية ... « نفخة القيام لرب العالمين » جل شأنه . والتى متى تمت ... قامت الخلائق المعنية بالحساب جميعها فى الموقف المهيب انتظاراً لبداية لحظة الحساب ...

والمسافة الزمنية الفاصلة بين لحظة بداية الحساب ولحظة نهايته هى ما يُعبَّر عنه بمصطلح «اليوم الآخر» ، أى آخر موقف مرحلي مرتبط بسابق ما كان من حياة وأداءات ، والذى يبدأ بعده تماماً خلود المُحَاسَبِين - نعيماً أو جحيماً - استقراراً فى «الدار الآخرة» .إذن فمجرد سعيك لمعرفة متى تنتهى حياة الكون والمخلوقات لن تُقَدِّم ولن تؤخِّر حتى وإن عرفتها يقيناً - على سبيل الإفتراض - لأنك لن تدفعها عن نفسك ، ولن تهرب منها فى كون آخر لرب آخر عنده ساعة أخرى متأخرة قليلاً أو كثيراً عن هذه ، فيطول عمرك أكثر ...!!!

وأرِحْ نفسك ... فإنه جلَّ شأنه - ربنا الله الواحد - أخبرنا فى قرآنه العظيم ، أنها لا تأتينا إلا بغتة أى مفاجأة ... « ثقلت فى السموات والأرض ، لا تأتيكم إلا بغتة »[1] .

إنك إن عرفتها - افتراضا - لن يمكنك الاستفادة بها فى شئ قليل أو كثير ، لأنها وما بعدها كلحظة موت أى إنسان أو أى مخلوق لا حيلة له فيها ولا فيما بعدها ...!

ولئن عرفتها ... هل ستتباهى بتلك المعرفة مع الموتى فى عالم الأموات ... مثلاً !!! لا ... ليس هذا هو مقصود أية اجتهادات رقمية تقريبية فيما يخص الأشراط ... من علامات وآيات ...

---

(١) الاعراف : ١٨٧ .

إنما المقصود ... التثبُت من أننا نقترب بخطى ثابتة نحو النهاية الحتمية ، والتى أخبر عنها النبيون ونبينا الكريم - صل الله عليهم وسلم أجمعين - وأنه متى كانت مقدمات هذه النهاية أو أشراطها ... كان المنتهى قريباً ...

والذى أكرِّره ألف مرة أن هذه النهاية وما بعدها ليستا مجال بحث معرفى زمنى من أى نوع ... لا من جهتنا ... ولا من جهة أى مخلوق ...

وإلا ... لو حاول فيها البعض ... لا أجد له سوى استعارة أحد الأوصاف القرآنية العظيمة والتى أُطلقت على أهل الباطل الذين يريدون دخول الجنة ... أقول لهؤلاء البعض ... إستمروا فى محاولتكم المعرفية المستحيلة ... ولن تصلوا لشئ « حتى يلج الجمل فى سم الخياط »[١] ...!!!

فإن ولج أو دخل الجمل فى سَمِّ الخياط ... وصلتم أنتم لما تبغون ...!

إذن فما نحن بصدد الكلام عنه ... هو ما يقع داخل دائرة سريان الزمن المفهوم والمستفاد به ، وهى توقيتات بعض هذه الأشراط والعلامات والآيات بمنطق اجتهاديٍ محكوم بالعديد من الأساسيات والأُطُر المرجعية المنطقية .

وبمنتهى البساطة ... فإن ما سرى على كل ما ناقشناه سابقاً ... من تحول بعض الغيوب إلى « علم شهادة » ... أو بعض المجهول إلى معلوم بتطور الزمن وبتطور الأخذ بالأسباب ، وكتطور مباشر فى الأسباب ذاتها ، إنما لو طبقناه على موضوع توقيتات بعض أشراط الساعة ، باعتبارها هى الغيب الرئيسى المرتبط بتلك الأشراط ، سيكون منطقياً إلى حد كبير قبول تحول موضوع بعض التوقيات هذه من المجهول إلى المعلوم أو من « الغيب » إلى « الشهادة » ، وعلى سبيل الاجتهاد للوصول إلى نتائج تقريبية ، الله وحده هو العليم بصحتها من عدمه ... وقد يقول البعض ... ولماذا أتاح الله تعالى ذلك الآن ... ولم يُتِحْهُ من قبل ... للسابقين ...؟!

---

(١) الأعراف : ٤٠ - أى حتى يدخل أو يمر الجمل من ثقب الإبرة ...!!!

أولاً : إن الله تعالى لم يوجدنا فى هذه الدنيا بُغضاً وكرها ... وانتقاماً منا !! ولكن ... كُنّا فى علمه الأزلى ، فأوجدنا ... وهيأ وأعطى لنا كل شئ ... عطاء محبة وإحسان[(١)] . ولأن الكلُ غير متساو فى كل شئ ... كان الإبتلاء أو الإختبار ... ليميز الخبيث من الطيب ... والصالح من الطالح فى الدنيا أو دار الإختبار ... ثم إليه مرجعنا ... حيث الإستقرار النهائى فى دار الآخرة ، وحيث علم كل أناس مقعدهم النهائى الخالد ...

فهو إذن إيجاد محبة ورحمة وإحسان وعطاءات منذ البداية وإلى الأبد .. فهو لم يخلقنا ويوجدنا عقوبة بل محبة ورحمة وإحساناً ، ولذلك كانت رسالاته .. وكان تذكيره لخلقه ، يا خلقى أفيقوا ... من قبل أن يأتى يوم لا راد لما فيه ... وما فيه عظيم ... ولذلك كانت كل الرسالات الإلهية لخلق الله تعالى ... مُحَفِّزة للتذكير ... وقد امتلأ القرآن العظيم بمصطلحات ... « ذكرٌ » ، « الذكرى » ... « سيذكُّر » ... الخ ...

إذن فالله تعالى لا يريد ... ولم يقصد - وحاشاه - مفاجأتنا بشئ ... لا ... فهو قد أخبر منذ البداية ... بدليل ما وَصَلَنَا من علم الغيب منذ قرابة ١٤٣٠ سنة عن الأشراط أو العلامات والآيات السابقة للساعة ...

ثانيا : ماذا لو أتاح الله تعالى لعباده - مثلاً - ومنذ أكثر من ألف سنة ، معرفة توقيت نزول المسيح ﷺ كأحد الأشراط أو الآيات الأخيرة للساعة ...

ألم يكن ذلك بمدعاة لأن يتراخى هؤلاء الناس إيمانياً ... إستناداً إلى أن الوقت مازال بعيداً ... ؟!

(١) راجع ذلك تفصيلاً - إن أردت - فى مؤلفنا « **العائدون إلى الله** » قراءة فى سر الأسرار لاجابة ما هو صعب الاجابة (الإصدار الثالث فى السلسلة) .

وبالتالى تكون هناك حكمة كبرى فى تجلية هذا التوقيت - مثلاً - لمن هم مُقدمون عليه ... من كمال وسعة رحمته تعالى بعباده ...

ثالثاً : للمعترضين على موضوع إتمام أية حسابات قرآنية ... لحساب توقيت أى شئ ... أقول ...

١- هل هناك نص واحد فى القرآن العظيم أو السُّنَّة المطهَّرة يمنع أو يُحَرِّم ذلك أو ينهى عنه ...؟!

٢- هل هناك مخالفة لهذا الإجتهاد مع مفردات العقيدة ...؟!

٣- لو أن باب الإجتهاد قد اغلق ، لصارت الأمور على منوالها الرتيب منذ إغلاق هذا الباب ، ولأخبرنا رسول الله ﷺ أن الإجتهاد مفتوح من بعده لفترة ثم يُغلق ...!

وراجعوا نص حوار سيدنا رسول الله ﷺ مع سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه ... حين سأله ﷺ عن مرجعه لاستقاء أحكامه فقال له - رضى الله عنه ... حين استعداده لتَقَلُّد منصب القضاء بأحد بلدان المسلمين - من كتاب الله ... قال له فإن لم تجد ... قال من سُنَّة نبيىٍّ ... قال فإن لم تجد بسُنَّة نبيك ... قال « أجتهد » ...

٤- لو أن باب الإجتهاد قد أُغلق ، واستقرت الأمور على الإجماع والقياس فقط ... لأمكننا القول بأن السابقين من الأئمة قد أحاطوا بكل شئ علما وبما يُساير تطور الأزمنة والعصور التى لم يعايشوها ... وقبل ورود تلك الأزمنة أساساً ...! وهو أمر مُحال ...!!!

٥- لو أن باب الإجتهاد قد أُغلق ... وبافتراض التسليم التام بأن ما وصل إلينا من إعمال عقول أئمتنا الأفاضل السابقين هو ما يجب الوقوف عنده فقط ، مع كل ما نمر به من متغيرات وتطورات لم يشهدها السابقون ولم يحيطوا بها علماً ، لظلمنا أنفسنا ولحمَّلناها إصراً لم يُحَمِّلنا به الله تعالى ولا نبيه ﷺ ، ونكون لحظتها من حَكَمَ على الحياة بالجمود ، وأعطى لأعداء الإسلام الخنجر المسموم لطعن الدين البرئ بوصفه بما ليس فيه ...

٦- لو أن باب الإجتهاد قد أُغْلِق ، لأنبأنا السابقون بتلك الإشارات العلمية المعجزة والتى تضمنها القرآن العظيم وانطوت عليها - كذلك - السُنَّة المطهرة ... ولما تأخر اكتشاف ذلك لزماننا الحالى ... لكن كل شئ لدى الحكيم - تعالى - بقدر ...

ولا تظنوا أن الماضى قد حمل كل العلوم العظيمة التى تنطوى عليها آيات القرآن العظيم ونصوص السُنَّة المطهرة ... من خلال ما توصل إليه السابقون ...

لكنهم كأى بشر ... تفاعلوا مع الأسباب المعروفة لديهم آنذاك ، ولذلك كان ما قالوا ...

ولعل ما نشهده الآن فى عالمنا الديناميكى المعاصر من كل ما هو مستحدث فى جميع الميادين وما ارتبط بذلك ... من ظواهر ومواقف ومشكلات تتطلب رأياً وفتوى من أولى العلم ... ومن منظور الدين ... إنما يتطلب شحذ العقل الإجتهادىَ وتجهيزه تماماً بما يواكب ما صرنا فيه بالفعل ... وما نحن مقدمون عليه ...!

وإنى لأريد أن أوكد أمراً غاية فى الأهمية ... وهو أن الله تعالى إن كان قد أراد إغلاق باب الإجتهاد ... لأعطى للأولين عقولاًولحرم منها الآخرين ... لكنه سبحانه وتعالى ... مثلما أعطى الأولين كذلك يعطى الآخرين ... ولأنه مطلوب من كل ذى عقل أن يُعْمِلَ عقله وهو مؤمن ... وليس العقل مضاداً للإيمان ...أبداً ...

والله تعالى لا يطلب منا الإيمان الغافل غير العاقل ... بدليل ذكره سبحانه وتعالى للقضايا الإيمانية مرتبطة بالعقل فى قرآنه العظيم بصيغ متنوعة ... « أفلا تعقلون » ، « لعلكم تعقلون » ، « إن كنتم تعقلون » ، « لا يعقلون » « لقوم يعقلون » « أفلا يتدبرون » ... « يتفكّرون » ... الخ .

وانظر لقول ربنا الله تعالى ... **« وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون »**[١]. حقاً ... قال ربنا تعالى ... **« وما يعقلها إلا العالمون »** ...

ولاحظ أن العقل إنما يساعد على ضبط عملية العلم والتعلُّم وبالتالى ... فكونك أصبحت صاحب علم ، ساعدك العلم على المزيد من ضبط وإعمال العقل .

وحين يقول ربنا تعالى فى قرآنه العظيم ... **« ولكن أكثر الناس لا يعلمون »**[٢] ... لاحظ معى ... « أكثر » ... أى معظم ... أو غالبية ... و بلغة رقمية ... أكثر من ٥٠٪ وأقل من ١٠٠٪ .

أى وكمتوسط (أكثر من ٥٠٪ ← ٥١٪ وهى الحد الأدنى هنا للأكثرية + أقل من ١٠٠٪ ← ٩٩٪ وهى الحد الأقصى هنا للأكثرية !!!

(٥١٪ + ٩٩٪ ÷ ٢) = ٧٥٪

ولا يقُل لى قائل ... لا ... لم يقل بذلك أحد من السلف الصالح ...

يا سادة ... العلم والعقل يخدمان القضية الإيمانية والحقيقة القرآنية ولا ابتداع فى هذا إذا ما قُلناه ...

فرب العزة - جل شأنه - إنما يخاطبنا بما علَّمنا ... وهو تعالى خالق الحرف والمحروف ... أى خالق الحرف والمشار إليه بالكلمة أو بمجموعة الحروف ... فهو خالق لنا لغتنا وإدراكاتنا ... ونحن ندرك - إذن - بما خلقنا عليه وفطرنا وعلَّمنا ...

---

(١) العنكبوت : ٤٣ .

(٢) وردت فى مواضع شتى ... منها (الاعراف : ١٨٧) ، (يوسف : ٢١) ، (النحل : ٣٨) ... الخ .

إذن فـ « أكثر » تعنى فى تحليلنا البشرى الإدراكى ... ما يقارب من ٧٥٪ من جملة المشار إليهم كمتوسط ... وهو أمر مخجل لنا كبشر ...!!

فأكثر الناس ... أى حوالى ٧٥٪ من جملة خلق الله العاقلين ... لا يُعْملُون عقولهم كما أمرهم الله تعالى ... ولذلك فهم « لا يعلمون » ... ما يجبَ أن يعلموه ...!

وهو ما يؤكده ربنا تعالى بقوله ... « **بل أكثرهم لا يعقلون** »[١] ... !!!

إذن فتعطيل العقل إنما يؤدى إلى عدم العلم ، أو الجهل ...!

ولذلك قال ربنا تعالى ... « **ولكن أكثرهم يجهلون** »[٢] ...

لاحظ أن هذه الأكثرية أو الغالبية من خلق الله تعالى قد وُصفوا من ربهم الذى أحاط بكل شئ علماً ... بأنهم ... « لا يعقلون » والتى أدت بهم إلى « لا يعلمون » و « يجهلون » ... وهى التى تؤدى منطقياً إلى « لا يؤمنون » ...!!

وقد ذكرها تعالى حين قوله ... « **ولكن أكثر الناس لا يؤمنون** »[٣] .

إذن فخط سير هذه الأكثرية ... قد ابتدأ بإلغاء العقل ، والذى قاد أخيراً إلى تخريب أركان القضية الإيمانية ، ولم يخدمها ...

أحبائى وإخوانى ... الذين سبق واعترضوا على ما ذهبت إليه خلال إصدارات سابقة ... إن الحوار لمفتوح ... وإن الله تعالى هو غايتنا ومرادنا ، وسُنَّة نبيه ﷺ هى قائدنا ونبراسنا ، لما يريدنا ربنا الله تعالى أن نكون فيه ... وإن الخلاف فى الرأى بين الإخوان فى الدين ، إنما هو لصالح القضية الإيمانية برمتها .

---

(١) العنكبوت : ٦٣ (٢) الأنعام : ١١١

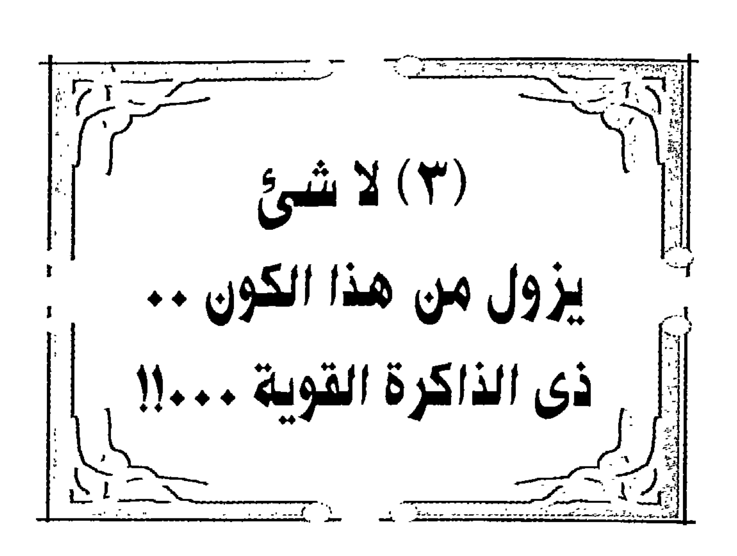
(٣) ذُكرت فى عدة مواضع ... منها (هود : ١٧ ، غافر : ٥٩) .

ولستم بأحرص منى على كتاب الله تعالى وسُنَّة نبيه ﷺ ، ولستُ بأقل منكم حرصاً أيضاً ... وأذكّر نفسى وإياكم بقول مولانا عزّ وجلّ ...

... « واتقوا الله ويعلمكم الله » ...

....

....



(٣) لا شئ يزول من هذا الكون .. ذى الذاكرة القوية ...!!

لقد كانت بعثة النبى الأمىّ ﷺ هى فاتحة أشراط الساعة ... والتي حدَّث بها جميع النبيين أقوامهم ، ولكونه ﷺ خاتم النبوة والنبيين ... فما من مُحدَّث عنها بعده . ولقد قال عنه رب العزة - جل شأنه - فى قرآنه العظيم ...﴿ فقد جاء أشراطها ﴾ [1] ... أى بُعِث فيكم محمد وهو فتح أشراطها ، والمُحدِّث عن أحداثها وخفايا عظائم أمورها .

ولقد كان سيدنا رسول الله ﷺ بمثابة علامة تصحيحية لكافة المسارات والأهواء العقائدية والإعتقادية السائدة .

فقد جاء ... وما كذَّب نبياً قبله أو رسولاً أو كتاباً ... بل وبكلمات آيات القرآن العظيم أثبت النبوة والكتاب من قبله لسابقيه ، وأقرها فى جميع قوله .

وإن كانت البيئة الإعتقادية الكتابية العامة السائدة حين بعثته ... قد تركزت - أساساً - فى اليهود والنصارى كأهل كتاب ... فهو لم يصادر عقائدهم ... إنما حاول تبصرتهم ... معترفاً بسماوية كتبهم وبحقيقة نبوة أنبيائهم ... ولكن الأمر كان متعلقاً بتصحيح المسارات العقائدية عموماً ... وهو ما أدَّى للإنقلاب عليه ... وعلى رسالته ... ولأن الأمر كان متعلقاً بتغيير العقائد ... وهو أمر جد عسير ...!

وكما انقلب الجاحدون من أهل التوراة على المسيح ﷺ وعلى إنجليه ، كذلك انقلب الجاحدون من أهل الكتابين - معاً - على نُبوته ورسالته وعلى القرآن العظيم ...

ولأن الله تعالى ما أرسل النبيين والمرسلين إلا مبشرين ومنذرين ... وهادين إلى طريق الله ... فإننا نجد اشتراك واتفاق جميع النبوات والكتب والرسالات عموماً فى توجه المنهج الإيمانى والحقيقة الإعتقادية ... وإن اختلف أسلوب التعبير عنهما من قوم لقوم ومن زمن لآخر ... ولكن يبقى الجوهر الواحد الذى

---

(١) محمد : من ١٨ .

لا يتفتت أبداً ... والذى لا يمكن - أيضاً ... تصوُّر أية رسالة سماوية حقة لا تحتويه بين أضلع بلاغها النبوى الرسولىَ ... وهو أننا صنعة يد الله الخالق ... وأنه من أجلنا خلق كل شئ ... وأننا فى دار الإبتلاء - الإختبار - مؤقتون ... وأن الميلاد هو لنا البداية ... وأن الموت هو لحظة الإنسحاب من الحياة الأرضية إلى عالم الإنتظار ... واستعداد لميراث أبدىَ لا يزول ...

... ونهاية كل مخلوق ... هى أمر حتمى ولقد تعوَّدنا هذا جيداً ... نحن البشر ... وإن كانت دورتنا الحياتية البادئة بالميلاد والمنتهية بالموت هى دورة خاصة جداً يُساير ركابها الإنسان بمفرده ... ولا تتساوى دورته جوهرياً من منظور كلىَ مع دورة أى إنسان آخر ... بل هى أمر يخصه تماماً ... وذو بصمة خاصة جداً تُميِّز دورته - جوهرياً - عن باقى الدورات الحياتية للآخرين ...

ومن منظور أعم ... تقف عقارب الساعات والأزمنة ، وتنهار الحيوات بأكملها ... للأكوان جميعاً بما فيها ومَنْ فيها ... بل وتنهار كافة البنايات والوجودات الكونية بأكملها فى لحظة موت مهيبة ... متوارية عن دورتها الحياتية الشاملة الكاملة ... ولأنه قد اختفى وتوارى جميع ما كانت من أجله ... وكأنما كانت مجرد مساحة إحاطة متفاعلة خادمة لما أُفْرِزَتْ له خلقاً منذ البداية وحتى النهاية ...

وبالرغم من كون لوحة الخلق الكلية وبكامل تفصيلاتها ... غير ناصعة الوضوح تماماً للإنسان ... إلا أنها أعظم من أن يحيط بها عقل المخلوقات مهما كان ...

فما نحن بأرضنا إلا مجرد عضو بسيط فى مَجَرَّة أشبه بالتجمع العنقودى أو شبه الإسطوانى ... وسط بلايين البلايين من المجرات المماثلة والمشابهة ، فى الفضاء السماوى غير المحدود وغير المُفَسَّر بوضوح فكراً ورؤية من منظورنا ، هذه المجرة التي تحوى الشمس كنجم يضئ تلقائياً والذى نُنسب إليه كأعضاء فيما يسمى بالمجموعة الشمسية ...

هذا النجم - الشمس - الذي يتوافر مثله ما لا يقل عن نصف مليار نجم فقط فى مجرتنا والتى لم يُحسَمْ أمرها كاملاً بعد ...!

فلم يتمكَّن الإنسان حتى الآن من الإحاطة بهذه المجرَّة معلوماتياً ، وبالتالى ... وحين نقول أن الكون - من منظور إنسانى معلوماتى - ما هو إلا بلايين البلايين من هذه المجُرات ... والله أعلم بما تحوى ... لا نكون قد أحطنا بشئ علماً ... ولا أحطنا بماهية الكون وتركيبه وحقيقة حصر مفرداته ...!

وحين نعلم أن الشمس - والتى يوجد على نمطها فى مجرُتنا نصف مليار شبيه - تزيد كتلتها عن كتلة الأرض ٣٠٠ ألف مرة ... بل ومجموعتنا الشمسية - والتى هى جزء فقط من مجرُتنا - لا تمثل الشئ المهول أو الفريد بالنسبة لكامل هذه المجرة ...!

وكل الرحلات الفضائية التى نسمع بها ... إنما هى بمثابة تحرك سُلحفَاتِىّ ... وفى نطاق ضيِّق جداً داخل حُيز مجرُتنا وفقط فى نطاق مجموَعتنا الشمسية ...!

فكيف - إذن - يجترئ المجترئون قائلين ... يتركُب أو يتكوُن الكون من كذا ... وكذا ... وكذا ...!

... لا ... فالإنسان ابن الأرض أحد مفردات النظام الشمسى بمجرتنا ... لم يُحط علماً بكوكبه الأرضى ... أو حتى بمفردات مجموعته الشمسية وبالطبع فهو مازال بعيداً عن الحقيقة المعرفية المُدْرِكَة للمجرُة التى ينتمى إليها كوكب الأرض والمجموعة الشمسية ككل ...

... فكيف - إذن - نراه غير خجلان من الحديث بتبجُح معرفىّ ظنِّى عن الكون ... ؟!!! ... وأولَى به أن يخجل عند ذكر لفظ الكون ...!

وبوجه عام ... فقد قيل عن هذه المجراُت ... أنها تكوُنت من تكاثف سديمىّ أو غازى أو دُخَانىّ - بلفظ القرآن العظيم - للغاز أو الدخان الأولَىّ ... ثم انفصل بعد التكَاثف إلى أجزاء كوُنت تلك الكُتل المجرِيَّة - أىَ كتل المجراُت - ثم تجزأُت كتل المجُرات إلى نجوم وكواكب ...

والنجوم هى التى لديها القدرة - طبقاً لطبيعة تكوُنها - على التوهج مثل الشمس ... أما الكواكب فهى تلك النواتج الكُتَليَّة المعتمة أو غير المتوهجة .. مثل الأرض .. والقمر . والقمر على سبيل التحديد هو كوكب مُعْتِم ...ولكن ما نراه من نور ينبعث منه ... إنما هو انعكاس لما يستقبله من ضوء الشمس ...

وهذه الإنفصالات المتعاقبة - حين تكوُّن النجوم والكواكب - قد تركت بين المفردات الرئيسية التى تكوَّنت ما يمكن تسميته بالبواقى ... وهى تلك المادة الكونية الموجودة بين النجوم ... والتى قيل فيها بأحدث لسان علمى ... أنها ذات كُتَل قد تفوق فى مجموعها ... إجمالى كتل جميع المجرات ...!

هذا ... ويقول علماء الفلك ... أن عدد نجوم السماء - السماء المفهومة بالنسبة لهم وطبقاً لما استطاعوا إدراكه فقط - مثل عدد ذرات الرمال الموجودة على سواحل بحار الدنيا بأكملها ...! ... وأن المسافات بين النجوم ... تبدو مهولة ... وأنها - أى النجوم - محكومة بقوانين جاذبية تحفظ انضباط الفواصل والمسافات والمسارات فيما بينها ... وأن لكل جرم كونى ... فلكاً يدور فيه طبقاً لنظام دقيق لا يتجاوزه ...!

لاحظ ... أن أقصى المعارف الفلكية الممكنة ... لم تُحط علماً بمجرتنا والتى تنتمى لها المجموعة الشمسية ... والتى ننتمى لها نحن بكوكبنا الأرضى كأحد مفرداتها ...!

... وأن أقصى تعريف إيضاحى للكون ... أنه عبارة عن بلايين البلايين من المجرات ... والتى عرفُها العلم تعريفاً إستشفافياً عن ظنٍّ وليس عن يقين ...!

فإذا كان ذلك ... هو أقصى إدراك معرفىّ عن الكون حتى هذه اللحظة ... فإننا بكوكبنا الأرضىّ ... وبالنسبة لإجمالى الكون ... لا نزيد - إذن - عن ذرة رمل ملقاة فى مجمع محيطات وبحار وأنهار الكرة الأرضية قاطبة ... ولربما أقل ...!

... أين أنا ... وأين أنت - إذن - من هذا الكون ...؟!!!!

يا سبحان الله ...!

ولقد أوضح لنا الله تعالى أن الكون المخلوق هو السماوات والأرض وما فيهما وما بينهما ... فى العديد من آيات القرآن العظيم ... وهكذا أيضاً جاءت بعض لمحات فى سطور من الوحى القديم ... ويكون ذلك هو ما أشار إليه العلم ببلايين البلايين من المجرات ...!

وإذا كان الله تعالى قد أوضح لنا أن العمارة أو البناية الكونية إنما تشتمل على السماوات السبع وما فيهن ... والأرض وما فيها ... وما بين السماوات والأرض ... واتضح لنا فى ضوء الإدراك المعرفيّ المتاح ... أن كوكب الأرض إذا ما نُسبَ لإجمالى الكون ... ظهر كـ «صفر» تائه فى الفضاء اللانهائى ... ثم نقرأ قول الله عزّ وجلّ فى القرآن العظيم ... مُخبراً عن هذا «الصفر» وعن هذا «الكون المهيب» بما يلى ... «قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرضَ فى يومين وتجعلون له أنداداً ، ذلك ربُّ العالمين ، وجعل فيها رواسى من فوقها وبارَكَ فيها وقدَّر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواءً للسائلين ، ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرها ، قالتا أتينا طائعين ، فقضاهُنَّ سبع سماوات فى يومين وأوحى فى كل سماءٍ أمرها ، وزيَّنا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ، وذلك تقدير العزيز العليم ...» (١) .

إن الزمنية التى تشير إليها الآيات ... إنما تحمل لغزاً هائلاً يتعارض مع كافة النتائج المنطقية المفترض استنباطها ... مِمَّا تمخّضت عنه المدارك العلمية .. وأشرنا إليه سريعاً منذ قليل ...!

---

(١) فصلت : ٩ : ١٢ .

فإن كانت الأرض - تجاوزاً وعلى سبيل التقريب النسبى للأذهان - قد أشرنا إليها بـ « الصفر » ... نسبة إلى باقى الكون المُدْرَك بعلومنا ومعارفنا القاصرة ... والمتاحة لنا حتى يومنا هذا ...

... ولطالما الأمر كذلك ... فإنه من المنطقى تَوقُّع ... أن صناعة هذا الكون المهول ... إنما احتاجت لأعظم بكثير مما احتاجته الأرض المسكينة ... وكحد أدنى فى الوقت ... أى وقت الصنع ... ولكن ... قال الصانع جل شأنه ... أنه خلق الأرض وجعل فيها الرواسى من فوقها ... وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها فى أربعة أيام ... ولاحظ أنه قد « خلق » و « جعل » و « بارك » و « قدَّر » الأرض وكل ما يخصها - من الألف للياء ومنذ اللحظة الأولى وحتى لحظة انتهاء المراد منها ... - فى أربعة أيام ... ولاحظ أن يومى الخلق المذكورين فى الآية الأولى ... إنما تضمنتهما الآية التالية وحين ذِكْر الزمن الكلى الذى يخص الأرض بكل مالها ...

ولتقريب ذلك ... ولله تعالى المثل الأعلى ...

فكأنما تسألنى عن كتاب قد أعرتنى إياه للإطلاع عليه ودراسته وتحليله ... وحينما التقيت بك بعد فترة من الزمن ... وجدتك تسألنى ... هل قرأت الكتاب ؟ ... فقلت لك نعم ... قرأتُ الكتاب فى يومين ... وقد استمتعت به ، وقمتُ بدراسة كافة القضايا المثارة فيه وفنَّدتها وحلَّلتها وسجَّلت عليها ملاحظاتى النهائية ...

... لقد استهلك هذا منى ... أربعة أيام ...

إن مضمون الأيام الأربعة هنا ... إنما أقصد به جملة ما أعطيتُه للكتاب من زمن كلىّ ... شامل لجميع المراحل الأدائية التى كانت له منِّى ...ولربنا الرحمن المثل الأعلى ...

فكأنما جملة ما أوضحته الآيات ... - أربعة أيام - إنما تخص الأرض بكليتها ... أما اليومان الواردان بصدر الآية الأولى ... فهما يخصان - فقط - أحد مراحل هذه الكلية ...

... وعودة مرة أخرى ... لنقاشنا بخصوص نسبية الأرض إلى الكون فإنه - وكما ذكرنا - قد اختص الله تعالى كلية الأرض بزمنية بلغت أربعة أيام ... بينما أشارت باقى الآيات ... إلى أنه تعالى قد اختص باقى الكون المهيب فقط بيومين ...!!!

ما هذا ...؟! ... والله ... إنه لأمر عجيب ...!

هذا «الصفر» وحده - إن جاز التعبير-قد اختصه الله تعالى بأربعة أيام ..! ولاحظ أنها أربعة أيام من أيام الله وليست من أيامنا ... بينما اختص - تعالى - باقى الكون المهيب فقط بيومين ...!

إنه أمر ينطوى على مجمع أسرار وموطن حكمة ... لا يدركهم إلا الحكيم جل شأنه ...!

لقد كان نصيب الأرض - إذن - ثلثى ($\frac{٢}{٣}$) ما اختص به الله تعالى عموم خلق الكون من زمن ...!

هذا من منظور الزمن فقط ... ومن منظور ما علمنا الله تعالى ... وما خفى لا يعلمه إلا هو جل شأنه ...!

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ... إنك أنت العليم الحكيم ...

إن ذلك إنما ينطوى على إشارة بليغة بأهمية الأرض وثقل وزن خصوصيتها لدى الخالق جل شأنه ... وبالتالى بالنسبة للكون بكليته ...!

....

والسماء ... إنما تعنى العلو ... وأى مخلوق على سطح الأرض سيرى السماء دائماً فوقه ... ونحن نرى زرقةً نطلق عليها سماءً ... أو هى السماء

الدنيا ... أى أدنى علو فوقنا مباشرة ... أو الأقرب لنا ... وهذه الزرقة أو السماء الدنيا ... ما هى إلا الأغلفة الغازية ... أو المحيط الغازى المحيط بكوكب الأرض ... والتى نراها بهذا اللون كنتائج لظاهرة امتصاص طبقات الجو لضوء الشمس المنعكس من سطح الماء - البحار والمحيطات - والذى يمثل قرابة ٨٠٪ من حجم المسطح الأرضى ... وحين خروج الرحلات الفضائية خارج الغلاف الغازى الأرض - والذى نراه مزرقاً - فإن الرائى يبصر السماء سوداء ... وتبدو له الأرض محاطةً بهالة زرقاء اللون ...

... فهذا الجمال - إذن - الذى نستمتع به حين رؤية السماء ... إنما هو لنا فقط نحن ساكنى كوكب الأرض ...!

وسبحان العزيز العليم ...

... وتخضع الأرض وكامل المجموعة الشمسية التى ننتمى إليها - كما كل الكون ومفرداته وكما باقى الأجرام السماوية - إلى نظام أدائى غاية فى الدقة وهو ما تضبط ساعتك طبقاً له ...!

... وإن العمارة الكونية بوجه عام ... - والتى هى أمر يفوق مفهوم وعقول المخلوقين فقط من منظور المحاولة الإستيعابية ... وليس من زاوية المحاكاة التخليقية - ... إنما هى أمر إعجازى ... لم ترقَ المدارك والمعارف المتاحة للمخلوقات حتى الآن من الإحاطة بها فهماً ...!

وإن كانت البناية أو العمارة الكونية تحكمها معادلة اتزان عجيبة ... تؤدى خلالها كل مفردة ما هو مطلوب منها وكما حُدِّد لها ... وبدقة لا تخرج بها أبداً عن السياق الإتزانىّ للمعادلة الحاكمة ... وبما يرقى بها لقبول وصف « الكمال الأدائى » ...!

وبنظرة سريعة - فى حدود الإمكان الإدراكىّ والمعرفىّ الإنسانىّ - وفى حيِّز محدود - فقط - من مجرتنا ... والتى يتوافر مثلها فى الكون الفسيح بلايين البلايين من المجرات ... وبنظرة سريعة لأداء المجموعة الشمسية ... والتى يرأسها نجم الشمس ... والذى تنسب إليه باقى كواكب المجموعة ... ومنها الأرض ... والقمر ... وباقى الكواكب السيَّارة الأخرى ...

... فإنك تجد العجب حقاً ... والذى يقول لكامل علومنا ... « لم تعلموا شيئاً » ...! فدوران الشمس حول نفسها وزمن دورانها ... ودوران الكواكب حولها ... والمسافات الفاصلة الحاكمة ... ودوران الأرض حول نفسها ... وزمنية الدوران ... وكذلك دوران القمر حول نفسه ... في الوقت الذى يتمَ فيه دورته حول الأرض ... وزمنية ذلك كله ... وسُمْك الأغلفة الغازية المحيطة بكُلُ منها وحجم الأرض وحجم الشمس ... وحجم القمر ... الخ ... إنما كان كل شئ منهم بقَدَر ... ولو تغير منهم شئ لفسد النظام كله ... ولاستحالت الحياة بالكلية على الأرض فى صورتها التى ألفناها ...!

... وكذلك ... انضباط هذه المجموعة الشمسية بكامل قنون مجرتنا ... وكأنما هى « ترس » فى الآلة المسماة بمجرتنا ... لا يدور إلا كما صمَّم الصانع - جل شأنه - وبما يتفق ويتسق مع الآلة أو المجرةُ ككل ...! ... وإتساق وتناغم هذه المجرة - مجرتنا - مع النظام المجرَى العام ... ومع النظام الكونى الكلى ... وبما لا يُخرج أى نشاز أدائى من أى ذرة فى الكون ...!

وسبحان العزيز العليم ...

وإذا علمتَ ... أن الصوت والضوء كليهما طاقة ... وأن الضوء لا يحتاج إلى وسط لينتقل فيه من مكان لآخر ... بينما يحتاج الصوت إلى هذا الوسط الناقل ... وأن جميع الأصوات التى صدرت من جميع الكائنات ومنذ اللحظة الأولى لوجود الكائنات ... إنما هى طاقة مازالت موجودة فى الكون لم تتبدَّد ولم تتلاشَ وبما يشير لإمكانية استرجاعها كاملة ...!

... نعم هذا ما توصل إليه العلم الحديث الفصيح ... **الأصوات الماضيا مازالت موجودة** ... ولكن كيف يتم استرجاعها ...؟!

هذا شئ آخر ...!

وإذا علمت أيضاً أن الأضواء التى تراها تتلألأ فى السماء وتنبهر لها ... فى الأمسيات الشاعرية ... وحين صحو السماء ... ليست جميعها بأضواء تم إنتاجها للتو واللحظة ، بل أن كثيرا منها ... بمثابة ضوء تاريخى قديم أصدرته نجوم ما فى الفضاء الفسيح ... منذ ملايين السنين الضوئية وماتت واندثرت هذه النجوم ... ومازلنا - نحن - نرى ضوءها التاريخى حين كانت حيَّة ... ! ... لعلمنا - إذن - أن الضوء أيضاً لم يتلاشَ ولم يتبدد ... هو الآخر ... بل مازال فى الكون موجوداً وبدليل أنه أمكننا - وبالعين المجردة - استرجاعه ... بل ورؤيته وكأنما هو مُنتج حديثاً للتو واللحظة ...!

كيف ذلك ...؟!

إنه وطبقاً لمبدأ النسبية - وكما ذهب ألبرت أينشتين - وكما ثبت علمياً ... فإن الحد الأقصى للسرعة الكونية إنما تساوى سرعة الضوء فى الفراغ ... أى تساوى ٥ر٢٩٩٧٩٢ كم / ثانية أى ٣٠٠ ألف كم / ث تقريباً ...

... وقد ذهب أينشتين إلى أن كل شئ إنما هو نسبى فى هذا الكون ... ما عدا سرعة الضوء ... وأن كل شئ يتحرك ... وحيث لا وجود للسكون المطلق أبداً ... وحتى ما نراه ساكناً فهو خلاف ذلك ...!

... وعموماً ... فقد ثبت أن كُلاً منا يحمل زمنيته معه ... من خلال تحركاته وأداءاته الحياتية منذ لحظة ميلاده وحتى لحظة رحيله ... وأن الزمن السارى علينا نحن سكان كوكب الأرض ... ليس هو بتمامه ما يسرى على كواكب أخرى أو أماكن أخرى فى الكون ...

... فيومنا يساوى ٢٤ ساعة ... لأن الأرض تدور حول نفسها فى هذا الزمن ... والعام يساوى ١٢ شهراً أو ٣٦٥ يوماً (على وجه تقريبى) ... إعتماداً على مدة دوران الأرض حول الشمس ...

... ولكن ... لأن للكواكب الأخرى - والتى أمكننا دراستها فى ضوء مداركنا المعرفية المتاحة - رحلات دورانية أخرى ... فلذلك كان قياس الزمن عليها أمراً مختلفاً تماماً عن قياساته لدينا ...

وعلى سبيل المثال فكوكب مثل « المشترى » وهو أحد كواكب مجموعتنا الشمسية ... وطبقاً لدورانه حول نفسه ... ولدورانه حول الشمس ، وبما يختلف كليةً عن الأرض ... فإن سنة كوكب المشترى ، إنما تساوى ١٢ سنة من السنين الأرضية المعروفة والمحسوبة طبقاً لنظامنا ...

... وبافتراض أنك أخذت توأمين حديثى الولادة ... وأصعدتَ أحدهما على كوكب المشترى ... بينما تركت الآخر لحياته الأرضية الطبيعية ... وبافتراض مرور ١٢ عاماً أرضياً على تاريخ إخراج وضبط هذا الحدث ... ستجد أن ابن الأرض قد بلغ من العمر ١٢ عاماً ... بينما بالصعود لكوكب المشترى ولاستطلاع الأمر ... ستجد أن الآخر عمره فقط مجرد عام واحد ....!!!

إذن فالزمن أمر نسبى يختلف حسب مكان قياسه ... وكذلك يختلف مع نفس المخلوق أو الكائن لو اختلف مكان الرصد الزمنى الخاص به ... كما رأينا فى مثال التوأمين ... وكأنما الزمن أمر خاص بالمخلوق ويرتبط به حيث كان هذا المخلوق ...

فالشخص الذى ظل على الأرض بينما صعد توأمه على المشترى ... وجدناه قد مرت عليه ١٢ سنة أرضية ، بينما قد مرت على الآخر سنة بمقياس زمنية كوكب المشترى ....!

وحين يجتمعان ... ستجد حوارهما عجيباً وغريباً ....!

فلو تذكر - مثلاً - ابن الأرض حدثاً معيناً ... قائلاً ... لقد حدث لى منذ ثلاث سنوات كذا وكذا ... أو بعد سبع سنوات أتوقع أن أفعل كذا وكذا ... فإن الآخر سيصاب بالدهشة ... وسيعتبر أن ابن الأرض - توأمه - شخص آتٍ من قرون غابرة يتحدث بلغة عجيبة كل شئ فيها بطئ ....! ... ولأنه لم تمر عليه هذه الأزمنة فى الماضى ... ولا يعتقد بخبرة الماضى - على المشترى - أنه سيحتاج لسبع سنوات كى يقوم بكذا وكذا ... الخ ، بل يكفيه فقط أشهر معدودة للقيام بذلك كله ....!!!

لماذا ...؟!

لاختلاف منطق ومكانية قياس الزمن لدى راصديه ... وبالتالى ... وحين تحمل الأنثى - ابنة كوكب الأرض والمقيمة عليه - لمدة تسعة أشهر أو ٣/٤ سنة أرضية ... فإن نظيرتها - ابنة الأرض وصاحبة نفس الظروف ، وبافتراض إصعادها للمشترى ، وقابليته من كل الوجوه لاستقبالها - ستكون فترة حملها على المشترى فقط أياماً معدودات ... بل وإن شئت فاحسبها بالساعات ...!!! وبالتالى فقد ذهب أينشتين إلى ربط الزمان بالمكان وفيما يمكن تسميته بالعربية « الزمكان » ... وبما يحمل منطق نسبية الزمن لمن يقيس هذا الزمن وحيث يكون ... وبالتالى إفساح المجال أمام الأثر التاريخى لممارسة تأثيرات حالية على معاصرى الزمن الحالى ...!

وبما يعنى أنه ليس بالضرورة ، أن كل ما تراه أو تشعر به أو يؤثر عليك الآن زمكانياً ... هو بالحدث الحالى أو المعاصر لزمكانيتك وأثناء شعورك بأثره ...

فضوء الشمس - مثلاً وكافة تأثيراته المصاحبة - وأنت تستقبله الآن ... إنما قد صدر منها منذ حوالى ٣ر٨ دقيقة ... وليس بصادر للتو واللحظة حين شعرت به وبآثاره ...! فهو متولد من ماضٍ قريب عمره ٣ر٨ دقيقة ولكنك تعايشه فى لحظتك الجديدة أو الحالية ... وهو أمر يتوقف على بُعْد الشمس عنك وعن كوكب الأرض ...

هذا البعد المقاس بالسنة الضوئية ... وحيث مسافة السنة الضوئية تساوى ٥ر٩ مليون مليون كم تقريباً (سرعة الضوء × زمن السنة الأرضية) ، وحيث تبعد عنا الشمس مسافة قدرها ٣ر٨ دقيقة ضوئية ...

وبنفس المنطق وبنفس الأسلوب الحسابى - أيضاً - فإذا كان هناك أحد النجوم والذى يبعد عنا - مثلاً - مليون سنة ضوئية ... فانه وبافتراض موته وأفوله وعتامته - طبقاً لدورة الحياة النجمية والتى تشهد الميلاد والموت كباقى المخلوقات - منذ ألف سنة ... فإننا نرى ضوءه يتلألأ فى سمائنا الدنيا ... بل ونُبهر به ..!! .. فى حين أن ما نراه ... ليس سوى إضاءة تاريخية قديمة صدرت من هذا النجم ... ونراه بأعين حاضرنا وكأنه يعايشنا الآن ... بالرغم من أن ما

نراه هو ما كان عليه منذ مليون سنة ماضية ... ولربما - كما قلنا - أنه قد أفل وخبا منذ زمن ولا وجود حياتياً له الآن ... ولا يبث شيئاً مما نراه ... بل نحن الذين نرى بزمكنيتنا أي بزماننا وارتباطاً بأرضنا - مكاننا - حاضراً ... وهو مجرد حدث سحيق قديم جداً ...!

بل والأعجب من ذلك ... أن هذا النجم - ولأنه متحرك - وبافتراض أنه قد تنقّل في مواقع سماوية عدة - قبل أفوله - ... ولنقل أنه قد تنقُل في ألف موضع أو موقع في الفضاء الفسيح الهائل ... وكل موضع ... لنفترض أنه يختلف بُعداً عن كوكب الأرض بالسنين الضوئية ... عن بُعْد باقي المواضع أو المواقع الأخرى ...

... فمثلاً الموضع الأول ... على بُعْد مليون سنة ضوئية من الأرض ... والموقع الثاني على بعد ٩٩٩ ألف سنة ضوئية من الأرض ... والثالث ... والرابع ... وهكذا ... وبحيث تتناثر هذه المواضع أو المواقع في رقعة هائلة من الفضاء الكوني ... فإننا وللعجب ... نرى مهرجاناً من النجوم وكأنهم مثلاً ألف نجم ... بالرغم من كون صاحب هذا المهرجان العجيب هو نجم واحد ... وقد يكون ميِّتاً كما قلنا ... ومكانه الحالي - حتى وإن كان على قيد الحياة مازال - قد لا يكون أحد هذه المواضع أو المواقع المتلألئة إطلاقاً ...!

وسبحان القائل ... « **فلا أقسم بمواقع النجوم ... وإنه لقسمٌ لو تعلمون عظيم ...** »[1] ... وهو أيضاً ما ينطبق عليه ... « **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ...** »[2] ... فإن كان المفسرون قد ذهبوا بتفسير الآيات بأنه قسم من رب العزة بكل ما نرى وما لا نرى ... وعلى وجه العموم ، باعتبار أن ما نراه فلأنه خلق يُرى ... مثل النبات والحيوان ... وكل الماديات المعروفة والممكن إدراكها إبصاراً ... وما لا نرى من المخلوقات غير المادية ... كمثل الجن والملائكة والكرسي ... الخ ...

(١) الواقعة : ٧٥ : ٧٦ (٢) الحاقة : ٣٨ : ٣٩ .

ولكن كما تلاحظ فالنبات غير الجن ... مثلاً ... فهذا شئ وذاك آخر تماماً ... ولا غبار على هذا التفسير ...

... ولكنى أرى عظمة للقسم من زاوية أخرى ... « **فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون** ... » ... ولو طبقناها مع صديقنا « **النجم** » ... فنحن نبصر فعلاً ... ولا نبصر فعلاً ...! ... وتكون عظمة القسم معنية بالشئ الواحد - وفى حد ذاته - ودون الإنتقال لأشياء أو أجناس أخرى ، وبمجرد نظرتنا للنجم السابق وباسترجاعنا للقسم « فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون » فنحن فعلاً مع هذا النجم نبصر ولا نبصر !!!

ولاحظ - أيضاً - أن هذا القسم قد اكتمل سياقه بآيتين ... وليس بآية واحدة ... « **فلا أقسم بما تبصرون** » (الآية ٣٨ - سورة الحاقة) ... « **وما لا تبصرون** » (الآية ٣٩ - سورة الحاقة) ... وأظنه لفت نظر من العزيز العليم - جل شأنه - لكل قيمة على حدة ... خاصةً لو ربطنا ذلك ... بالقسم العظيم بسورة الواقعة ... « فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم » ... فإن ما تبصره إنما هو مقدمة لإدراك ساعٍ للإحاطة ... وما لا نبصره هو ما غاب مقدماً عن الحواس المُدرِكة ... وبالتالى فهو غائب - آخراً - عن أية إحاطة إدراكية أو معرفية ...

... وطبقاً لما سبق .. فإن مواقع النجوم إنما تمثل أحياناً الحياة فى أجْلَى صورها .. مع الأثر الزمكانى - أو الزمانى والمكانى - وذلك حين حياة هذه النجوم وإن كانت استمرارية حياتها واستقرارها نسبياً ليسا بأبلغ من وفاتها ...! فمجرد رؤية هذه النجوم الحيَّة أو إبصارها ... ومهما كانت مسافاتها بُعداً عنا بالسنين الضوئية ... إنما يلعب الدور الرئيسى فى معزوفتها - هنا - عنصرا الزمان والمكان ، وباعتبارهما واجهة عرض بلاغة الرؤية ... وبالتالى اندماج الماضى فى الحاضر وفى المستقبل أيضاً بالنسبة لنا كراصدين لهذه النجوم ولتلك الظواهر عموماً ... أما فى حالة موت هذه النجوم منذ أزمنة بعيدة ... فإن ذلك يعطى الأمور بُعداً أكثر بلاغة وغرابة ...!

... وتكون كمثل أى إنسان رحل عن العالم الحياتى الدنيوى من خلال وفاته ... ولكن ما قام به ... مازال موجوداً ... فى كل زمان ومكان ... حتى وإن لم يعاصر هذا الإنسان أثناء حياته هذه الأزمنة وهذه الأمكنة ...

إذن فنحن بصدد مثال عجيب عن فناء الأجساد وخمولها ... واستمرارية ودوام آثارها إلى ما شاء الله ...!

فقد رحل النجم ... ولكن كل عمله مازال موجوداً ... وكل وهجه وضوئه ... وأمكنته التى زارها والتى تنقّل بينها ... مازال الكون يحتفظ بها فى سجلاته ... ولم تتلاشَ ...

ومواقع النجوم - والله تعالى أحكم وأعلم - على هذا النحو ... ومن منظورنا ، إنما تكون نقطة تداخل الزمان بتقسيماته الماضية والحاضرة والمستقبلية ... فى زمن مُوحَّد يُطل عليه كل مخلوق على الأرض من موقعه الزمانى والمكانى ... فى أية لحظة ... وكل مخلوق يراه الآن حاضراً ... وحين يراه غداً ... فإنه سيراه فى المستقبل ... وحين رآه بالأمس ... فإنه يكون قد رآه فى الماضى ... وهو كما هو ... أثر منذ القديم ...!

... إنه لدرس أبلغ من كل بلاغة ... ودلالة عظمى على أن ما صدر من المخلوق فى أى زمان ومكان ... لا محالة ... أنه مازال موجوداً صوتاً وصورة ، ومسجلاً على صفحات الكون ، ومهما بعدت آثار أفعاله زمنياً ومكانياً . وحيث أن الزمنية والمكانية لم يعودا عائقين أمام استرجاع أفعال وسلوك المخلوقات ...!

ولاحظ أيضاً ... أن القسم العظيم ... « **فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم** » إنما قد يشير لمكانية رفيعة الشأن ... لا نعلمها نحن ... فى هذا الكون المهيب ... وحيث أثر فعل هذه النجوم ... وكما نراها نحن بزمكنيتنا ... وكذلك قد يحمل القسم إشارة أخرى إلى حيث المستقر النهائى للنجوم الحية ... وكذلك لمستقر الراحلين منهم ...!

ولاحـظ كذلك تـأكيداً آخـر عظيم الشـأن ... يُبرز قيمـة تفسير ... قَسَم « ما لا تبـصرون » ... وكذلك قيمة توجُّه قسم « فلا أقسم بمواقع النجوم » ... للنجوم الراحـلة ... وذلك حـين يقسم رب العـزة جـل شـأنه بالنجوم مرة أخرى .

ولكن لاحظ معى ... حـالة النجوم التى يقسم بها مولانا ... فهـو تعـالى يقـول ... « فلا أقسم بالـخُنَّس الجوارِ الكُنَّس » [١] ...

.... فهو تعالى لا يقسم بالنجوم ... الظاهرة ... بل بالمختفية « الـخُنَّس » ... المستترة الغاربة « الـكُنَّس » ... وكأنما تعالى أقسم بالنجوم المختفية الغـارية المسـتترة « الـخُنَّس الكُنَّس » ... والجارية فى ذات الوقـت ... « الجوارِ الكُنَّس » ... الجاريات الغاربات ... فلا أعتقده - سبحانه وتعالى وهو أعلم - سوى أنه لعظمة ما يدور ، وبمنطق «ما تبصرون وما لا تبصرون» ... والذى يحمل بالضرورة ... منطق ما تدركون وتفهمون وما لا تدركون ولا تفهمون - ولأن الإبصار ... هو قائد بليغ للمعرفة وللإحاطة الإدراكية - لا أعتقد سوى أنه - تعالى - قد أقسم بالوضع المستتر الأبلغ ... وهو المخلوق الميت الحى ...!

وإن لم يكن اختفاؤها وغروبها واستتارها هو الأبلغ ...لأقسم الله تعالى بعكس ذلك ...!

... ولاحظ ... « الجوارِ الكُنَّس » ... أى الغاربة الجارية ... فإن كانت قد غربت أو اختفت - أى النجوم - بأجسادها ... ، وإن كان المقصود بأنها تجرى فى أفلاكها وهى غاربة أو ميِّتة ... فما هو منطق البلاغة فى ذلك ...؟!

لكنى والله تعالى أعلم ... أرى أن المنطق التأويلىّ الأبلغ ... إنما فى إدراك تمام حياتها من منظور الراصدين ... بينما هى من الغاربين الآفلين ....!!!!

(١) التكوير : ١٥ : ١٦ .

فيرصدونها حية جارية وهى من « الـكُنَّس » ... وسبحان الله ...!

فالكتاب الكونى الهائل سُجلت صفحاته كل سلوك تم فى حيِّزه - ولا حيِّز للمخلوقين سواه - ... ولا فرار من أن كل شئ مُسجَّل ... بل ولقد رأينا تمام استرجاعه ...

حتى أصوات السابقين ... وصورهم ... وكل شئ يخصهم ... كل ذلك مازال موجوداً فى ذاكرة الكون وعلى صفحاته ... ولم يُمحَ شئ ...!

... وإنه والله ... لمثال عجيب على منطق الحساب ... واسترجاع ماضى المخلوقات المحفورَ فى ذاكرة وصفحات وسطور الكون الهائل ...

... ولئن كان منطق الحساب الذى أخبرنا عنه ربنا تعالى ... يستدعى منطقياً مقدمات لهذا الحساب ... وهى السلوك العام الذى ستتم على أساسه المحاسبة ، ولأن لحظة الحساب من منظور زمنى ... هى واقع تالٍ لزمكنية - لزمان ومكان - السلوك ذاته ... فكان الحتمى ضرورة الإحتفاظ بسجلات كونية يمكنها استحضار واسترجاع كل لمحة من أى نوع تمت فى نطاق هذا الكون الهائل ...

... وإذا كانت سلوكيات الماضى - مازالت - مُحْتَفَظاً بها داخل الكون ولم تتلاشَ ... فلأى أمرٍ - إذن - هى مازالت موجودة ...!

فلو أن النجم - صاحب مثالنا - الذى خبا وأفل منذ زمن ... لم يعد هناك احتياج لأثر سلوكه الماضى ... فلماذا احتفظ به الكون واستمر فى بثه ... إنه ولوجود منطق قد استوجب حتمية الاحتفاظ بـ « الآثار السلوكية » لهذا الميِّت أو لهذا الراحل ... تم الاحتفاظ بها ... وقد ثبت ذلك ...

... ولذلك وحين يخبرنا ربنا تعالى ... أن أعمالنا ستُعرض علينا من أجل حسابنا ... فالمقدمات تُثبت ضرورة وحتمية الوصول لهذه النهايات ... أى الحساب ... ولطالما قد ثبت بالدليل العلمى ... والذى لا يقبل مجالاً للشك ... أن كل كلمة نطق بها أى مخلوق ... مازال الكون يحتفظ بها ولم تتلاشَ .

وليس الأمر متعلقاً بالكلمة ... أى بالصوت فقط ... بل وكما رأينا فكذلك الضوء أيضاً ... ولقد أنجز العلم إمكانية تصوير أى حدث وتحليله ... من مكان حدوثه ... وبعد إنقضاء هذا الحدث أصلاً ... وبعد مغادرة جميع المشتركين فى الحدث لزمان ومكان حدوثه ... إعتماداً على الطاقة الحرارية المنبعثة من المواد ، جامدة كانت أم متحركة ... فى ظلام تمت أم فى ضياء ...!

وهو الأمر الذى حدا بالعلماء إلى الجزم بأن كل الأفعال الماضية مهما كانت وأين كانت ... إنما تتواجد فى الفضاء الكونى على هيئة صور ... وأنه من الممكن فى أية لحظة استرجاع هذه الصور ... ولكن مع توافر التقنيات القابلة لاستقبال هذا وتحقيقه ... وإذ أن جميع ما تم تصميمه حتى الآن ... إنما يمكنه استرجاع الماضى غير السحيق ... ويحتاج الأمر ... لتقنية أعلى وأقوى ... لامكانية استرجاع الأزمنة البعيدة جداً بكل صور أحداثها ...

وعلى ذلك ... فكل ما مارسته الأجيال السابقة ومنذ عصر آدم ﷺ وحتى اللحظة الاخيرة ... انما هو مسجل صوتاً وصورة ... ولم تمحه السنون أبداً ... بل أن ذاكرة الكون قوية جداً ... هكذا صمَّمها العزيز العليم ... جل شأنه ...

وبالتالى نعود مرة أخرى لتساؤلنا المنطقى ... لو أن سلوكنا لن يُعْرَض علينا فى لحظة حساب ... فما هو منطق احتفاظ الكون به ... وعدم تلاشيه ...!

ولاحظ أن هذه الطاقة المحتفظ بها فى شكل صوت أو ضوء أو صورة ... الخ ، لا تختلط فيها الأمور الخاصة بمخلوق مع ما يخص الآخر ... فلكل منا بصمته الخاصة به ... وتماماً ... كما يمتلئ الفضاء بالبث من خلال الأقمار الصناعية والمحطات الأرضية وغيرها ... ويمكنك استقبال كل قناة صوتاً وصورة ، وبوضوح لا تشوبه شوائب القنوات أخرى ... فهكذا نحن ...

لـكل إنسان بصمة ... أو قل هى قناة تخصه ... لا تخالطها شوائب بث آخر أو قنوات أخرى ... وسبحان الله ...!

... وتدبَّر قول الله جل شأنه ... « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » [١] ... « إنا كُنَّا نستنسخ ما كنتم تعملون » [٢] ... أى نسجل ونحتفظ بجميع ما قلتم وما عملتم ... وانظر - أيضاً - لقول المعروض عليهم كتبهم ، والتى استُنْسِخَ فيها ما كانوا يعملون ... « ويقولون يا ويلتنا مالِ هذا الكتابِ لا يُغادر صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً » [٣] .

وسبحان من قال ... « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ... » [٤]

... نعم ... إنه وربِّنا لهو الحق ... وإننا لـمُحَاسَبُون ...!

وإنا لله وإنا إليه راجعون ..!

....

(١) ق : ١٨ (٢) الجاثية : ٢٩ .
(٣) الكهف : من ٤٩ (٤) فصلت : ٥٣ .



(٤) جهالة إبليس اللعين بنسبية أينشتين ... أفسدت الأمور ...!

لقد كانت نسبية ألبرت أينشتين ... من أعظم ما فتح به الله تعالى على الإنسانية من أبواب معرفة مكونة وغير مسبوقة في قرنها العشرين ...

... ولسنا - هنا - بصدد استعراض جميع ما استقرت إليه العلوم والمعامل استناداً إلى مبدأ نسبية أينشتين ... ولكننا فقط نأخذ ببداية الخيط الموصِّل - وببساطة - لما يعنينا في هذا المقام[١] .

فقد أزال مبدأ النسبية - وبالكلية - الحدود والفواصل والفوراق بين المادة والطاقة ، وأمكن تحوّل كلٌ منهما للهيئة الأخرى معملياً بالفعل ...! وطبقا لنسبية أينشتين فإن أى مادة إنما يمكن تحولها لطاقة تامة من خلال العلاقة ... الطاقة = الكتلة (أى كتلة المادة) × مربع سرعة الضوء

وبالتبعية واشتقاقاً من ذلك ... فإن ...

الكتلة (أى المادة) = الطاقة ÷ مربع سرعة الضوء

فقد زالت إذن ... جميع الفواصل والحدود التفريقية بين المادة والطاقة ... باعتبارهما على علاقة اتصال تحويليّ ... وليس كل منهما بمثابة جزيرة مهجورة لا علاقة لها بالأخرى ...!

... ومن ثم ... فقد أصبحت اقتصاديات النقل والرحلات الفضائية وكذلك الحروب ... ومختلف أوجه الحياة ... ذات بدائل طاقة ... يُحسب لها العديد من الحسابات فى ضوء نسبية أينشتين ...!

فمثلاً ... قد يكفى مجرد تحويل عشرة جرامات من المادة ... إلى طاقة ، ليمكن بها إهلاك قارة بأكملها ... محترقة ...!!!

(١) لمزيد من التوسع فى هذا الخصوص يمكن مراجعة المؤلَّف القيم ... الإشارات القرآنية - للسرعة العظمى والنسبية ، للأستاذ الدكتور محمد حسب النبى - دار الآفاق العلمية ، كما يمكن الرجوع لأية مؤلفات أو أبحاث أخرى تتناول نفس المجال البحثى ...

وهذه أمور قد استقرت علمياً ومعملياً بالفعل ... وليست محل اختبار أو تجارب ... فقد تم تحويل الضوء في المعامل إلى مادة ...!!!!!!!!!!!

ولئن كان الأمر كذلك ... فلقد استحكم الأمر تماماً وانغلق أمام جهالة وكبرياء نفس إبليس اللعين ...!

فإن كانت مبرراته الظاهرة والباطنة قد دفعت به استعلاءً إلى رفض أمر السجود - كما رأينا - لأن المسجود له مجرد طين ... بينما هو عنصر أعلى وأرقى - من منظوره البغيض الجهول - لأنه مخلوق من النار ... فإن هذا اللعين قد أعمته الجهالة ... عن إدراك ما أعتقده يدركه تماماً ... وهو مبدأ نسبية أينشتين ... بل وربما أكثر ...!

كيف ...؟!

... فهذا الجهول من « طاقة » ... فالنار طاقة ... بينما آدم من طين ... أي من « مادة » ...

... وكما رأينا فالطاقة والمادة ... على علاقة اتصال تحويليّ وثيقة ، وبحيث يمكن تحوّل أي منهما للهيئة الأخرى ...!

وبمعنى أنه وإن كان أصل خلق إبليس - اللعين - من الطاقة أو من النار ، وأصل خلق آدم من المادة أو من الطين ... فإنه علمياً يمكن تحويل الطين إلى طاقة ... وكذلك تحويل الطاقة إلى مادة ... وإبليس يعلم هذا تماماً ... بدليل قدرته هو شخصياً على التجسُّد المادي ... وقد روت الآثار في هذا الكثير ...!

ومن الجن والشياطين الرجيمة فعلاً مَنْ يتجسُّدون ... أي تتحول هيئة الطاقة إلى هيئة المادة ... ثم يعودون ... وكذلك ما رُوِيَ عن التجسد الملائكي النوراني ... كما أمين الوحي جبريل عليه السلام ... وهو ما يحدو بنا إلى إعادة النظر في كل شئ ...!

فالمادة ... أى مادة ليست أسيرة عنصريتها المادية إلى أبد الآبدين ... ولا الطاقة كذلك لابد وأن تكون طاقة طول الوقت ...! بل إن الأمور بكليتها نسبية فى كل شئ ...!

ولكن ... لو عادت الأزمنة والدهور بإبليس اللعين ... وكان أن سمح الله تعالى ... لآدم المخلوق من طين بالتحول لهيئة الطاقة ... أكان سيرفض إبليس السجود أيضاً ... طالما قد تساوت الرؤوس فى مادة الخلق ... أن هذا من طاقة ... وذاك أيضاً ...؟!

أم ترى الـمُكابر - لعنه الله - كان سيقول ... لا أنا من الطاقة الأصيلة ... أما آدم فهو من طاقةٍ متحوِّلة من أصل مادى طينى ... وليست طاقة أصيلة مثلى ... « أنا خير منه » ...!!!

فعلاً ... إن أصل الأشياء جميعاً فى هذا الكون المهيب ... لواحد ... ولكن كل شئ أخذ هيئته من الخالق .. البارئ .. المصور - جل شأنه - وكما أراد له الظهور وبما يناسب ما هو مخلوق لأجله ... وإن نظرتنا لأى شئ ... لابد وأن تأخذ منطق النظرة النسبية حين تناول أى شئ فينا أو حولنا بالتحليل ...

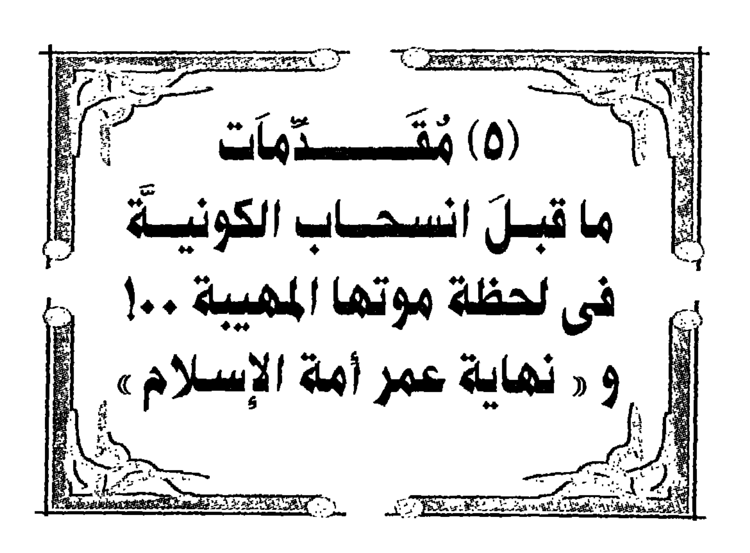
ويبقى تساؤل على درجة عالية من الأهمية - فى هذا الخصوص - وهو هل يمكن للإنسان خلال حياته الأرضية الإعتيادية ... التحوّل إلى هيئة الطاقة ... ثم العودة مرة أخرى لهيئته المادية الطبيعية ودون أن تتلف أعضاؤه خلال هذا التحول والتحول العكسى ؟!!!

... إن نظرة العلم من خلق الكون ... ولمادية الكون المنظور والمفهوم على وجه التحديد ... إنما تذهب إلى وجود هذه المادية من عدم ... ولعل هذا العدم الذى يقصدونه هو انعدام المادية ... أى أنه قبل الكون المادى لم تكن المادة موجودة أى كانت معدومة ... وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم ...

وحيث أنه بمعطيات مبدأ النسبة وبعلومنا نحن المخلوقين ... فإنه لا يشترط عند خلق ماديات الكون وجود مادة أو ماديات للخلق منها ... إذ أنه بكافٍ جداً تلك الطاقة العظمى للأمر الأعظم « كن » ... ومنها وبها يكون كل شئ ...!

وسبحانه وتعالى ... له المثل الأعلى ... وليس كمثله شئ ...

....



(٥) مُقَــــدِّمَاتَ
ما قبلَ انسحاب الكونيـةَّ
فى لحظة موتها المهيبة ..!
و « نهاية عمر أمة الإسلام »

... كما رأينا ... لقد كانت الأرض ومازالت ... تحتل ثقل الإهتمام الكونى غير المسبوق ... وهذا فضل الله - تعالى - يؤتيه مَنْ يشاء ... ولقد استعرضنا - على عجالة - أمر البناية والعمارة الكونية المهولة وموقع الأرض - التقريبى - منها...

... ولقد كان من المنطقى ... - ومن منطق احترام المخلوق لذاته - نفى إمكانية الإدعاء المخلوقاتىّ بمجرد تصور الإحاطة بالكون وماهيته ... ولأنه بعمارته المهيبة ، لأعظم وأجل من إمكانية الإحاطة به ، وإدراك كافة القوانين الفعّالة العاملة فيه حصراً وتحديداً ...

... ولقد رأينا فضل الله تعالى ... باستقرار خلافته فى أرضه لبنى الإنسان جيلاً بعد جيل ... ومن ثم تحويل هذه البقعة الكونية - الأرض - إلى مركز للأحداث والرسالات والخلافة ...

... وهى أيضاً بقعة الـمُخْتَبَرِين من المخلوقات ... الإنس والجن ... وإن كان عهد الخلافة - أصلاً - لم ينله سوى الإنسان ...!

... وبالرغم من هول وعظمة البناية الكونية - وطبقاً لما نفهمه عنها حتى الآن - إلا أنه لم تأت بإخبارات الله تعالى لنا ، من خلال رسالاته وكتبه المنزلة ، أن هذا الكون بكُلّيَته تحدث فيه أية أمور غير متصلة بنا ... وسواء عَلمنا ما يحدث أو حتى تذوقناه تحسُساً ... أو لم نعلمه البتة ... فإن غاية ما علّمنا العليم الحكيم - جل شأنه - أنه خلق الخلق ليعرفوه ... وبه تعالى عرفوه ... أى ما عرفنا الله إلا بالله ...

لقد كانت العمارة الكونية العجيبة بما فيها ومَنْ فيها ، من أجل إقرار واستقرار مراسم التكليف المنهجىّ أو حمل الأمانة ... وإبرام عهد الخلافة ... وإن كان الكون بكُلّيَته هو السماوات والأرض وما فيهنّ وما بينهنّ ، كما جاء بالإخبار الإلهى فى القرآن العظيم ... فإن الأرض إنما تعتبر بما فيها ومَنْ فيها ... نموذج محاكاة تصغيرىّ لكون الله ... والمفوَّض فيه هو خليفة لله ... وفى

هذا يقول الحميد المجيد - جل شأنه - ... « اللهُ الذى خلق سبع سماوات ومن الأرض مِثْلَهُنَّ يتنزَّلُ الأمرُ بينهنَّ لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأنَّ اللهَ قد أَحاط بكل شئٍ علِْما ... » (١) .

... ولأن الكون بكليته كان لمهمة مؤقتة ... فلذلك كان عمره مؤقتاً أيضاً وليس بأزلى ولا بأبدى ... إنما هو خلق لله - جل شأنه - خُلِقَ ليكون مناخاً وبيئة ، تعاصر وتحتوى مهمة أدائية معينة ... ولولاها لما وُجد ...!

فالله تعالى لم يكن ليحتاج الكون ولذلك خَلَقَه ... وحاشاه أن يحتاج ... إنما قد احتاج الإنسان المخلوق إلى ذلك كله ... خلال قبوله حمل الأمانة وعهد الخلافة ...!

... لقد احتاج الإنسان إلى ذلك ... سواء فهم أم لم يفهم حقيقة احتياجه ...!

... وبانتهاء المساحة الزمنية المخصصة لحمل الأمانة ينتهى - منطقياً - عهد الخلافة ... خلافة الإنسان لله فى أرض الله ... أو فى النموذج التصغيرىَ الذى يُحاكى الكون كاملاً ... وبالتالى - وكما أداء أية مهمة وبعد إنجازها - فليس هناك ثمة عمل يُـؤَدَّى ... ومن ثم ينسحب القائم بأداء المهمة أى يغرب الإنسان عما كان فيه ... ويغرب الكون غروب النهاية ، وتنسحب الكونية بِكُلِّيَتها فى لحظة موتها المهيبة والعجيبة ...!

... « يومَ تُبَدَّلُ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسماواتُ » (٢) ... « يوم نطوى السماءَ كطى السجل للكتب ، كما بدأنا أول خلق نعيدة ، وعداً علينا إنا كُنَّا فاعلين » (٣)

....

(١) الطلاق : ١٢ (٢) إبراهيم : ٤٨ (٣) الانبياء : ١٠٤ .

... فلقـد تبدلت الأمـور ... ورحل كل شئ كان مفهوماً أو غير مفهوم لدينا ، ومات كل مخلوق ... وينادى جبار السماوات والأرض ... لمن المُلك اليوم ... وما من مجيب ... فلا يردُّ سواه ... لله الواحد القهَّار ... فسبحان ذى العزة والجبروت ... سبحان ذى الملك والملكوت ... سبحان الحى الذى لا يموت ... سبحان الذى يُميت الخلائق ولا يموت ...

وتُعَدُّ الحياة مرة أخرى إعداداً يتفق والقيامة والحساب والثواب والعقاب ... وليصدق الله وعده رسله ...

... وما بعد القيامة وقبل الأبدية ، هو أحرج وأثقل ما يواجهه المخلوق المُكلَّف ... هو الحساب ... فترقُّبْ بحذرٍ قول الواحد القهار ... لأهل الحساب من الإنس والجان ... « سنفرغُ لكم أيُّها الثقلان ... » [١] إنها والله ... لكلمات ومعانٍ تقشعر لها الجلود وترتعد لها النفوس والأرواح ... وتنخلع لها القلوب ...

... فرب العزة - جل شأنه - يقول لأهل التكليف « سنفرغ لكم » ...!

والله تعالى ما كانت تشغله المشاغل ... حتى إذا فرغ منها تفرَّغ لنا ...!

ولكنه منطق تحذيرى ... « ويُحذِّركم اللهُ نفسَه وإلى الله المصير » [١]

... وبمنطق تحذير الله لعباده ... ما كانت النهاية مباغتة ... وما كانت المفاجأة هى المقصد ...

... فلقد وُضعَتْ بيد الله مُقدِّمات النهاية ... وأخبر بها وأعْلَمَ الرسل والنبيين ليُبْلغوا عَن ربهم ... ولقد أبلغوا ... أن النهاية تحمل اسم الساعة ... وأن للساعة أعراضاً أو أشراطاً تسبقها ...

(١) الرحمن : ٣١   (٢) آل عمران : ٢٨ .

... ولقد انفرد القرآن العظيم وصحيح حديث الرسول ﷺ بأشمل تغطية إخبارية بما يكون فى الزمن الأخير ... هذا وإن كنا أيضاً نتحسّس بعضاً من هذه الملامح على لسان المسيح ﷺ لدى رواة الأناجيل ... وكذلك فى سفر دانيال بالعهد القديم ...

... وأشراط الساعة قد تأخذ الشكل الإعتيادى - بعض الشئ - طبقاً لما ألفناه ... وقد تأخذ الشكل الإعجازى غير المسبوق ...

... وما أخذ الشكل الإعتيادى ... أو ما كان على نحو ما ألفنا ... حتى وإن اختلف شكلاً وموضوعاً عنه ... إنما يمكن تسميته بـ « **العلامات** » ...

... أما ما أخذ الشكل الإعجازى غير المتكرر أو غير المسبوق ... فأولى به أن يُسمَّى « **آيات** » ...

إذن فالأشراط عموماً هى مجموعة مُقدِّمات ما قبل نهاية الكون ... وتتكوَّن من العلامات والآيات ...

وقد كانت بعثة سيدنا محمد ﷺ هى فاتحة الأشراط قاطبة ... « **فقد جاء أشراطها** » [١] ...

... إذن فبداية عمل عدَّاد الأشراط من علامات وآيات ... إنما قد بدأ ببعثة سيدنا محمد ﷺ ... ويمكن استنتاج ذلك أيضاً من مراجعة ما جاء على لسان المسيح ﷺ لدي رواة الأناجيل ... وكذلك ما جاء بالمزامير ... وبسفر دانيال ...

وعموماً ... فقد دأب العلماء على تقسيم الأشراط إلى صغرى وكبرى من منظور زمنى بحت ... وإن كان هذا التقسيم تحت ذلك المسمَّى ... قد يُوحى بمنطق الأهمية والقيمة لما قد يُسمَّى بالأشراط الكبرى ... عمَّا يُطلق عليه الأشراط الصغرى ...

---

(١) محمد : ١٨ .

... فمصطلحا « صغرى » و « كبرى » ... إنما يطلقان على الأشراط حسب بعدها الزمنى عن اللحظات الأخيرة فى عمر الخلائق والكون ... فيُطلَق مصطلح « صغرى » على تلك التى بدأت بها الأشراط عموماً وما تلاها ، ولكن بما لا يقترب بنا تماماً من محطة النهاية ...

... بينما يُطلق مصطلح « كبرى » على تلك التى لم تتحقّق بعد ... والتى هى قاب قوسين أو أدنى من النهاية ...!

... ولكن فى هذا الأمر على إطلاقه ... نسْبِيَّات يجب التوقف معها برهة واستنطاقها ... وحتى لا يدخل اللبس على المقاصد وهى منه براء ...!

... فكل جيل من الأجيال السابقة ... إنما كان ينظر لكل ما لم يتحقق من أشراط الساعة ... باعتباره من الأشراط الكبرى ... ثم يأتى الجيل الذى يليه وبعد تحقق جزء من هذه الأشراط فيطلق مصطلح « صغرى » على ما تحققت ومرت أو مازالت - حتى - سارية ... و « كبرى » على ما يتم انتظارها ...!

... ولو استنطقنا بعض أهل الكتاب ذوى العدل ... ممن سبقوا بعثة الرسول ﷺ ... عن مُسمَّى بعثة النبى الخاتم حين يأتى ... لقالوا لنا أنها من الأشراط الكبرى للساعة ... بل ومن أهمها إطلاقاً ... لكن مقولتهم لا تأخذ البعد الزمنى كمعيار أوحد لإطلاق المسميات ... لكنهم كانوا سيُقيِّمون الموقف من منظور أن هذه البعثة الخاتمة ... إنما هى أعظم أشراط مقدمات النهاية ... وكما حملت لهم سطور صحيح كتبهم ...

وبالتالى لم يكن البعد الزمنى فى تقييم تحقق الأشراط ... بمعيار ذى بال أو اعتبار مع استقبالهم للحدث الجلل والذى هو فاتحة الأشراط .. وإن كان فقط سيشغلهم - البعُد الزمنى - من منظور .. أن النهاية قد أشرقت مقدماتها .. وأوشك اكتمالها .. ولذلك .. أرى - والله المستعان - أن من أفضل معايير تصنيف الأشراط - ولو بمنطق التذوُّق الواعى بقدر المستطاع - ... هو تصنيفها طبقاً للمألوف وغير المألوف .. أو للمعتاد - أو شبه المعتاد - ولغير المعتاد ...

وكما استعرضنا سريعاً منذ قليل ... ومن ثم ... تكون الأشراط المألوفة أو المعتادة ... أو حتى شبه المعتادة والتى لم تأت بخوارق عادة ... بمثابة « العلامات » ... بينما ما خرج من الأشراط عن نطاق المألوف أو المعتاد - أو حتى شبه المألوف أو المعتاد - والذى يُعتبر خرقاً لمعتادنا ومألوفنا ، فأولى به أن يحمل مُسمًى « آيات » ... وكمرحلة تالية ... يمكننا من منطق زمنيتنا التى نعاصرها ... تصنيف كلٍّ من الآيات والعلامات ... إلى ...

- حدثت وانقضت ... ،

- حدثت ولم تنقضِ ... (أى بدأت ومازالت سارية) ... ،

- لم تحدث (أو مُنتَظَرة) ....

... وبناء عليه ... وإن قبلنا ذلك ... تكن بعثة الرسول ﷺ هى فاتحة أشراط الساعة من علامات وآيات ... وفى نفس الوقت تكون هى أعظم آياتها. ... ولعله باستقراء آيات القرآن العظيم وصحيح سنة رسول الله ﷺ ... نخرج بأبرز الأشراط من علامات وآيات والتى يمكن استعراضها كما سيأتى بعد قليل ... مُصَنَّفَةً فى قسمين رئيسيين ... وهما الآيات والعلامات[1] ... مع إيضاح مصدر استقاء هذه الآية أو العلامة ... أى إن كان مصدرها القرآن العظيم أم السُّنة النبوية ... مع ضرورة الإلتفات إلى تدخُّلى الشخص فى

---

(١) يمكن مراجعة ذلك ... أيضاً ... إن أردت ... من مؤلفنا « سنة نزول المسيح » وسنتا ظهور المهدى وخروج الدجال ... والزمن الباقى من عمر أمة الإسلام ... وهو الإصدار الأول من سلسلة رسائل آخر الزمان ...

... كما يمكن مراجعة العديد والعديد من المؤلفات والتى تزخر بها مكتبتنا الإسلامية فى هذا الخصوص ... وقد صدر بخصوصها فى غضون السنواتْ الخمس الأخيرة فقط ما يزيد عن ستين مؤلفاً فى مصر وحدها ... فلم نعد نتكلم - إذن - عن غيبيات وطلاسم عجيبة غير مفهومة ... حين تَنَاوُلنا لأشراط النهاية ... وبالنسبة للقارئ الذى يطالع هذه الموضوعات لمرته الأولى ... فعليه بمحاولة الإستزادة بعض الشئ فى هذا الخصوص ...

انتقاء بعض من الآيات غير الملتفت إليها ... باعتبارها ليست ضمن الحديث الشهير للرسول ﷺ والذى تضمن الآيات العشر التى تسبق الساعة ... وقد وضعتُ على رأسها - بالرغم من حدوثها ومعاصرة معاينيها لها زمانياً ومكانياً وانقضائها من هذا المنظور - بعثة الرسول ﷺ ، ولأن آثار آية البعثة ... إنما ستظل الرحمة الدائمة ، والظل الوارف لأمته وحتى لحظتها الأخيرة ...

... هذا إضافة لقيامى بانتقاء - فقط - بعض من العلامات المنتظرة والتى لم تحدث بعد ... وطبقاً لاقتناعى الكامل بأهميتها أكثر من غيرها ... ولا ينفى هذا بالطبع أهمية غيرها ... ولكن كان ذلك هو معيارى فى الإنتقاء ... مع الأخذ فى الإعتبار ... أننى لم أرد أن أحَمِّل سطور صفحات هذا الكتاب ... بما صار يحفظه معظم الناس ، عن العلامات التى تحققت بالفعل وانقضت ... أو تلك التى تحققت ومازالت آثارها تعايشنا فى زماننا الحاضر ... والتى صار معظمها - إن لم يكن جميعها - جزءاً لا يتجزأ من الآلة الإجتماعية والبيئية العامة والتى نحن بعض تروس فيها ...!

أهم الأشراط

آيـــات	مصدرها	علامـــات	مصدرها
(١) بعثة الرسول ﷺ	القرآن والسنة وثبوتها اليقيني	(١) ظهور مُـمُهِّدى المهدى	السُّـنَّـة
(٢) خروج الدجال	السُّـنَّـة	(٢) قتال اليهود واستعادة القدس	القرآن والسنة
(٣) نزول المسيح ﷺ	القرآن والسنة		
(٤) يأجوج ومأجوج	القرآن والسنة	(٣) الملحمة الكبرى	السُّـنَّـة
(٥) شـروق الشـمـس من مغربها	السُّـنَّـة		
(٦) الدابة التى تكلم الناس	القرآن والسنة	(٤) ظهور المهدى	السُّـنَّـة
(٧) الدخان	القرآن والسنة		
(٨) النار التى تسـوق الناس	السُّـنَّـة	(٥) هدم الكعبة	السُّـنَّـة
(٩) ، (١٠) ، (١١) ثلاث خسوف	السُّـنَّـة		
(١٢) رفع القــرآن من المصاحف ومن الصدور	السُّـنَّـة	(٦) ريح طيـبـة تقـبض أرواح المؤمنين	السُّـنَّـة
(١٣) نفخة الفزع وزلزلة الساعة	القرآن والسنة	(٧) البطشة الكبرى وبداية أحداث اليوم الأخير	القرآن والسُّـنَّـة
ثلاثة عشر آية		**سبع علامات**	

ويلاحظ أن ترتيب كل من الآيات والعلامات فى الجدول السابق لا تشير بأى شكل إلى ترتيب حدوثها الزمنى ... ولمراجعة معظم مصادر هذه الأشراط من آيات وعلامات تفصيلياً يمكن مراجعة إصدارينا الأول والثانى من سلسلة رسائل آخر الزمان [١] ...

وبخصوص الآيات (١٢) ، (١٣) ... فإنه قد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال ... « **يُدْرَس الإسلام كما يُدرس وشيِ الثوب ، حتى لا يُدرَى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة ، ويُسرى بكتاب الله تعالى فى ليلة فلا يبقى منه فى الأرض آية ... وتبقى طوائف من الناس ... الشيخ الكبير والعجوز يقولون أدركنا آباءنا على هذه الكلمة ... لا إله إلا الله ... فنحن نقولها ... الخ الحديث** » [٢] .

هذا بخصوص الآية رقم (١٢) والخاصة برفع القرآن من المصاحف والصدور ... والتى أيضاً لها روايات أخرى من طرق أخرى ...

أما عن نفخة الفزع وزلزلة الساعة ... فقد ورد فى « حديث الصور » ... عن الرسول ﷺ [٣] ... « **... يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول : انفخ نفخة الفزع ، فيفزع أهل السماوات والأرض ، إلا مَنْ شاء الله ، ويأمره تعالى فيمدها ويطيلها ولا يفتر ... وهى التى يقول الله فيها ... وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فَوَاق ... فتسير الجبالُ سير السحاب ، فتكون سراباً ، وترج الأرض بأهلها رجاً ، فتكون كالسفينة**

(١) الإصدار الأول : سَنَة نزول المسيح (طبعته الثالثة) ..
– الإصدار الثانى : سنة دخول القدس . .
(٢) أورده القرطبى فى التذكرة عن حذيفة عن ثقات ...
(٣) أورده ابن كثير فى النهاية مروياً عن الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده عن أبى هريرة .

فى البحر ، تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلّق بالعرش ، ترجه الأرواح ، ألا وهو الذى يقول الله تعالى فيه ... « يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة » ... فتميد الأرض بأهلها ، وتذهل المراضع ، وتضع كلُّ الحوامل ، وتشيب الولدان ويطير الناس [١] هاربين من الفزع ، فتلقاهم الملائكة ، فتضرب وجوههم فيرجعون ، ثم يولون مُدبرين ، ما لهم من الله من عاصم ، ينادى بعضهم بعضاً .. فبينما هم على ذلك .. إذ تصدَّعت الأرض بصدعين ، من قطر إلى قطر ، فرأوا أمراً عظيماً لم يروا مثله ، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ... نظروا فى السماء فإذا هى كالمُهْل .. ثم انشقت السماء ... فانتشرت نجومها ، وخسفت شمسها وقمرها ..قال رسول الله ﷺ ... الأموات لا يعلمون بشئٍ من ذلك ..قال أبو هريرة : مَنْ استثناه الله حين يقول « ففزع مَنْ فى السماوات ومن فى الأرض إلا مَنْ شاء الله » ... قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء ... وهم أحياء عند ربهم يُرزقون فوقاهم الله فزع ذلك اليوم ... وآمنهم منه ... وهو عذاب الله ... يبعثه على شرار خلقه ... وهو الذى يقول فيه ... « يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم يوم ترونها تذهل كلُّ مُرضِعَةً عمّا أرضعت وتضع كلُّ ذات حمل حَمْلَها ، وترى الناس سُكَارَى وما هم بسُكارى ولكن عذاب الله شديد ... » ... فيمكثون فى ذلك العذاب إلى ما شاء الله ... إلا أنه يطول .. الخ الحديث .. » .

(١) وفى إسناد آخر وردت بلفظ « ويطير الشياطين » ... ولربما هى الأصوب والله تعالى أعلم، ... إلا لو كانت نفخة الفزع ستؤدى إلى انعدام جاذبية الكرة الأرضية ...! وكان ذلك على الله يسيراً ... !

ونفخة الفزع كما يظهر لنا ... من آيات القرآن العظيم ... ومن الحديث السابق ... إنما هى ليست بالأمر الإعتيادى المألوف لدى المخلوقات . بل ويرتبط بها والله تعالى أعلم ... زلزلة الساعة ... وهى أعظم زلزلة أشارت إليها آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول ﷺ ... لذلك كان من الأهمية - بمكان - اتجاهنا لتصنيفها كأحد الآيات المُمهِّدة للساعة ...

أما بخصوص العلامات (١) ، (٥) ، (٦) ، (٧) ...

وبخصوص مُـمَـهِّـدى المهدى أو سابقيه ... فقد ورد عن الرسول ﷺ **« يخرج ناس من المشرق فيوطئون للمهدى - يعنى سلطانه »** (١) وعن علىّ كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال ... **« يخرج رجل من وراء النهر يُقال له الحارث بن حراث على مقدمته رجل يُقال له منصور يوطئ أو يُمكِّن لآل محمد ﷺ كما مكَّنت قريش للنبى ﷺ وجبت على كل مؤمن نصرته أو قال إعانته »** (٢) .

هذا وقد ورد العديد من الأخبار عن سابقى المهدى ومُمهِّديه ... على لسان الصحابة والتابعين رضوان الله تعالى عليهم ... وقد أورد مثل ذلك أيضاً « نعيم » فى الفتن ... **« الخلافة الراشدة التى يتوالى فى عهدها ثلاثة خلفاء ... الأول إمام عادل وهو المؤسس محمد بن عبد الله المهدى ... الثانى ... واحد من أهل بيته لن يكون عادلاً مثله ... الثالث ... إمام عادل لن يكون دون الأول فى عدله وهو الذى يصلى المسيح عليه السلام خلفه ... ومدة هذا العهد بضع وعشرون سنة ... »** (٣)

---

(١) ابن ماجة (جـ ٢/ ٤٠٨٤) ، وقد أورده القرطبى فى التذكرة .
(٢) ابن ماجة (جـ ٢/ ٤٠٨٨) ، وقد أورده القرطبى أيضاً فى التذكرة ، وقد ضعفهما الألبانى .
(٣) الحافظ نعيم بن حماد فى كتابه الفتن ، وهو أحد شيوخ البخارى .

... وهم جميعاً ... والله تعالى أعلم ... من سلالة أهل بيت النبوة ... وجملة أزمانهم بضع وعشرون سنة ... تنتهى حين نزول المسيح ﷺ وتسلمه قيادة المؤمنين من آخرهم ... وأولهم « البابلى » ... كما جاء ذكره بالوحى القديم ... وهو ليس عراقياً لا جذراً ولا مواطنةً ... وهو مَنْ قال عنه نوستراداموس فى نبوءته الثانية والسبعين من المائة الأخيرة ... والتى أخطأوا فى تفسيرها وذهبوا بها إلى المسيح الدجال ... وليس هو ... هو ... إطلاقاً ... بل هما عَدُوَّان ...!

... وهو من قال عنه داود ﷺ ... فى المزامير ... حين قال عن خروج الشرفاء ... وتابعوا معنا كامل السطور ...!

... أما بخصوص العلامة رقم (٥) والخاصة بهدم الكعبة ... فلقد جاء عنه ﷺ جملة من الأحاديث ... من أكثر من طريق ... « يخرب الكعبة ذو السويقتين رجل من الحبشة »[١] ... « كأنى به أسود أفحج يقلعها حجرا حجراً ... »[٢] ...

... وقد رُوى عن الرسول ﷺ - أيضاً - أنه قال ... « حجوا قبل أن لا تحجوا فكأنى أنظر إلى حبشىّ أصمع أفدع بيده معول يهدمها حجراً حجراً ... »[٣] ... والأصمع ... هو صغير الأذن ... والأفدع ... هو الذى كأنما يمشى على ظهور قدميه ...

ولقد استقر العلماء - تقريباً - الى أن ذلك يكون بعد وفاة سيدنا المسيح ﷺ ولأنه قد ورد فى معظم صحيح الأثر ... أن المسيح ﷺ والمؤمنين فى عصره ... إنما يحجون البيت ويعتمرون ... وبما يعنى ... أن المسيح ﷺ آخر الطائفين بالكعبة قبل أن تهدم ... !

(١) صحيح مسلم ، عن أبى هريرة وأورده القرطبى فى التذكرة .
(٢) يصفه الرسول ﷺ بـ « ذى السويقتين ... أى أنه ذو ساقين صغيرتين .. أى دقيق الساقين، متباعد ما بين الفخذين ... وهذا معنى « أفحج » ... وقد أورده البخارى عن ابن عباس
(٣) رواه الحاكم والبيهقى من حديث سيدنا على رضى الله عنه مرفوعاً .

... وبخصوص الآية رقم (٦) ... فقد وردت عدة روايات - فى هذا الخصوص - عن أكثر من طريق ... فعن الرسول ﷺ أنه قال ... « لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى ، ويبعث الله ريحاً طيبة ، فيتوفى من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من خير ، ويبقى مَنْ لا خير فيه ، فيرجعون إلى دين آبائهم » (١) .

... الأمر الذى يعنى ... تصفية الأرض من المؤمنين - بعد رحيل المسيح ﷺ - وحتى لا يبقى سوى شرار الناس ... والذين تقوم عليهم الساعة ... وهم مَنْ قال فيهم الرسول ﷺ ... « لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس » (٢) ... وأيضاً قوله ﷺ فيهم ... « لا تقوم الساعة حتى لا يُقال فى الأرض لا إله إلا الله ... » (٣) ...

... أما بخصوص العلامة السابعة ... « البطشة الكبرى وبداية أحداث اليوم الأخير » ... فهى الجامعة بين صفات الآيات والعلامات - كما أوضحنا - فى آن واحد ... وهى رأس البداية والله تعالى أعلم ... وتابعوها معنا فى مكانها من هذا الكتاب إن شاء الله ...!

....

واستقاءً مما سبق استعراضه ، حين نقاش العلامات والآيات التى تسبق الساعة وتُمهِّد لها ، فإنه يمكننا القول ... بأن نهاية عمر أمة الإسلام ، إنما يتحدَّد زمنياً بتحقُّق أحداث ثلاثة أساسية ، تضمنتها الأحاديث النبوية الشريفة ... وهى ...

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك (٤/٤٤٨) عن ثوبان مرفوعاً .
(٢) رواه الإمام أحمد ، عن عبد الله .
(٣) رواه الإمام أحمد ، عن أنس .

(١) رفع القرآن من المصاحف ومن الصدور ،

(٢) هدم الكعبة ،

(٣) الريح الطيبة التى تقبض أرواح المؤمنين .

....

وحيث أنه برفع القرآن من المصاحف والصدور وبهدم الكعبة .. فلا إسلام إذن ... لأنه ... لا صلاة ولا زكاة ولا حج ... ولا شريعة بالمرة . ثم تأتى الريح الطيبة لتقبض بقايا مَنْ بقى من المؤمنين ... وبالتالى فلا إسلام ولا إيمان لحظتها ...

... وإن كان الإسلام - بذلك - قد انتهى كشريعة ، فلا أمة له إذن ، وبما يعنى نهاية عمر أمة الإسلام ... قبل نهاية الحياة الدنيا بِكُلّيتها ...

... ولعل تحديد نهاية عمر أمة الإسلام ، إرتباطاً بزمنية مثلث الأحداث السابق - من علامات وآيات - بأفضل منطقياً من محاولة الإجتهاد واللهث الرقمى المجرَّد وراءها[١] ...!

(١) هذا بالرغم من قيامنا بالإجتهاد البحثىّ فى هذه النقطة ... من منظور رقمى عام مُجرَّد - فى إصدارنا الأول - ودونما ارتباط بزمنية مثلث الأحداث المؤدِّية لذلك منطقياً ... لوقوعها خارج إطار المنهج البحثىّ المُتَّبع فى ذلك الإصدار ، والذى انصبَّ جمُّ تركيزه - جوهرياً - على « منطق المثلية » و « قانون الإعادة » .



(٦) القُدْسُ الرابع مِصريّ !.

لقد شرَّف الله تعالى مصر بالذكر فى القرآن العظيم - تصريحاً وتلميحاً - أكثر من عشرين مرة ... وإنه والله لإعلاء قَدْرٍ وفيض كرامة ... تفضَّل بهما ذو الفضل العظيم ... جل شأنه ...

... ولقد ذكر شرفها نبى الله داود ﷺ بنبوءات مزاميره ... وامتدحها الرسول ﷺ وامتدح أجنادها بكونهم خيرة أجناد الأرض ... وسيتأكَّد ذلك وسيؤكده المهدى ﷺ ... وسيشهد به أعداء الإسلام إن شاء الله ...!

... ومما لا يعلمه الكثيرون ... أن أرض مصر المشرَّفة والمكرَّمة من ربها - تعالى - إنما تحمل فى ثراها ما يزيدها شرفاً وبركة وكرامة ... وحيث يوارى ثراها ... من أكابر أهل بيت الرسول ﷺ ... بل ومن أكابر رسل وأنبياء الله تعالى ... ومنذ القديم ... مَنْ لا يعلمهم إلا الله وحده ... !!!!!!!!!!

... بل وأن معظم أنبياء الله الذين نعرفهم ... والذين لم يَشْرُف ثرى مصرٍ باحتضان رفاتهم ... لم يحرم الله - تعالى - مصر من معاينتهم ... وتنسُّم شذاهم الرسوليّ والنبوى ... مروراً ... أو زيارةً ... أو بعثةً ... أو طلبَ أمنٍ ... الخ ...!!!! ولكن الذين يوارى ثرى مصر رفاتهم منهم كثير ... والله تعالى عليم ...! ... ولقد شرفت مصر ... باستقبال المسيح ﷺ حين طلبت أمه السيدة مريم - عليها السلام - له الأمن مما يتهدده ... فكانت رحلتها به لمصر ...

... وحين النهاية ... سيعود المسيح ﷺ - بوحى من الله تعالى - بمصر وبالطور ، هو ومَنْ فى الأرض من المؤمنين ... حين خروج يأجوج ومأجوج قبَّح الله وجوههم ... وحيثٍ ... « ... أوحى الله إلى عيسى عليه السلام (١) أنى قد أخرجت عباداً لى لا يَدَانِ لأحدٍ بقتالهم (٢) ، فَحرِّزْ عبادى إلى الطور (٣) ... » (٤) .

(١) هو وحى من الله تعالى لنبيه ورسوله المسيح ﷺ ، وبعد نزوله ...

(٢) المقصود بهم ... يأجوج ومأجوج ، ومعنى لا يدانِ لأحد بقتالهم ... أى لا قدرة ولا طاقة لأحد على مواجهتهم ...!

(٣) أى خُذْهم وضُمَّهم إلى طور سيناء ... واجعله حرزاً لهم ...

(٤) هو جزء من حديث طويل للرسول ﷺ ... تناولَ فيه الدجال وأحواله وما يكون فى زمانه، ... وقتل المسيح ﷺ له ... الخ ، وقد ورد فى الصحيحين ...

... وعن الرسول ﷺ ... أنه قال ... « أنذركم المسيح - يقصد الدجّال - يمكث فى الأرض أربعين صباحاً ... يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتى أربعة مساجد ... الكعبة ، ومسجد الرسول ، ومسجد الأقصى ، والطور ... » (١)

إنها إذن ... لعصمة من الله تعالى ، للبقع وللمقدسات الأربع فى أرضه ، ... وكما ورد أيضاً فى أحاديث الرسول ﷺ ... مرويات عن طرق أخرى تتناول نفس الخصوص ... نجد أن الكعبة إنما هى رمز إلى مكة ... ومسجد الرسول ﷺ هو رمز للمدينة ... والمسجد الأقصى رمز للقدس ... وهكذا ...

... وعلى ذلك ... فأيضاً ... الطور ... إنما يرمز إلى مصر ... وخاصة أن لفظ الحديث السابق ... إنما تحدَّد فى « مساجد » ... وهو - على كل حال - تخصيص لا ينفى العموم ... بل يفيده ... خاصةً إذا ما دُعِّم بغيره ...

ومما يُروَى أيضاً ... « ... أن الدنيا مثلت على طير ، فإذا انقطع جناحاه وقع ، وإن جناحيّ الأرض ... مصر والبصرة ... فإذا خربتا ذهبت الدنيا ... » (٢) .

... ومما يُروى عن كعب الأحبار رضى الله عنه ... أنه قال ... « إنى لأجد فى كتاب الله المنزل على موسى بن عمران ، أن للإسكندرية شهداء يستشهدون فى بطحائها خير من مضى وخير من بقى ، وهم الذين يباهى الله عز وجل بهم شهداء بدر ... » (٣) !!!

... رعاك الله يا مصر ... وأتمَّ بك نوره ... وأكرم بشرفائك جبين العرب والمسلمين ... وأعادَ لكِ ما سلبوهُ ... وسَلَبَ لكِ مَنْ سلبوكِ ...!

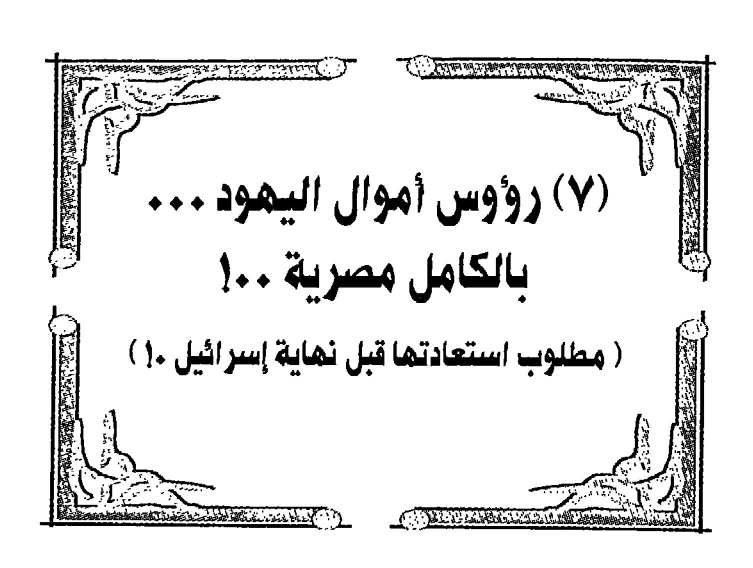
... آمين ...

---

(١) أخرجه أحمد فى مسنده ، ورجاله ثقات .

(٢) أورده القرطبى فى التذكرة عن أبى نعيم الحافظ .. فى باب / علامة ذهاب الدنيا ومثالها ...

(٣) أخرجه الوائلى أبو نصر فى كتاب الإبانة ... وقد أورده القرطبى فى التذكرة ، فى باب / ما جاء فى ذكر البصرة والأيلة وبغداد والإسكندرية .



(٧) رؤوس أموال اليهود ...
بالكامل مصرية ..!

(مطلوب استعادتها قبل نهاية إسرائيل .!)

ماذا تفعل إن سلبك أحد شيئاً من حقوقك أو ممتلكاتك ...؟!

وماذا تفعل وأنت تحاول جمع أدلتك الإثباتية المتنوعة ... والتى تساعد بها نفسك للحصول على حقك ... سوى أن تنتقى من الأدلِّة أنصعها وأقواها ومن البراهين أحَدَّها وأقطعها ...

... ولعل الدليل الإثباتى ... الدال على سلبك حقك ... هو ذاته صك حقك المسلوب ... لطالما نقَّيتَهُ من أية شوائب تضعفه ... وأقدرته على النطق بلسان حقك المسلوب ...

... وسيكون دليلك الإثباتىّ ... والذى هو ذاته صك حقك المسلوب ... أعظم وأمضى وأحَدّ ... حين تستخرجه من دفاتر سالبك ... أو من جعبة مَنْ سلبك ... مُوقَّعاً باعترافاته كاملة غير منقوصة ...!

... ولعل الأمر لحظتها ... وحين حوزتك لمثل هذا الصك ... فكأنما تملك حقك المسلوب كاملاً بين يديك ... ولكنك تحتاج لجهة فصل ... لا لشئ سوى تمكينك من حقك المُثبَت باعتراف سالبك ... ومهما بَعُدَ زمن السلب ... فإن الحق قائم لا يضيع ... لطالما وراءه مَنْ يطالب به ...

... وسواء كان المسلوب ... شخصاً ... أم جماعة أم أمةً بأسرها ... فالجريمة واحدة ... وأركانها تثبت على أى شئ أو أحد مهما كان وأين كان ... وسواء كان السالب ... شخصاً أم أمة ... فهو سالب أو سارق ... لا فرق ...!

وإنى لأجد على صفحات توراة اليهود ، وفي سفر الخروج جريمة متكاملة الأركان والأطراف والمعالم ... ويصاحبها سبق الإصرار والترصد ، بل هى جريمة مركَّبة ... أو لنقُل عدة جرائم متشابكة يُكمل بعضها بعضاً ... تفوح منها رائحة عفن السلوك والأخلاقيات ... وتتشابك فيها مُسمَّيات وممارسات النصب والإحتيال وخيانة الأمانة ، والسرقة عن عمد وإصرار ونيَّة مبيَّتة ... تحت مُسمَّى يُحيل الحرام حلالاً والمفاسد مكارم أخلاق ... وهو المسمَّى الدينى ... وأن الرب قال ...!!!

... وها أنذا أقرأ مجموعة جرائم سلب أجدادنا المصريين ممتلكاتهم ومجوهراتهم وذهبهم وفضتهم وملابسهم ... الخ ... على أيدى بنى إسرائيل الذين استغلوا سماحة المصريين منذ الزمن البعيد واحتالوا ونصبوا عليهم ، وخانوهم وسرقوهم وفروا هاربين محتفلين بهذا اليوم ... أنه يوم نجاتهم ... أو يوم فصحهم .،. لا إنه يوم **فضحهم** إن شاء الله ...!

... واقرأوا معى ... تفصيلات المؤامرة الدنيئة - المسجّلة فى توراتهم بسفر الخروج - ... على الشعب الذى استضافهم من تشردهم - وعلى حد حسابهم التوراتى - لمدة ٤٣٠ سنة ... ذائبين فى هذا الشعب محتلين المراكز المرموقة لدى بلاطات ذوى المكانة ولدى الحكام كذلك ... ومتمتعين بمميزات ضخمة فاقت فى بعضها مواطنى مصر أنفسهم ... كما سترى ...

... ولا تصدقوهم ... فى نظريات الإضطهاد والعبودية ... والتى يزوّرون بها التاريخ القديم والحديث ... ويملأون بها الدنيا ضجيجاً وصراخاً ... لابتزاز من يريدون ابتزازه ... وآلاف الآلاف من الإتهامات المضادة الجاهزة مسبقاً لإلقائها فى وجه من يريدون إرباكه وتعجيزه ... مثل النغمة العفنة المسماة بـ « معاداة السامية » ... سامِيّة إيه ...؟!

ولماذا سام بن نوح ... أفضل من يافث وأفضل من حام ...؟!

نحن لا نعرف هذا ولا نعرف الآخرين ... ولا تقولوا لنا ساميَّة أو حاميَّة أو يافثية ... فكلنا لآدم ... ولم يَرِدْ أن سام بن نوح على رأسه ريشة قد ورثتموها ولكننا لا نراها ... فكُفُّوا عن الصراخ الأبله ... والتفتوا لما هو حق ... ولأنه إن شاء الله قد آن أوان استرداد الحق ...

ولنتابع معاً ... سطور سفر الخروج بتوراة اليهود ، ولنبدأ معاً فى استجلاء أركان المؤامرة والجرائم المركّبة ... من سطورهم ، وهى خير شاهد عليهم ...

... « ... وأعطى نعمة لهذا الشعب فى عيون المصريين فيكون حينما تمضون أنكم لا تمضون فارغين ، بل تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وتضعونها على بنيكم وبناتكم ، فتسلبون المصريين ... » !!! (خر ٣ : ٢١ - ٢٢)

وبنسخة الكتاب المقدس « كتاب الحياة » ترجمة تفسيرية ... ورد نفس النص السابق بسفر الخروج - الإصحاح الثالث : ٢١ - ٢٢ كما يلى ...

... « ... وأجعل هذا الشعب يحظى برضى المصريين ، فلا تخرجوا فارغين حين تمضون ، بل تطلب كل امرأة من جارتها أو نزيلة بيتها جواهر فضة وذهب وثياباً ، تلبسونها بنيكم وبناتكم ، فتغنمون ذلك من المصريين ...» ... !

ثم تأكيد ذلك ... أيضاً ... « ليطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ... » (خر ١١ : ٢-٣)

وبنسخة « كتاب الحياة » ... « ليطلب كل رجل من جاره وكل امرأة من جارتها آنية فضة وذهب ...»

... ولاحظ معى ... أنهم يقولون بأن الله تعالى هو الذى أمر موسى ﷺ بذلك ... وبالتالى ... فهم مجرد عبد يُنفِّذ طلب سيده ...!

ولكننا نحن المصريين ... ليس لدينا أى اعتبار لما يقولون ... هم سرقونا واحتالوا ونصبوا علينا وخانوا الأمانة ... ولسنا مضطرين لتقديس مثل هذه الجرائم لأنهم قنّنوها بمجرد دخولها فى سطور التوراة ... وإن كان الكلام سيكون سجالاً بالكتب المقدسة ... فنحن المصريين مسلمين ومسيحيين ... ليس لدينا أى سطر مقدس واحد يجبرنا عن التنازل عن حقوقنا المسلوبة ... والمتمرغة فى أحضانكم ما لا يقل عن ٣٥٠٠ سنة ...!!

... بل وإن هذا المنطق الجرائمي ... قد قنَّنوه لأنفسهم طيلة أحقابهم ... ولطالما أن الرب يأمرهم - بزعمهم العفن - بالنصب والإحتيال والسرقة وخيانة الأمانة تلك - إذن - هى أخلاقيات ربهم المزعوم وبالتالى فعليهم بطاعته ...!

وبنفس المنطق الإحتيالى الجرائمىّ المُتمحّك زوراً بالكتب المقدسة سرقوا فلسطين والأرض المقدسة ...!

لا ... إن الأمر ليحتاج لوقفة ... وما أنا بصدده هو حق مصر ... والذى لا يستطيع أى شئ أو أحد إثنائنا نحن أبناء مصر عن المطالبة به ، وحتى أخذه كاملاً ... إن شاء الله ...

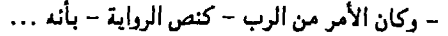
... وعودة مرة أخرى للسطور التوراتية لسفر الخروج فإننا نلاحظ الآتى ...

- ربهم يرسم لهم الخطة ... « ... **فيكون حينما تمضون لا تمضون فارغين** ... » .

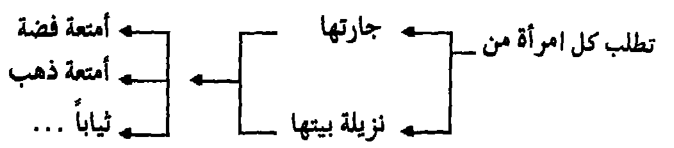
- ربهم يخدع المصريين من أجلهم ... ويجعلهم يرونهم فى أكمل حال ... « **وأعطى نعمة لهذا الشعب - أى بنى إسرائل - فى عيون المصريين** » ... وفى الرواية الأخرى ... « **وأجعل هذا الشعب يحظى برضى المصريين** » ... لماذا ؟!

حتى تكتمل سطور المؤامرة ... ولا يطلب بنو إسرائيل شيئاً من المصريين ... إلا وحصلوا عليه ...؟!

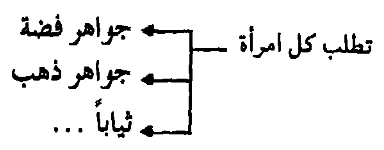
أى أنه بتدبير الرب وليس بنصب واحتيال وخديعة بنى إسرائيل ...!



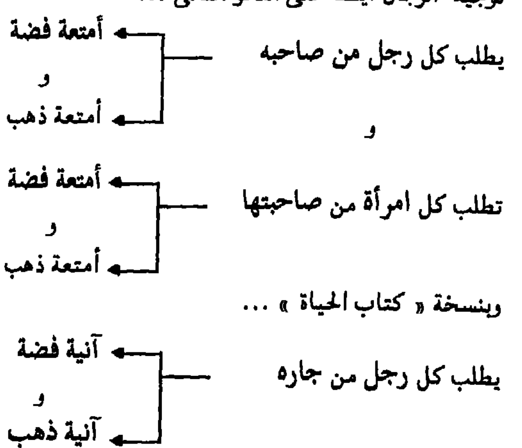
- وكان الأمر من الرب - كنص الرواية - بأنه ...



... وطبقاً لرواية نسخة الكتاب المقدس ... « كتاب الحياة » ...



- ثم تتصاعد الأحداث دراميا في الإصحاح الحادى عشر لسفر الخروج (٢-٣) ، وتتصاعد أوامر الرب من توجيه النساء فقط - كما سبق - إلى توجيه الرجال أيضا على النحو التالى ...



وتطلب كل امرأة من جارتها ← آنية فضة و آنية ذهب

- والنتيجة - كما يقول لهم ربهم ... « فتسلبون المصريين » ...

- وفى الرواية الأخرى ... « فتغنمون من المصريين » ...

... ويا لها من خطة ....! ... ولكن ماذا فعلوا ...؟!

... « وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى ، طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب فى عيون المصريين حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين ... » (خ ١٢ : ٣٥ - ٣٦) .

... وفى رواية « كتاب الحياة » ... **« وطلبوا من المصريين آنية فضة وذهباً وثيابا بحسب قول موسى ، وجعل الربُّ الشعب يحظى برضى المصريين ، فأعطوهم كل ما طلبوه ، فغنموا من المصريين ... » .**

(خر ١٢ : ٣٥ - ٣٦) .

... ولا تختلف النسخة الكاثوليكية للكتاب المقدس ... فى الرواية والأحداث عن كل ما سبق ... ولذلك ... فلم تكن هناك حاجة لاستعراض نفس النصوص مرة ثالثة اعتماداً عليها ...

... وباستنطاق النصوص السابقة نجد الآتى ...

(أ) أن المسلوبات السابقة جميعها طُلِبتْ على سبيل الإعارة أى « السلف » ،

(ب) أن بنى إسرائيل كانوا ذوى مكانة قد تفوق كثيراً من المصريين ، وكانت لهم أملاك ... يؤجرونها للمصريين أصحاب مصر ...!

بدليل ... « تطلب كل امرأة من جارتها ومن نزيلة بيتها ... » ، وقد يُفْهَم ضمنا أن المقصود بها ... مجرد « ضيفة » قد حلت لدى امرأة من بنى إسرائيل ... ولكن ليس هذا هو المعنى الوحيد ... بل أنه بمراجعة النسخ الإنجليزية المختلفة للتوراة ... وجدنا ما يلى ...

... " ... To ask her neighbor and any woman living in her house ..."

وبما يعنى سلب أية امرأة مصرية تعيش معك فى بيتك ...! ... ألا يعنى ذلك أن أصحاب هذه البيوت من بنى اسرائيل ، كانوا أعلى مقاماً ممن يقبلون إقامتهم معهم فى بيوتهم ... من المصريين ...؟!

... وترى لأى سبب كان هؤلاء المصريون يقبلون العيش لدى بنى إسرائيل ...؟! ألا ترى معى ... لأداء أعمال معاونة لأصحاب هذه الديار من بنى إسرائيل ... نظير أجر مثلاً ...؟!

ولاحظ صراحة النص ... any woman living in her house وبمعنى أية مصرية تعيش فى بيت الإسرائيلية ...!

ويملأون الدنيا صراخاً أن المصريين اتخذوهم عبيداً ...!

(جـ) هل من طباع العلاقات والسلوكيات التى حكمت أزمنة وقرون السادة والعبيد ... أن العبد يذهب لسيده ليقترض منه جواهره وآنيته وتحفه الذهبية والفضية وأمتعته الخاصة المصنوعة من الذهب والفضة ... وغيرها ... وحتى الملابس ... كذلك أيُعقل أن تكون هذه علاقة عبيد بأسيادهم والذين يُلهبون ظهورهم بالسياط ، كما يزعمون ويُزوِّرون بها صفحات التاريخ ...

... ولاحظ ما ورد بالنص ... «حتى أعاروهم ، فسلبوا المصريين ..» . وفى الرواية الأخرى ... « فأعطوهم كل ما طلبوه ، فغنموا من المصريين ... » ... إن اليهود ... إنما يريدون قُرَّاء تاريخ مُغَفَّلين ... ليسيطروا على عقولهم بما يُزوِّرون ...

... فبدلاً من قولهم ... إننا كُنَّا نتمتع بحب المصريين ومودتهم ، وكانوا يعاملوننا كأهليهم ، وما بخلوا علينا بشئ ... وبدليل أنهم أعطونا ما طلبنا تماماً ... « فأعطوهم كل ما طلبوه » ... « كُلَّ ما طلبوه » ولم ينقصوا شيئاً ، ... وكأنما طلب بنى إسرائيل عند المصريين ما كان ليرفض ... فأعطوهم كل ما طلبوه على سبيل الإعارة ... « حتى أعاروهم » ...

بدلاً من هذا كله ... ولإخفاء جريمتهم ... زوّروا التاريخ مُوهمين الجميع أن شعب مصر أعطاهم ما أعطاهم بفعل أو بتدخل إلهى ...!

وكأنما سُحِرَ المصريون ... إذ فجأة ، وتصرفوا جميعاً من اللاوعى واللاإدراك ...!

لا يا سادة ... هؤلاء هم المصريون ... الذين سرقتموهم واحتلتم عليهم بجريمة نصب لا يفعلها سواكم ... لأنكم أعظم مَنْ يخون الأمانة ... ولا عهد لكم على مر التاريخ بأسره ...!

... إن لم يكن هذا سلوك المصريين معكم منذ وجودكم ... فقد كان من الممكن أن يقبل أحدهم ويرفض الآخر ... ولكن « فأعطوهم كل ما طلبوه » ... إذن وبلا أدنى شك لم يكن هذا بالسلوك الجديد أو المستغرب على المصريين حين طلبتم منهم ما طلبتم ... وبدليل أنهم قد « أعطوكم كل ما طلبتموه » ، ... ولم يتأخر واحد منهم ...!

... إذن فقد كنتم ذائبين فى مجتمع ودود معكم بكل مقاييس الودودية ... وبدليل أن طلبكم الذى احتلتم به على المصريين ... وكأنما هو إفراز طبيعى من ثنايا علاقة تسمح به تماما ... وبالتالى ... كانت لكم جيرة حميمة وصداقات كثيرة وعلاقات طيبة واسعة بشعب مصر ... وهو ما استثمرتموه تماماً في تكوين رؤوس أموال دولة بنى إسرائيل ... وحتى الآن ...!

وانظر إلى النصوص السابقة وراجعها جيداً ... تكتشف علاقات ذوبان اجتماعى غير عادى ... تمتع بها بنو إسرائيل فى صميم المجتمع المصرى آنذاك

... وبدليل أن النصوص لم تطالبهم بالسرقة ... ولأن السرقة تكون للحصول على مملوك لا يوافق مالكه على منحه للسارق ... ولكن لأن جودة العلاقات وودوديتها يسمحان بالحصول على المطلوب ، وبمجرد طلب بسيط وبوجه بشوش ... تم الأمر على هذا النحو ... وبمجرد الطلب وإظهار بشاشة الوجه ... ولم يحتج الأمر للسطو على منازل المصريين وأمكنتهم للحصول على ممتلكاتهم وجواهرهم وتحفهم وذهبهم وفضتهم وملابسهم ...!

... تصوروا معي هذا الموقف ... حتى الملابس طلبها بنو إسرائيل وما تأخر عن إجابة طلبهم أي مصرى ... أنها فعلاً لثمرة إنصهار إجتماعى دام ٤٣٠ سنة ...! ...

بالله عليكم ... أهذه علاقة أسياد بعبيد ... يمتصون دماءهم ويجوّعونهم ... ويلهبون ظهورهم بالسياط ...؟!

... ولئن كان الحكام ... خلال فترة ذوبان بنى إسرائيل فى المجتمع المصرى ... تسلطوا بشكل أو بآخر على بنى إسرائيل ... فلم يذكر التاريخ أنهم لم يتسلّطوا أيضاً على المصريين ...

... ولئن ضمّ بلاط الحكّام من المصريين مخصوصين ... فلقد ضمّ من بنى إسرائيل كذلك أخصّ المخصوصين ... وصلى الله على نبيه يوسف بن يعقوب ...!

... فلئن كانت سطوة الحكام نالت من بنى إسرائيل فى مصر ... فلقد نالت أيضاً من المصريين في وطنهم مصر ... وحين غزو مصر من قبل أى معتدين ... ما كان المعتدى ليميّز بين المصرى والإسرائيلى ... لأنه ما كان لديه أساس واحد للتفرقة أو للتمييز بينهما ... واقرأوا صفحات التاريخ غير المزوّرة ... وستعلموا الحقيقة ...!

... ولكن فعلّة بنى إسرائيل بشعب مصر ... إنما لتقفُ - والله - فى حلقى مريرة الطعم ... ولن يهدأ لشخصى الضعيف بالٌ ... حتى تستقر جميع الحقوق لأصحابها ...!

... وإنه لا يجب لبنى إسرائيل أن يعتقدوا للحظة واحدة ... أنهم بفضل الكتاب الذى أنزل على نبيهم موسى ... قد وُضعتْ على رأسهم ريشة ... وأخذوا بذلك حِلًّا للعربدة واستباحة كل ما هو غير إسرائيلى ...!

... فإن كانوا قد أرسل فيهم موسى ﷺ ... فقد سجدوا للعجل وهو يناجى ربه تعالى ... حيث ما كان لهم صبر على فراق الشرك والوثنية ... وإن اتهموا أهل مصر آنئذ بالوثنية والغفلة الدينية والإعتقادية ، فَهُم أهل العجل بلا أدنى مريَّة ... ولم يثبت أن المصريين ، قد أرسل الله لهم رسولاً نبياً بكتاب ... ككتاب موسى ... وأصرُّوا على الضلال الإعتقادىّ ... وحتى تكون لليهود عليهم ميزة ...!

لا شئ من هذا كله ...!

... وعودة ... لقطَّاعى الطرق ... الذين ما أثمر فيهم معروف ولا كرم ... عودة لخائنى العهود على مر كل الأزمنة والأحقاب ... ؛ وبمتابعة النصوص التوراتية الساطرة شهادة التاريخ الحقيقى عليهم ... نجد أنفسنا أمام المعطيات التالية ...

١- السالبون هم كل رجل وكل امرأة من بنى إسرائيل ...

٢- المسلوبون هم كل المصريين .. وطبقاً لتحديدات النصوص التوراتية فهم
٢ / أ الجيران ،

٢ / ب الأصحاب ،

٢ / جـ النزلاء من الضيوف ،

٢ / د النزلاء المقيمون ...

ولاحظ معى ... أن الجيران والأصحاب ... إنما يشملان ضمناً أصحاب المهن والتجَّار ... وغيرهم ...

... وبمعنى أنه يجب الأخذ فى الإعتبار ... أن السلب لابد وأن يشمل أيضاً ما هو خارج النصوص ... ولأن بنى إسرائيل لا تفوتهم مثل هذه الفرص البلاتينية ...!

أفئن كان الأمر ... إسلبوا كذا وكذا وكذا ... ألا تعتقد أنهم - طبقاً لما عرفنا عنهم منذ القديم - لن يكتفوا فقط بسلب كذا وكذا وكذا ... وسيجتهدون - كالمعتاد - ولأن الأمر متعلق بالسلب والنصب وخيانة الأمانة وهو تخصص قد برعوا فيه ... ألا تعتقد أنهم سيجتهدون فى ألف صنف آخر بخلاف كذا وكذا وكذا ...!! ولئن كان الأمر متعلقاً بسلب فلان وعلان ... أعتقدهم لن يفوّتوا فرصة الإجتهاد أيضاً فى توسيع الرقعة ... لتحتوى على جميع أصناف المسلوبين خارج حيزٍ فلان وعلان ... ولأن القناعة لا تعرف طريقها إليهم ...!

... إذن فهُم لابد وحتما قد خرجوا عن النص ... بل وعن كل النصوص ...!

... ولكن سنفترض - مع بخس الأشياء حقيقتها - أن التصنيفات السابقة للمسلوبين ... هم فقط كل من سُلبوا ...

ولننتقل الآن من المسلوبين وتصنيفهم ... إلى المسلوبات أو إلى مادة السلب ذاتها ...

٣- يمكن حصر بنود المسلوبات وكما حملتها لنا النصوص التوراتية فيما يلى ...

- أمتعة فضة ، - آنية فضة ، - أمتعة ذهب ،
- آنية ذهب ، - جواهر فضة .
- جواهر ذهب ، - ثياب .

... وبعبارة أخرى ... كل ما هو فضيّ ... وكل ما هو ذهبى ... إضافة للثياب ... ولاحظ أن الآنية بخلاف الأمتعة ... لأن الأخيرة تشمل العموم ، أما الأولى فتشير إلى خصوص ... وبالتالى فالأمتعة وإن شملت تفسيراً الآنية ، إلا أنها تفوقها لاحتوائها على بنود أخرى ... وبالتالى فإن بند الآنية إنما هو بند قائم بذاته ... لا يرفعه أو يلغيه إشارة نصوص التوراة إلى بند الأمتعة ، والذى يشمل بالتأكيد عدة بنود أخرى بخلاف بند الآنية ... ولأن الآنية صنف واحد فقط من صنوف الأمتعة ...

... إذن فقد كان هناك ترصُّد لبند الآنية ... وعموم اهتمام بسلب كل ما هو متاع من فضة أو من ذهب أيضاً ...

٤- كم بلغ عدد الخارجين من بنى إسرائيل ... طبقاً لنصوص التوراة بسفر الخروج ...؟!

... تروى لنا التوراة ذلك بقولها ... « ... فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سُكُّوت نحو ست مائة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد ، وصعد معهم لفيف كثير أيضاً مع غنم وبقر مواشٍ وافرة جداً ...» .

(خر ١٢ : ٣٧-٣٨)

وطبقا لرواية « كتاب الحياة » ...

... « ... وارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سُكُّوت ، فكانوا نحو ست مائة ألف من الرجال المشاة ما عدا ... النساء والأولاد ... وكذلك انضمّ إليهم حشد كبير من الناس ، مع غنم ومواشٍ وقطعان كثيرة ...» ...

(خر ١٢ : ٣٧-٣٨)

... لاحظ أن النصين قد قاما فقط بعدّ الرجال المشاة ... ولم يقوما بعدٍّ النساء ولا الأطفال ... وكما هو معروف ... كان عدد نساء بنى إسرائيل أكبر من عدد رجالهم حين الخروج ... وكإفراز منطقى لبيئة إجتماعية اضطهد حكامها - فى فترة معينة - المواليد الذكور ... كما تروى لنا صفحات التاريخ ... واستحيوا النساء ... أو أبقوا عليهن أحياء ...

... وكحد أدنى ... لنفترض أن عدد نساء بنى إسرائيل - حين الخروج - كان ضعف عدد الرجال ... والغالب أنه أكبر ...!

... إذن يكون العدد لدينا كالآتى ... ستمائة ألف رجل ومليون ومئتا ألف امرأة ... بخلاف الأطفال ...

... وبمراجعة النصوص مرة أخرى ... تجد أنه قد « **صعد معهم لفيف كثير أيضاً** » ... و « **إنضم إليهم حشد كبير من الناس** » ...

... أنه بالطبع ولطالما قد انضم إليهم هذا الحشد ... إذن فهم إسرائيليون ... ولكن خارج العدّ السابق ... ومجرد وصفهم ... بـ « صعد معهم لفيف كثير » ... أو انضم إليهم حشد كبير من الناس ... إنما يقودنا فوراً لمحاولة تفسير المقصود بالكثرة ... أو بالحشد الكبير من الناس ...!

... فأى رقم للخارجين فى هذا الموقف ... - أو الماشين فى هذا الموكب - ... إنما ستتم تقييم أية أرقام منضمّة إليه باعتباره هو رقم القياس ... أو رقم الأساس . وبمعنى أن النص التوراتى ... حين يذكر أن الحشد المنضم ... إلى السابق عدهم - ومن معهم - كثير ... إذن فلابد ... وأنهم كثير بالنسبة لأصحاب الموكب الأصلى ... وربما يشير إلى كونهم كنسبة رقمية ... لا يقلون عن نصفهم ولا يزيدون عن إجماليهم ... أى أكثر من ٥٠٪ من الموكب السائر وأقل من ١٠٠٪ ... وكمتوسط تقريبى فَهُم ٧٥٪ من إجمالى الموكب ...!

{ ... (٥٠٪ + ١٠٠٪) ÷ ٢ ... }

إذن يمكن حصر العدد التقريبى لبنى إسرائيل الخارجين من مصر بخلاف الأطفال فيما يلى :

- ٦٠٠ الف رجل ،
- ٢ر١ مليون امرأة ،
- مليون وثلاثمائة وخمسون ألف منضم للموكب ....،

(٦٠٠ ألف + ٢ر١ مليون) × ٧٥و

وبجمع ما سبق ...

(٦٠٠ر٠٠٠ رجل + ٢٠٠ر٠٠٠ر١ امرأة + ٣٥٠ر٠٠٠ر١ منضمّ)

إذن فقد كان قوام ركب المسيرة ... ثلاثة ملايين ومائة وخمسين ألفاً من بنى إسرائيل بخلاف الأطفال ... (١٥٠ر٠٠٠ر٣ إسرائيلى) ... ولاحظ أن رقم المنضمين ... لم يُشر أى سطر بأى نص توراتى إلى احتوائه على الأطفال حتى نستبعدهم كرقم ...

... وبما يعنى أن رقم السالبين ... الذين نفذوا خطة سرقة وسلب المصريين هم وكحد أدنى هذا الرقم (١٥٠ر٠٠٠ر٣ من بنى إسرائيل) ... أضفْ إلى ذلك ... أنه لا تفوت بنى إسرائيل فرصة الزج بأبنائهم أيضاً لسلب أقرانهم ... من الأصحاب والجيران ... الخ ...

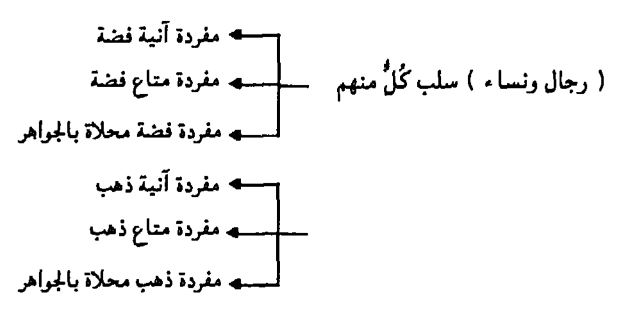
وتذكر ... أن قائمة المسلوبات إنما شملت سبعة بنود ، وأن القائمين بالسلب ثلاثة ملايين ومائة وخمسون ألفاً من بنى إسرائيل ، ولاحظ أن قائمة المسلوبات إنما اشتملت على ثلاثة بنود فضة وثلاثة بنود ذهباً وبند ملابس ...

والبنود الثلاثة الفضة ... هى الآنية ، الأمتعة ، المجوهرات ... وكذلك ثلاثة البنود الذهب ...

وبافتراض أبخس التقديرات ... وهو قيام كل رجل أو امرأة من بنى إسرائيل بسلب مفردة واحدة من كل بند من بنود الذهب ، وكذلك مفردة واحدة من كل بند من بنود الفضة ... وملبس واحد ، ودونما التفات لاجتهادهم المؤكد فى توسيع دائرة نوع البنود المسلوبة ...!

نكون أمام النتيجة الرقمية - المتواضعة - التالية ...

٣٫١٥٠٫٠٠٠ من بنى إسرائيل



وبافتراض ساذج وهو ... أن زنة مفردة آنية الفضة أو الذهب ١٠٠ جرام ... وأن زنة مفردة حلى الذهب أو الفضة المحلاة بالجواهر هو فقط عشرون جراماً ... مع إهمال الجواهر ذاتها ... فإن كل إسرائيلى بذلك يكون قد سلب المصريين ما يوازى ٢٢٠ جراماً فضة و ٢٢٠ جراماً ذهباً وملبساً واحداً .

وبمراجعة شخوص المسلوبين كما حددتهم النصوص ... ودون إجهاد أنفسنا فى اجتهادهم المؤكد فى توسيع دائرة ورقعة مَنْ يشملهم السلب عدداً ونوعاً ... نجدهم أربعة صنوف .

وبافتراض متواضع ... وهو أن كل إسرائيلى - رجل أو امرأة فقط - قام بسلب اثنين من المصريين ... تكون - إذن - حصيلة كل إسرائيلى ٤٤٠ جراماً فضة ، ٤٤٠ جراماً ذهباً ، ملبسين ...

ولو لاحظت ذكر الأغنام وقطعان المواشى ... والتى أشارت إليها النصوص ... بأنها وافرة جداً ... وخاصة أنها لم تكن مع الركب السائر من قبل ...!

وبمنتهى البساطة ... لأنها مسروقة أيضاً من المصريين ... وطبقاً لخطة بنى إسرائيل ... فلم يكن مقبولاً للعقل أو المنطق أن يطلبوا من المصريين أن يُعيروهم الأغنام وقطعان المواشى ...!!!!!!!

... ولذلك ... فما استطاعوا استعارته - لقبول العقل لمنطقه - قد استعاروه بالفعل ... أما ما لم يكن فى الإمكان أخذه بالحيلة فقد أخذوه سرقةً ... وبدليل ... تصميمهم لخطة سرقة المواشى ... والتى قام بها فريق منهم ... وبعد إتمامهم للسرقة انضموا للركب بما سرقوه ...!

... ولذلك ... وحين مطاردة المصريين لبنى إسرائيل أثناء خروجهم ... وجبت هنا حتمية التفرقة بين فرعون الحاكم وجنوده ... وبين جموع الشعب المصرى المنكوب فيمن وثق بهم ...

ولقد كانت آية عبور بنى إسرائيل البحر ... هى آية عظمى لفرعون المتألّه وجنده ... وليس لشعب مصر ... لذا وجب التنويه ...

فقد كان شعب مصر يطارد اللصوص الذين سلبوه ... وكحد أدنى ١٣٨٦ طنا من الذهب(١) ... ومثلها من الفضة ...

ستة ملايين وثلاثمائة ألف ملبس ، بخلاف الجواهر والنحاس والرخام والذين اشتهر بهم المصريون آنذاك ... وأيضاً بخلاف الأغنام والمواشى ... وكل ما سلبه الأطفال أيضاً وكمثل ذويهم ... وبإيعاز منهم ... لزيادة رقم الغنيمة ...!

---

(١) كناتج للعملية الحسابية التالية :

(٤٤٠ جراماً من الذهب × ٣٫١٥٠٫٠٠٠ سالب) ÷ (١٫٠٠٠٫٠٠٠ (للتحويل إلى الطن)) = ١٣٨٦ طناً من الذهب وكذلك مثلها من الفضة ..

أما حسابات الملابس (٣٫١٥٠٫٠٠٠ × ٢) = ٦٫٣٠٠٫٠٠٠ ملبساً ...

... وقد كان هذا الحدث ... وعلى وجه التقريب .. منذ قرابة ٣٥٠٠ سنة ، وبافتراض زيادة التراكم الرأسمالى بمتوسط سنوى أقل من زهيد .. وبمعدل ١٠٪ ، ... وبافتراض أنه تراكم بسيط وليس تراكماً مركباً معقداً ... تكون جملة الزيادة التراكمية الرأسمالية خلال هذه الفترة ...

١٣٨٦ طناً × ٣٥٠٠ سنة ×	١٠ / ١٠٠	زيادة سنوية من رأس المال ثابتة من أصل المبلغ لا تزيد ..!!	= ٤٨٥١٠٠ر٠٠ طناً

وبإضافتها لأصل الوزن الذهبى أو الفضى (لِتَسَاوِى رقمى الوزن كما ذهبنا) .

∴ الأصل ← (١٣٨٦) طناً + الزيادة (٤٨٥١٠٠) طناً = (٤٨٦ر٤٨٦) طناً

أى أن أبسط بل وأبخس رقم يمكننا المطالبة الساذجة به ...

هو ٤٨٦٤٨٦ طناً ذهباً ... و٤٨٦٤٨٦ طناً فضةً ...

وبخلاف كل ما سبق ... كما ذكرنا ...

وبافتراض سعر اعتباطى ساذج لطن الذهب = ٨ مليون $ دولاراً ... أتدرى كم يكون قيمة مستحقات ذهبنا لدى اليهود ، وطبقاً لجميع حساباتنا وافتراضاتنا الساذجة ...؟!

قيمة الذهب = ٠٠٠ر٠٠٠ر٨٨٨ر٨٩١ر٣ دولاراً

أتدرى كيف يقرأ هذا الرقم ...؟!

إنه ... ثلاثة تريليون ، ثمانمائة وواحد وتسعون ملياراً ، وثمانمائة وثمانية وثمانون مليون دولار ...!!!

مع ملاحظة أن التريليون = ١٠٠٠ مليار .

والمليار = ١٠٠٠ مليون .

والمليون = ١٠٠٠ ألف .

وبافتراض سعر طن فضة وهمي - غير موجود أساساً - يساوى ٢٥٠ ألف دولاراً ... تكون قيمة الفضة فى أكثر الصور سذاجة =

٠٠٠ر٥٠٠ر٦٢١ر١٢١ دولار

ويجمع بندى الذهب والفضة فقط ... وطبقاً لكل الأساسيات الحسابية البسيطة والساذجة التى اعتمدنا عليها ... وبإهمال - مؤقت - لبنود النحاس والرخام والجواهر والملابس وقطعان الغنم والمواشى « الوافرة جداً » ... والتى سُلِبتْ ضمن كل ما سُلب ... نجد أن قيمة بندى الذهب والفضة - فقط - إنما يساويان ... **(٠٠٠ر٥٠٠ر٥٠٩ر٠١٣ر٤ دولار)**

أى أربعة تريليون ، وثلاثة عشر ملياراً ، وخمسمائة وتسعة ملايين ، وخمسمائة ألف دولار ...!

ويمكن قراءة الرقم بشكل آخر ... أربعة آلاف وثلاثة عشر ملياراً وخمسمائة وتسعة ملايين وخمسمائة ألف دولار ...!

... هذا ما فعله المشرَّدون - فى الكرة الأرضية - وبعدما آوتهم مصر ... خانوا مصر وأهلها ... وسرقوا ما استطاعوا ... وجَمَّلُوا الصورة برتوش ... « قال الرب لموسى » ...

... هذا هو إجمالى مصادر رأس المال اليهودى كله ... والذى استثمروه طيلة ٣٥٠٠ سنة ... ومازالوا يرتعون فيه حتى الآن ، ويُسمِّمون علينا وعلى كل العرب والمسلمين حياتهم به ... بأموالنا نحن المصريين ...!

... يا بنى إسرائيل ... ويا كل اليهود ...

... أفيقوا من استبلاهكم واستهبالكم ... واخفضوا من صوت نفيركم العالى ، والذى أجدتم استخدامه طويلاً ... لأنه ما عاد يُجدى ...

فقد ... جاء وقت الحساب ... ولا محالة ...

... وأنتم وما تملكون مِلْكٌ لنا ... ولأنكم وحين إتمام كافة الحسابات الحقيقية ومع قبول شهادة توراتكم ... فأنتم مدينون لنا بكل شئ نحن المصريين . ولأنكم لن تستطيعوا دفع ديونكم لأصحابها المصريين ... وبحكم أى عاقل ، فليس أمامنا سوى الحجز عليكم والتحفظ على كل ما يخصكم مهما كان وأين كان ... ولأن الأرض ليست أرضكم ... فليس من منطق تسوية تلك الحسابات قضية الأرض المسروقة ... ولكن لها وقت كما تعلمون وسوف ترون إن شاء الله ...

... إذن ولأن الأرض ليست أرضكم ... فلن تدخل فى تسوية الحسابات ... ولكن ... ولأنكم ستعجزون عن الدفع ... سواء النقدى أو العينى ... أعتقد أنه من الملائم أن تعدوا أنفسكم إعداداً نفسياً ملائماً ، بخصوص احتمال عجزكم عن الوفاء بما عليكم ... وهو احتمال قائم ...

ولذلك أنصحكم بتقييم مواردكم وأصولكم البشرية ... من النساء والأطفال والرجال ، مع وضع معايير ضبط لذلك الأمر ... فلا تُقيّموا العجائز وذوى العاهات أو غير الماهرين من الرجال ... الخ ... ثم قوموا برسملة - أى التحويل الرأسمالى لـ - هذه الأصول البشرية ... طبقاً للمعايير المعقولة والمقبولة ... ولتعويض النقص فى السداد النقدى والعينى ... حين إتمام كافة التسويات ... وبمعنى أننا سنقبل حين إتمام كافة إجراءات ومراحل استرداد حقوقنا ... حصولنا على كافة حقوقنا فى الشكل النقدى

الســائل و/أو فى الشكل العينى ... وكــذلك فـى الشــكل البشرى ... ومن أفـضــل وأجــود مـا لديــكم ...! ... ولتـعـويــض عـجــزكم المتـوقــع فى الســداد ...!

... مع حتمية تقديم اعتذار رسمي لمصر وحكومتها وشعبها ... وبكل لغات العالم عن كل ما كان منكم ...

... ولا تعتبروا الأمر مجرد هذيان مُفكِّر أو كاتب ... إنما هو واللهِ حق ...

وإن شاء الله - والله المستعان - جارى إتخاذ كل لازمٍ لإتمام ذلك ... ولسوف تعلمون ...

أما عن قضية الأرض المسروقة ...

فهذا موضوع آخر ...!

....

....



(٨) موجز رحلة الأرقام وفك شفرة الكتب المقدسة ...!

.. لقد كان من بعض أهم[١] ما شهدته إصدارتنا السابقة من سلسلة رسائل آخر الزمان ... فيما يتعلق بالتحليلات المختلفة ، لاستجلاء مواقيت أهم أحداث الزمان الأخير ... - إضافةً لكل ما تضمنته أيضاً وانطوت عليه هذه الإصدارات - إعتماداً على القرآن العظيم وسنة النبى محمد ﷺ ، وكذلك صحيح نبوءات الوحى القديم ...... - والله تعالى أعلم وأحكم - ...

١- تحديد سنة نزول المسيح ﷺ بسنة ١٤٤٤ هـ أو ما يقابلها ٢٠٢٣ م ... طبقاً لآخر تعديلات تحليلية ولمختلف الأطر المرجعية التى تم الإستناد إليها ... فى الطبعة الثالثة من إصدارنا الأول ...

سنة نزول المسيح

و

سنتا ظهور المهدى والمسيح الدجال

والزمن الباقى من عمر أمة الإسلام

وقد أكَّد هذا أيضاً ما ورد بإصدارنا الثانى ....

سنة دخول القدس

و

سقوط دولة قاتلى النبيين والمرسلين

ومُهينى العذراء مريم وسيد الأولين والآخرين

من حسابات قرآنية ... ومما فُكَّت شفرته - بفضل الله - من نبوءات ونصوص العهدين القديم والجديد للكتاب المقدس ...

ومما لا شك فيه ... أن جميع تلك التحليلات والحسابات إنما شهدت التقريب الحسابى المتمثل فى جبر أو إهمال كسور ... وبما قد تكرَّر فى أكثر من خطوة حسابية ... وبما يعنى تأثر الرقم النهائى بأكثر من عملية تقريب خلال خطوات استخراجه ...

(١) فقط ... بعض أهم ...!

.. ولعـلـه بالرغـم من ذلك أيضاً وبفضل من الله تعالى أولاً وأخيراً ... يمكننا القـول ... أننا ما وقعنا فى غـياهب الأخـطاء والسقـطات الحسابية ... ولعلنا الآن وباستـنطاق دليل قـرآنى جديد ... فى مسـألة تاريخ نزول المسيح ﷺ سنكتـشف أن الأمر ما كـان بعيـداً عن منطق الصحـة ... والله تعالى أعلم ...

... وكـما هو معـروف فى علم الحرف ، وطبـقـاً للحسابات بمنطق الجمل الصغيرة ... فإن حروف الأبجدية العربية ... إنما يقابلها ميزان عددى ... على النحو التالى ...

أ = ١	ب = ٢	ج = ٣	د = ٤
هـ = ٥	و = ٦	ز = ٧	ح = ٨
ط = ٩	ى = ١٠	ك = ٢٠	ل = ٣٠
م = ٤٠	ن = ٥٠	س = ٦٠	ع = ٧٠
ف = ٨٠	ص = ٩٠	ق = ١٠٠	ر = ٢٠٠
ش = ٣٠٠	ت = ٤٠٠	ث = ٥٠٠	خ = ٦٠٠
ذ = ٧٠٠	ض = ٨٠٠	ظ = ٩٠٠	غ = ١٠٠٠

وبالتـالى وعند الرغبـة فى حسـاب أية جملة ... فـإنما يتم التـعـويض عن حروفـها بمقابلاتها الرقـمية ... وجمع هذه المفردات الرقـميـة لاستـخراج الناتج النهائى ...

ومن الآيات القرآنية المصرِّحة ضمنياً بنزول المسيح ﷺ ...

الآية ١٥٩ من سورة النساء ......

... « وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَـٰبِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ به قبل موته ... »

و = ٦ أ = ١ ن = ٥٠ م = ٤٠ ن = ٥٠ أ = ١

هـ = ٥ ل = ٣٠ ا = ١ ل = ٣٠ ك = ٢٠ ت = ٤٠٠

ب = ٢ ا = ١ ل = ٣٠ ا = ١ ل = ٣٠ ى = ١٠

و = ٦ م = ٤٠ ن = ٥٠ ن = ٥٠ ب = ٢ هـ = ٥

ق = ١٠٠ ب = ٢ ل = ٣٠ م = ٤٠ و = ٦ ت = ٤٠٠

وبجمع كافة المقابلات الرقمية للحروف نجدها تساوى **١٤٤٤** .

وهو نفس ما توصلنا إليه بفضل الله تعالى فى جميع حساباتنا بإصداراتنا السابقة[١] .

مع ملاحظة ... أننا قد التزمنا بالرسم العثمانى لكلمات الآية ... والذى لم يُظهر لنا تأثيراً ما ... سوى فى كلمة « الكِتَـٰب. » ... وحيث أن الحساب بمنطق رسمها ... إنما يختزل حرف ألف ... وهو ما يقابله فى علم الحرف الرقم(١) ... وبمعنى أننا لو لم نلتزم أثناء الحسابات برسم المصحف - كما هو-

(١) للوقوف على الأمور بتفصيلها يمكنك مراجعة تلك الإصدارات ...

واستخدمنا الرسم المعتاد حين التعامل مع كلمة « الكِتَٰب » ... لظهرت لنا بالشكل التالى ... « الكتاب » ... ولحصلنا على حرف إضافى ... ولصار الناتج الحسابى ...

(١٤٤٤ + ١ = ١٤٤٥)

وبافتراض ذلك أيضاً ... لا يكون الأمر قد قادنا لأحد الجزر المهجورة ... وإن كان المنطق الأول المبنى على إتمام الحسابات بالميزان الرقمى على أساس الرسم العثمانى ... هو الأصح والأصوب ...

وبمعنى ... ضرورة إتمام حسابات الجمل لأية آيات قرآنية ، بمراعاة التعويض عن الحروف طبقاً لرسمها فى المصحف تماماً ...

... ولكن حين إتمام مجرد عَدّ الحروف .. ودون التعويض عن مقابلاتها الرقمية ... فلا حاجة للإلتزام بالرسم - هنا - ويتم عدّ الحرف غير الظاهر فى رسم الكلمة بالمصحف ...

... وعلى سبيل المثال ... كلمة « الكتاب » والتى كُنا نناقشها منذ قليل ... لو أردنا مجرد عد لحروفها ... فهى ستة أحرف .

أ ل ك ت أ ب

١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦

فهذا مجرد عد ... وليس إعطاء مساويات بالموازين الرقمية أو المقابلات العددية ...

مع ملاحظة أننا حين أهملنا همزة « ليؤمننّ » ... حين إتمام الحسابات ... لم يكن ذلك على سبيل السهو ، بل كان مُتَعمَّداً ... ولأن الهمزة ليست حرفاً ... ولا مقابل لها فى علم الحرف ... وبالتالى تم إسقاطها عند التعويض ...

... وعودة لسابق حديثنا مرة أخرى ... وكما أوضحنا فى إصدارتنا السابقة ، ... فإن توقيت نزول المسيح ﷺ .. إنما يمثل نقطة الإرتكاز ، والتى تدور حولها من قبل ومن بعد باقى الأحداث ...

٢- كان - أيضاً - من أهم ما ارتبط بتوقيت نزول المسيح ﷺ .. هو خروج الدجّال .. قبّح الله وجهه ... نظراً لإمكانية استنتاج تاريخ خروجه ارتباطاً بتاريخ نزول المسيح ﷺ ... وحيث أن نزول المسيح هو نهاية ومصرع الدجّال ...

.. وكأنما لكى نتعرف على تاريخ خروجه .. نبدأ بالعد العكسى - والمتناقص - من تاريخ نهايته ، والذى هو تاريخ نزول المسيح ﷺ .. بمدة ٤٠ يوماً[١] ... وعند توقُف العدّ يكون تاريخ خروجه ...

٣- أما عن توقيت ظهور « المهدى » ﷺ ... - وكما سبق نقاشه تفصيلاً بكتاب سنه نزول المسيح فى طبعته الثالثة - فقد أجمعت مختلف الأحاديث النبوية التى تناولته من مختلف النواحى ... على أنه قائد المسلمين قبل المسيح ... وأنه يُسلمه زمام القيادة بعد نزوله ...

وكنا قد أشرنا إلى قوة عدة روايات لصحيح حديث الرسول ﷺ والتى أبانت لنا فترة حكمه ... والتى قد أشارت لسبع سنوات ... وبالتالى ... وبنهايتها
يكون توقيت المسيح ﷺ .. وتكون بدايتها بالرجوع سبع سنوات إلى ما قبل سنة ١٤٤٤ هـ .

ولعله مما يثير الدهشة حقاً ... هو توافر عدد من الأحاديث القوية ، والروايات المتواترة ، والتى تحُدِّد عدداً من المُدد الزمنية المختلفة ... وباعتبار أن كُلاً منها ، فترة حكم المهدى أو عصره بوجه عام ...

---

(١) راجع ذلك تفصيلاً فى الإصدار الأول « سنة نزول المسيح » .. بطبعته الثالثة .

.. فهناك روايات عن « سبع سنوات .. » وثانية عن « سبع أو تسع » ، .. وثالثة عن « ثلاثين .. » ورابعة عن « إحدى وعشرين أو اثنتين وعشرين .. » .. ولعلها أيضاً من أقوى الروايات ....!!!

.. وقد أورد مثل هذا السيوطى فى العرف الوردى .. وقد أدلى - أيضاً - الأئمة الأفاضل بآرائهم فى هذا الخصوص .. وحاولوا الجمع بين هذه المدد باعتبارات مرجعية منطقية عديدة ...

.. ودونما الدخول فى هذا الخضم الهائل من الإجتهادات والآراء ... فإنى أرى أن ما أشار إليه الرسول ﷺ من أمور بخصوص المهدى ... مثل .. أنه يُهادن الروم لمدة تسع سنوات ... إنما تجعل فترة المهدى محتاجة إلى بحبوحة من الوقت ....!

.. ولعل رواية السنوات السبع ... مجرد إشارة إلى أقصى نضوج لحكم المهدى وبلوغة أوج السلطان والتمكّن ... وليس كامل فترته ...

.. وإن كان ذلك يخالف النتيجة التى توصلنا إليها فى إصدارنا الأول فى ذات الخصوص ... إلا أن لكل رأىٍ واجتهاد أساسه وأطره المرجعية التى تحكمه ... والله تعالى أعلم وأحكمُ ...

.. ولعلنا بذلك نفسح المجال لاستقبال المهدى ﷺ ، فى تاريخ مبكرٌ عما كُنَّا قد حددناه من قبل ...

.. وأود لفت النظر - فى هذا المقام - إلى أن المهدى ﷺ ليس « المفاجئ » النازل من السماء كالمسيح ﷺ ، بل هو منّا .. وبيننا ...

.. ولأن الله تعالى قد عوّدنا دائماً على التمهيد فى كل شىء ... حيث أنه لا انتقال - مثلاً - من الشتاء إلى الصيف بدون ربيع ... ولا من الصيف إلى الشتاء بدون خريف ... كذلك كان المهدى ﷺ تمهيداً للمسيح ﷺ ...

... ولذلك ... وهو ما أعتقد فيه تماماً ... فالمهدى ﷺ إنما هو عصر كامل آتٍ ... بدايته تمهيد بممهِّدين له .. وخاتمته المهدى بنفسه ... وحتى يلتقى بالمسيح ...

.. ولعل ذلك فعلاً ... هو مفتاح لغز تفاوت وتعدد الأزمنة المختلفة ... والتى تحملها روايات قوية بخصوص المهدى ...

.. فالمهدى كعصر ... إنما سيبدأ إن شاء الله قبل نهاية قرننا الحالى - العشرين - ولو بشهور أو بأيام ... ونهايته - كعصر - هى بداية المسيح ... !!!!

والله تعالى أعلم وأحكم ...

٤- أما عن سقوط دولة إسرائيل المعاصرة والأخيرة إن شاء الله ... فكما أشارت كافة الحسابات والإحصاءات القرآنية وكذلك ما تم فك شفرته الرقمية من نبوءات العهدين القديم والجديد[١] ... قد تحدَّد ذلك - والله تعالى أعلم وأحكم - سنة **١٤٤٣** هـ أو ما يقابلها بالتقويم الميلادى **٢٠٢٢م** ...

وبما يعنى امتداد عمر دولة بنى إسرائيل الأخيرة لمساحة زمنية مقدارها **٧٦** سنة قمرية أو **٧٤** سنة ميلادية ، منذ تاريخ ميلادها المشئوم سنة ١٣٦٧ هـ ١٩٤٨ م ... والذى هو بمثابة نقطة ارتكاز حسابية هامة ... عند إتمام الكثير من الإحصاءات والحسابات ... وباعتبارها سنة الأساس ... وسنعود إليها بعد قليل - إن شاء الله - على الصفحات القليلة القادمة ...

---

(١) راجع ذلك تفصيلاً فى إصدارنا الثانى « **سنة دخول القدس** » ...

.. هذا وكما أنبأنا ﷺ أن الدجال إنما يخرج لغضبة يغضبها ... لذلك لا أجد للّعين قبحٌ الله وجهه واسمه وفعله ... ما يُغْضِبُه غضبته الكبرى ، والتى تُخرجه من حيث هو الآن ... أكبر من سقوط يده النجِسة وتَحَطُّمِها ، تحت أقدام فاتحى القدس ومُحرِّرى الأقصى ...

.. ولذلك فإن بُعْدَىَ تحديد تاريخ خروجه ، إنما يتحدَّدان بدايةً ... بسقوط دولة إسرائيل ، ونهايةً بنزول المسيح ﷺ ... وتكون الفترة الزمنية الواقعة بينهما هى مساحة أداءاته الزمنية ... والله تعالى أعلم ...

٥- سقوط نتنياهو وحكومته قبل موعدهم ... !

... فلقد كان مما حملته سطور مؤلَّفنا .. « سنة دخول القدس » ... - والصادر سنة ١٩٩٧ ... واستناداً لما تم فكه من شفرة الوحى القديم - ... حسابات سقوط نتنياهو قبل موعده بصيغ تأكيدية حازمة جازمة ... ولقد سقط بالفعل قبل موعده ولم يكمل فترته ... وعلى سبيل المثال .. فقد ورد بصفحة ١٦٤ من هذا المؤلَّف ... وبالحرف الواحد ...

> .. وإن كانت - إن شاء الله - نهاية اليهود بدخول المسلمين عليهم سنة ٢٠٢٢ م ، وهى نهاية دولة اليهود للأبد ... فأيضاً لـ « نتن يا هو » نهاية ...!
>
> ... فهو قد تقلَّد منصبه فى نهاية مايو ١٩٩٦ .. ومفترض أن يقضى فيه أربع سنوات ... لكنه لن يقضيها أبداً إن شاء الله ... هكذا جاء بنبوءات الوحى القديم ...

... وكمثال آخر أيضاً ... مما جاء بنفس المؤلَّف ... وفى ذات الخصوص وفى صفحة ١٧٦ ...

أمـا أنت يا « أشـقـاها » .. هكذا أنت فى الوحى القـديم مكتـوب ... مكتـوب أن الـ « نتن » يا هو لا يُكمِل ما بدأ ... ولا يُكْمِل الزمن ... ستخرج بيد الله قبل الزمن ... قبل موعدك المعروف ...



اللهم لا شماتة
النتائج النهائية للانتخابات الإسرائيلية تؤكد الهزيمة الساحقة لتيار التطرف
باراك يحصل على ٥٦٫١ في المائة من الأصوات مقابل ٤٣٫٨ لنتنياهو
باراك..
السلام
تصريحات ما
القدس
اللهم لا شماتة!
يتم التوصل إليه من اتفاقات!
خارجية مصر: الجو العام كان مسمما ومستعدون للتعاون على تغيير المناخ
النقابة العامة للعاملين بالمناجم والمحاجر



الأهرام

إبراهيم نافع

فوز ساحق لباراك بمنصب رئيس وزراء إسرائيل ونيتانياهو يستقيل من زعامة الليكود

رئيس الوزراء المهزوم يعترف باكيا بهزيمته ويهنئ منافسه

النتائج شبه الرسمية لفرز الأصوات:

٥٨،٥٪ لزعيم حزب العمل و٤١،٥٪ لزعيم الليكود

خسارة كبيرة لأحزاب اليمين في الكنيست ومكاسب جديدة للعمل

مقاعد الليكود تنخفض من ٣٢ إلى ١٨ ومقاعد العمل تزيد إلى ٢٢

سقط نتانياهو ... اللهم لا شماتة!

«باراك» يحصم ... بوصوله إلى السلطة!

- القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل ... حدود ١٩٦٧
- رفض إنشاء جيش فلسطيني في ...
- فرض ... الإسرائيلية على المستوى ...

...يكود في الكنيست الجديد

...اجأة بحصوله على ١٧ مقعدا

القاهرة ترحب بالتعاون مع «باراك» لإنقاذ السلام

الوفد



«باراك» يحطم آمال المتفائلين بوصوله إلى السلطة!

• القدس عاصمة أبدية وموحدة لإسرائيل وعدم العودة إلى حدود ١٩٦٧

• رفض إنشاء جيش فلسطيني في الضفة الغربية

• السيادة الإسرائيلية على المستوطنات اليهودية

سقط نتانياهو... اللهم لا شماتة!

انخفاض عدد مقاعد الليكود في الكنيست الجديد

حزب شاس المتطرف ... حصوله على ١٧ مقعدا

الوفد

باراك.. يفهم الحقيقة التي ... هو:

السلام.. يحقق الأمن.. وليس العكس

تصريحات مابعد الفوز: لن نشن حروب أخرى.. ولكن:

القدس.. عاصمة إسرائيل.. والمستوطنات باقية!!

... حول كل ما يتم التوصل إليه من اتفاقات!

وزير خارجية مصر: الجو الملائم ... وسنتعاون ... على تغيير المناخ

النقابة العامة للعاملين بالمناجم والمحاجر

سقط نتانياهو... اللهم لا شماتة!

... بل وتجد منتهى الوقاحة من الحكومة الإسرائيلية بقيادة الـ « نتن » في مطالبة مصر ورئيسها بالإفراج عن الجاسوس اليهودي المحكوم عليه ....!

إن « أشقاها » الـ " نتن ياهو " .... هو قائد الصعود اليهودي الأخير استعداداً للاستقرار في الجحيم طبقاً لوعد الآخرة ..

وكما كان « أشقاها » بقوم ثمود .. هو قائد انتحارهم الجماعي بذبح الناقة . فكذلك « أشقاها » أو " نتن ياهو " اليهود المعاصرين ...

وإن كانت - إن شاء الله - نهاية اليهود بدخول المسلمين عليهم سنة ٢٠٢٢ م هي نهاية دولة اليهود للأبد .. فأيضاً للـ " نتن ياهو " نهاية ...!

فهو قد تقلد منصبه في نهاية مايو ١٩٩٦ ، ومفترض أن يقضي فيه أربع سنوات ... لكنه لن يقضيها أبداً إن شاء الله ... هكذا جاء بنبوءات الوحي القديم * ...

كان هذا بخصوص رقم الـ « ١٩ » والمرتبط بوعد الآخرة ... طبقاً للإحصاء الحرفي العددي القرآني ... وتماماً مع التاريخ الهجري لسنة الإحتلال كسنة أساس حسابي ... وقد كان هذا هو الشق الإحصائي الأول ...

---

* [illegible] ... "[illegible]" وبدء أحداث اليوم الأخير

١٦٤

قراءة لبعض أحداث اليوم الأخير - ٢٠

أما أنتَ يا « أشقاها » .. هكذا أنت في الوحي القديم مكتوب ... مكتوب أن الـ « نتن » ياهو لا يكمل ما بدأ ... ولا يكمل الزمن ... ستخرج بيد الله ... قبل الزمن ... قبل موعدك المعروف ... مكتوب أنك جئتَ ليبلغ الفساد ذروته ... وليقف القرود عبدة الطاغوت ... فوق جبل « نتن اليهود » ... وقفة ما قبل السقوط ... والكل رأسه مكان قدميه ... جزاء كل شيء بما فيه الذبحة الأخيرة ....!

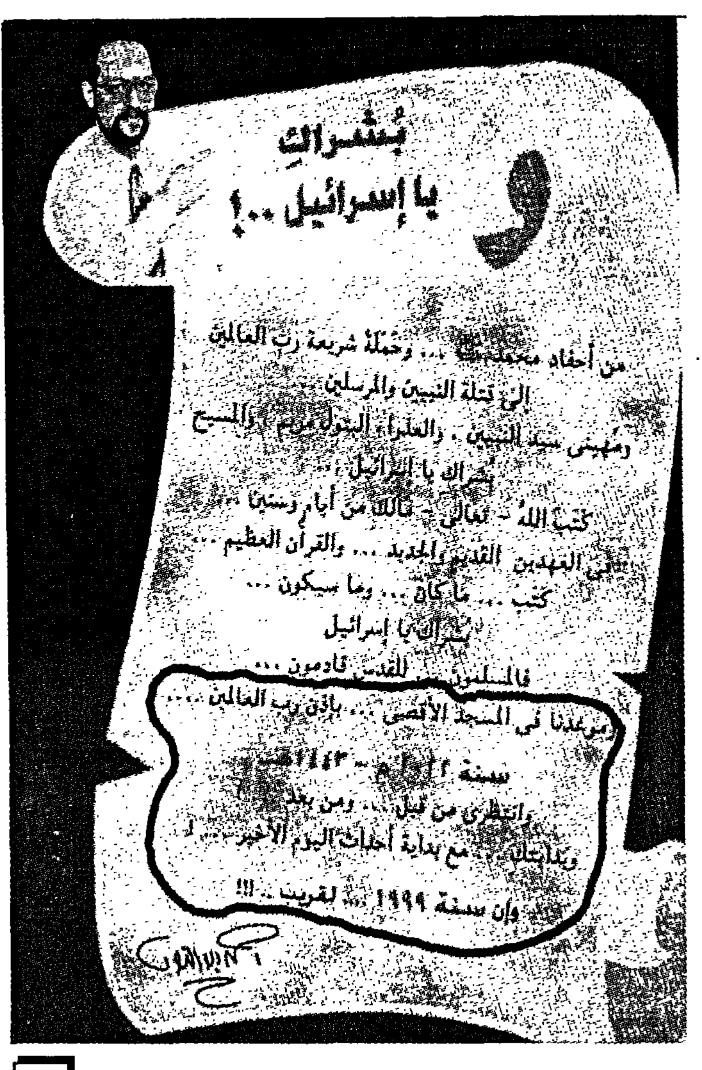
... قد كنت تجري وراء جثة ليهودي في لبنان ....

... قل لي ... ماذا ستفعل في الآلاف والآلاف من الجثث المتعفنة ....؟!

... ادفنها إن استطعت .. إن لم تكن منها ....!

١٧٦

رقم الإيداع بدار الكتب
١٤٤٨١ / ١٩٩٧
I. S. B. N
977 - 19 - 4698 - 6

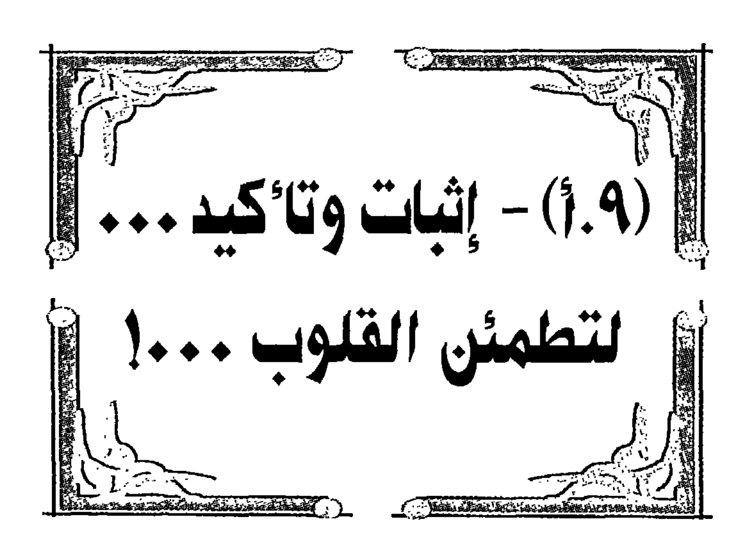


بُشراكِ
يا إسرائيل ..!

من أحفاد محمد ﷺ ... وحملة شريعة رب العالمين
إلى قتلة النبيين والمرسلين ..
ومهيني سيد النبيين، والعذراء البتول مريم، والمسيح
بشراك يا إسرائيل ..
كتب الله - تعالى - مآلك من أيام رسلنا ..
في العهدين القديم والجديد ... والقرآن العظيم ...
كتب ... ما كان ... وما سيكون ...
بشراك يا إسرائيل
فالمسلمون ... للقدس قادمون ...
موعدنا في المسجد الأقصى ... بإذن رب العالمين ...
سنة [illegible]
انتظري من قبل ... ومن بعد
وبدايتك ... مع بداية أحداث اليوم الآخر ..
وإن سنة ١٩٩٩ ... لقريب ..!!



(٩) البطشة الكبرى
وبداية أحداث اليوم الأخير ..!



(٩.أ) - إثبات وتأكيد ...

لتطمئن القلوب ...!

....

... سألنى كثير ممن قابلونى ... هل .. هناك أية إشارة - من أى نوع - إلى أن ما تستخرجه وتستنتجه حسابياً وإحصائياً ... من الوحى القديم والقرآن العظيم ومن السنة الشريفة .. ينطوى - بالفعل - على إشارات زمنية صحيحة . ؟! .. وبحيث يمكننا الثقة فيها كتواريخ ومواعيد لأحداث مستقبلية ...!

وهل تضمّن القرآن - مثلاً - إشارات إلى توقيتات ماضية معروفة للجميع .. ويمكن استخراجها بنفس أسلوبك المنهجيّ المتّبع .. وحتى نطمئن فعلاً .. إلى أن تلك الإحصاءات قد تشير فعلاً إلى أزمنة قادمة .. ؟!

.. وكأنما يطلبون الدليل الرقمي لأحداث ماضية معروفة .. وحتى تطمئن قلوبهم - من حيث المبدأ - أن القرآن .. إنما يتضمن فعلاً إشارات إلى تواريخ وأزمنة آتية ...

... ورضى الله تعالى عن سيدنا على بن أبى طالب .. والذى ما سأله أحد فى يوم قط عن أى شىء ... إلا وقال له ... دعنى أبحث عنه فى كتاب الله ...!!

.. نعم .. يوجد مما تسألون عنه الكثير ... وقد ورد بعض ذلك فى إصدارنا الثانى .. « **سنة دخول القدس** » ...

.. ولكن .. هاكم بعض تواريخ الماضى .. والتى يمكن استخراجها - بفضل الله - من القرآن العظيم ... وبنفس أسلوب تعاملنا معه لاستخراج واستجلاء مكنونات الآتى ...!

... كلنا يعرف مثلاً ... أن المسيح ﷺ قد رفعه الله إليه .. وقد بلغ من العمر ٣٣ عاماً[1] ... وكما تواترت بذلك الأخبار من مختلف مصادرها ...

.. ولو أردت معرفة كيف أشار القرآن العظيم - مثلاً - لذلك فى ثنايا آياته ... فاقرأ سورة آل عمران ... وفى آيتها رقم (٥٥) ... إقرأ قول الله

---

(١) اشتركت فى هذا مختلف المصادر الكنسية والتاريخية ، والنقلية الإسلامية ، ويمكن أيضاً مراجعة إصدارنا الأول « **سنة نزول المسيح** » ، فى هذا الخصوص ...

تعالى ... « إذ قال الله يا عيسى إنى متوفيك ورافعك إلىّ ومُطهِّرُك من الذين كفروا .... »

.. وأبدأ مع الآية حرفاً حرفاً ... وقِفْ عند إخبار الرفع ومكانه ... ثم قم بِعَدّ هذه الحروف ... !

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
أ	ذ	ق	ا	ل	ا	ل
(٨)	(٩)	(١٠)	(١١)	(١٢)	(١٣)	(١٤)
ل	هـ	ى	ا	ع	ى	س
(١٥)	(١٦)	(١٧)	(١٨)	(١٩)	(٢٠)	(٢١)
ى	إ	ن	ى	م	ت	و
(٢٢)	(٢٣)	(٢٤)	(٢٥)	(٢٦)	(٢٧)	(٢٨)
ف	ى	ك	و	ر	ا	ف
(٢٩)	(٣٠)	(٣١)	(٣٢)	(٣٣)	=	٣٣ حرفاً
ع	ك	إ	ل	ى		

وهو ما يقابل تماماً عمر المسيح ﷺ حين رفعه أى ٣٣ عاما ...!!

.. مثال آخر ...

.. كلنا يعلم - بالإخبار القرآنى عن الله تعالى - أن أهل الكهف قد لبثوا فى كهفهم ٣٠٩ سنة ... ولئن أردت استجلاء كيف تضمنت آيات القرآن العظيم هذا أيضاً ... فاقرأ قصة أهل الكهف من أول ذكرها بسورتها ... وحتى ...

« ولبثوا فى كهفهم » ... تجد أن كلمة « كهفهم » هى الكلمة رقم ٣٠٨ من أول قصة الكهف ... وأن ما بعدها هو رقم ٣٠٩ وهو بذكر الآية ذاتها ... ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً ....!! أى أن العدد ٣٠٩ إنما يكتمل بذكر الآية لرقم لبثهم فى الكهف وهو ٣٠٩ سنة ...!

... وكذلك فقد حفلت السنة النبوية بعطر تراث سيدنا محمد ﷺ .. والذى استودع فيه ما استودع ...

.. وعلى سبيل المثال ... وكما هو معروف .. فإن النبى ﷺ قد بُعثَ فى سن الأربعين ... وأن فترة بعثته دامت ثلاثاً وعشرين سنة .. وقد توفى فى سن ثلاث وستين ... ولقد استودع بعض أحاديثه ... تاريخ وفاته وطول فترة بعثته ... !

فمثلاً ... وحينما تحدث عن « الرؤى » الصادقة .. ذكر أنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ... فى حديثه المشهور ... وذلك إنما يشمل تحديداً دقيقاً لتاريخ وفاته ولنهاية بعثته ...!

كيف ... ؟!

.. كانت أولى فترات تلقى النبى ﷺ للوحى ... من خلال الرؤى المنامية ولمدة ستة أشهر ... وقد أقر هو ذلك فى أكثر من حديث ...

والسنة إنما تتكون من ١٢ شهراً ... وبالتالى وباعتبار الستة أشهر بمثابة وحدة أو جزء ... تتكون إذن السنة من جزئين اثنين ...

وبما أن السنة تتكون من جزئين ... قيمة كل جزء سته أشهر ... كم سنة إذن تشملها الستة والأربعون جزءاً الواردة بسياق حديث النبى ﷺ .. ؟!

٤٦ ÷ ٢ = ٢٣ إذن فهى تشير إلى ٢٣ سنة ... !

وهى فترة بعثته كاملة ... ويجمعها إلى عمره حين بعثته ...!

٤٠ + ٢٣ = ٦٣   هو عمره حين وفاته ﷺ ... !

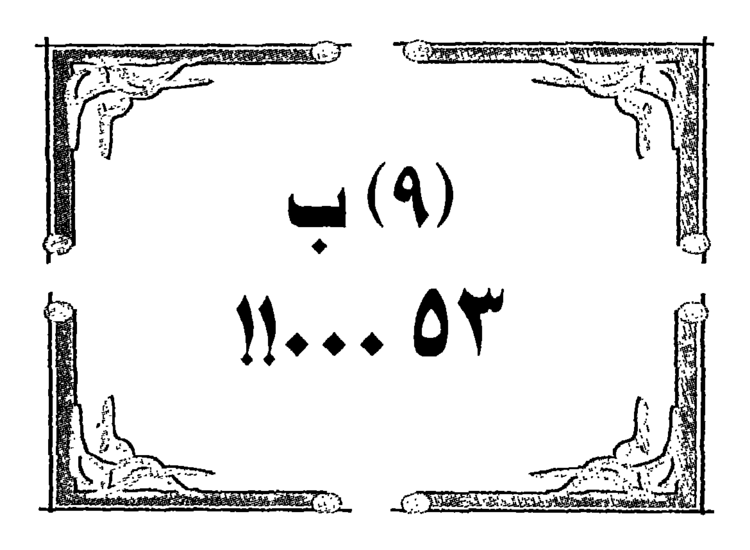
وللاستدلال على مثل ذلك أيضاً من قديم الأحداث ... من ثنايا تحليل الوحى القديم ... يمكن مراجعة « سقوط نتن يا هو » وحكومته ... ولأن هذا الحدث قد صار الآن موضوعاً قديماً .. قد تحقق بالفعل ... !

.. كان ذلك بمناسبة ... طلب البعض تقديم شكل من أشكال الإثبات ... لتضمُّن مصادر القرآن العظيم والسنة الكريمة والوحى القديم ... لأخبار متحققة معروفة مشهورة ... يمكن تجليتها بنفس المنهج الحسابى أو المنطق الإحصائى الذى نتبعه .. وحتى تطمئن قلوبهم ...

.. وعساها قد أطمأنّت ...

.. وأكتفى بهذا القدر الإثباتى السريع ... وحتى لا تحتل أحداث الماضى غير المطلوب إثباتها مساحات مخصصة لما هو أهم وأنفع ..

....



ب (٩)

٥٣ ..!!

....

... أو تذكر نقاشنا حول « أول الحشر » ... بكتاب « سنة دخول القدس » ..؟!

... « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ، ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب ... »[1] .

... فقد حملت الآيات - كما سبق تحليل ذلك[2] - الإشارة إلى الواقع الغريب المعاصر والذى شهده وشارك فيه العالم ... وهو إخراج الشتات اليهودى من جميع بقاع الأرض ، وتجميعهم فى بقعة واحدة أو حشرهم فى مكان واحد بأرض المقدسات سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م ... وبالتالى فتلك السنة - كما قلنا - إنما هى سنة الأساس الحسابى المرجعىّ لأية تحليلات مبنية على هذا التواجد وأىٍّ مما يرتبط به ...

.. وكما وصف الله تعالى بداية هذا التجمع بأول الحشر .. تكون إذن سنة ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م - سنة الأساس المرجعى الحسابى - هى ذاتها تاريخ أول الحشر ...

إذن فصدر الآية العظيمة ... « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر .. » إنما يقف بنا أمام إشارة زمنية ... هى سنة إنشاء دولة إسرائيل المعاصرة والأخيرة إن شاء الله ... ويكون ما بعدها هو ما بعد هذا التاريخ ...

---

(١) أوئل سورة الحشر ...

(٢) راجع ذلك تفصيلاً بإصدارنا الثانى : سنة دخول القدس

و

سقوط دولة قاتلى النبيين والمرسلين

ومهينى العذراء مريم وسيد المرسلين والآخرين

بشراكِ يا إسرائيل ..!

٩-ب (٥٣) ؟!!!

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
م	ا	ظ	ن	ن	ت	م
(٨)	(٩)	(١٠)	(١١)	(١٢)	(١٣)	(١٤)
ا	ن	ى	خ	ر	ج	و
(١٥)	(١٦)	(١٧)	(١٨)	(١٩)	(٢٠)	(٢١)
ا	و	ظ	ن	و	ا	ا
(٢٢)	(٢٣)	(٢٤)	(٢٥)	(٢٦)	(٢٧)	(٢٨)
ن	هـ	م	م	ا	ن	ع
(٢٩)	(٣٠)	(٣١)	(٣٢)	(٣٣)	(٣٤)	(٣٥)
ت	هـ	م	ح	ص	و	ن
(٣٦)	(٣٧)	(٣٨)	(٣٩)	(٤٠)	(٤١)	(٤٢)
هـ	م	م	ن	ا	ل	ل
(٤٣)	(٤٤)	(٤٥)	(٤٦)	(٤٧)	(٤٨)	(٤٩)
هـ	ف	ا	ت	ا	هـ	م
(٥٠)	(٥١)	(٥٢)	(٥٣)			
ا	ل	ل	هـ			

* ١٣٦٧ هـ + ٥٣ = ١٤٢٠ هـ / (١٩٩٩ – ٢٠٠٠) م .
لاحظ جيداً – ولا تعليق لى – فأتاهم الله ... !

* الْمُرْسَلاَت .. !

والمرسلات (١) عُرفا (٢) فالعاصفات (٣) عصفا (٤)

والناشرات (٥) نشرا (٦) فالفارقات (٧) فرقا (٨)

فالملقيات (٩) ذكرا (١٠) عذرا (١١) أو (١٢)

نذرا (١٣) إنما (١٤) توعدون (١٥) لواقع (١٦)

فإذا (١٧) النجوم (١٨) طمست (١٩) وإذا (٢٠)

السماء (٢١) فرجت (٢٢) وإذا (٢٣) الجبال (٢٤)

نسفت (٢٥) وإذا (٢٦) الرسل (٢٧) أقتت (٢٨)

لأى (٢٩) يوم (٣٠) أجلت (٣١) ليوم (٣٢)

الفصل (٣٣) وما (٣٤) أدراك (٣٥) ما (٣٦)

يوم (٣٧) الفصل (٣٨) ويل (٣٩) يومئذ (٤٠)

للمكذبين (٤١) ألم (٤٢) نهلك (٤٣) الأولين (٤٤)

ثم (٤٥) نتبعهم (٤٦) الآخرين (٤٧) كذلك (٤٨)

نفعل (٤٩) بالمجرمين (٥٠) ويل (٥١) يومئذ (٥٢)

للمكذبين | ٥٣ |

* ١٣٦٧ هـ + ٥٣ = ١٤٢٠ هـ / (١٩٩٩ - ٢٠٠٠)

* أتاها أمْرُنا . . !

.. « حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازيّنتْ وظنّ أهلُها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (يونس : ٢٤)

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
ح	ت	ى	ا	ذ	ا	ا
(٨)	**(٩)**	**(١٠)**	**(١١)**	**(١٢)**	**(١٣)**	**(١٤)**
خ	ذ	ت	ا	ل	ا	ر
(١٥)	**(١٦)**	**(١٧)**	**(١٨)**	**(١٩)**	**(٢٠)**	**(٢١)**
ض	ز	خ	ر	ف	هـ	ا
(٢٢)	**(٢٣)**	**(٢٤)**	**(٢٥)**	**(٢٦)**	**(٢٧)**	**(٢٨)**
و	ا	ز	ى	ن	ت	و
(٢٩)	**(٣٠)**	**(٣١)**	**(٣٢)**	**(٣٣)**	**(٣٤)**	**(٣٥)**
ظ	ن	ا	هـ	ل	هـ	ا
(٣٦)	**(٣٧)**	**(٣٨)**	**(٣٩)**	**(٤٠)**	**(٤١)**	**(٤٢)**
ا	ن	هـ	م	ق	ا	د
(٤٣)	**(٤٤)**	**(٤٥)**	**(٤٦)**	**(٤٧)**	**(٤٨)**	**(٤٩)**
ر	و	ن	ع	ل	ى	هـ
(٥٠)	**(٥١)**	**(٥٢)**	**(٥٣)**			
ا	ا	ت	ا	هـ	أ	

وباكتمال فعل « أتى » ...يكتمل العدّ ...!

....

*والنجم إذا هوى ..!

.. سورة النجم هى السورة رقم ٥٣ بالمصحف الشريف ... وترتيب سور القرآن العظيم ليس ترتيباً بشرياً على الإطلاق ...[١] !!!!!!

....

....

....

* « أتى أمر الله ... » .... (النحل : من ١)
* « إقتربت الساعة ... » .... (القمر : من ١)
* « إقترب للناس حسابهم .. » .... (الأنبياء : من ١)

.. ناقشنا من قبل منطق حساب الجمل الصغيرة طبقاً لعلم الحرف ، والآن سنُطبِّق أيضاً منطق الجمل الصغيرة والكبيرة معاً ، واستخراج متوسط التطبيق فى كل حالة ، لتلك الآيات المباركات السابقة ... مع ملاحظة أن أسلوب الحساب بالجمل الكبيرة ... إنما يعتمد على حساب صوتيات نطق الحرف كاملة وبكامل مُقابلات حروف نطقها ...

.. مثلاً حرف « الألف » ... فى حساب الجمل الصغيرة = (١) ...

.. وبحساب الجمل الكبيرة تُحسب حروف صوتيات نطقه ...... فهو ينطق ألف .. أى ا ل ف أى ثلاثة أحرف وبالتعويض ، مقابل كل حرف (أ) = (١) (ل) = (٣٠) ، (ف) = ٨٠ ،

---

(١) تم نقاش ذلك بإصدار « سنة دخول القدس » .

إذن حرف الألف بحساب الجمل الكبيرة ... إنما يساوى
١ + ٣٠ + ٨٠ + = (١١١) وهكذا ...

(١) أ (١١١)	(٤٠٠) ت (٤٠١)	(١٠) ى (١١)	(١) أ (١١١)	(٤٠) م (٩٠)	(٢٠٠) ر (٢٠١)
(١) ا (١١١)	(٣٠) ل (٧١)	(٣٠) ل (٧١)	(٥) هـ (٦)	= ٧١٨ = ١١٨٤	∴ المتوسط = ٩٥١*

* (٧١٨ + ١١٨٤) ÷ ٢ = ٩٥١)

(١) أ (١١١)	(١٠٠) ق (١٨١)	(٤٠٠) ت (٤٠١)	(٢٠٠) ر (٢٠١)	(٢) ب (٣)
(٤٠٠) ت (٤٠١)	(١) ا (١١١)	(٣٠) ل (٧١)	(٦٠) س (١٢٠)	(١) ا (١١١)
(٧٠) ع (١٣٠)	(٤٠٠) ت (٤٠١)	← ←	١٦٦٥ ٢٢٤٢	∴ المتوسط = ١٩٥٤*

* (١٦٦٥ + ٢٢٤٢) ÷ ٢ = ١٩٥٤ (لابد من جبر أى كسر) .

(١) أ (١١١)	(١٠٠) ق (١٨١)	(٤٠٠) ت (٤٠١)	(٢٠٠) ر (٢٠١)	(٢) ب (٣)	(٣٠) ل (٧١)
(٣٠) ل (٧١)	(٥٠) ن (١٠٦)	(١) ا (١١١)	(٦٠) س (١٢٠)	(٨) ح (٩)	(٦٠) س (١٢٠)
(١) ا (١١١)	(٢) ب (٣)	(٥) هـ (٦)	(٤٠) م (٩٠)	٩٩٠ ١٧١٥	∴ المتوسط = ١٣٥٣*

* (٩٩٠ + ١٧١٥) ÷ ٢ = ١٣٥٣ .

ويأخذ متوسط المتوسطات الثلاث ...

∴ (٩٥١ + ١٩٥٤ + ١٣٥٣) / ٣ = **١٤٢٠** !!

....

....

البطشة الكبرى .. !

... إنه وبمتابعة سياق السرد القرآنى بسورة حم/ الدخان نجد أن المثل الرئيسى فى كامل السياق هم بنو إسرائيل ... ولا يمنع ذلك ـ إطلاقاً – منطق العموم فى الإخبار وفى الأثر ... أيضاً ...

(٥٣) !!!؟

حم (١) والكتاب (٢) المبين (٣) إنا (٤)

أنزلناه (٥) فى (٦) ليلة (٧) مباركة (٨)

إنا (٩) كنا (١٠) منذرين (١١) فيها (١٢)

يفرق (١٣) كل (١٤) أمر (١٥) حكيم (١٦)

أمراً (١٧) من (١٨) عندنا (١٩) إنا (٢٠)

كنا (٢١) مرسلين (٢٢) رحمة (٢٣) من (٢٤)

ربك (٢٥) إنه (٢٦) هو (٢٧) السميع (٢٨)

العليم (٢٩) رب (٣٠) السماوات (٣١) والأرض (٣٢)

وما (٣٣) بينهما (٣٤) إن (٣٥) كنتم (٣٦)

موقنين (٣٧) لا (٣٨) إله (٣٩) إلا (٤٠)

هو (٤١) يحيى (٤٢) ويميت (٤٣) ربكم (٤٤)

ورب (٤٥) آبائكم (٤٦) الأولين (٤٧) بل (٤٨)

هم (٤٩) فى (٥٠) شك (٥١) يلعبون (٥٢)

فارتقب (٥٣)	١٤٢٠ !!!!!

يوم تأتى السماء بدخان مبين ، يغشى الناس هذا عذاب أليم ، ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون ، أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ، ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون ، إنا كاشفو العذاب قليلاً ..

إنكم	عائدون	يوم	نبطش	البطشة
٢١/٢٢	٢٢/٢٣	٢٣/٢٤	٢٤/٢٥	٢٥/٢٦

الكبرى	إنا	منتقمون
٢٦/٢٧	٢٧/٢٨	٢٨/٢٩

.. ولو جمعتَ عدد حروف آية البطشة الكبرى كاملة .لوجدتها ٢٩ حرفاً

(١)	(٢)	(٣)	(٤)	(٥)	(٦)	(٧)
ى	و	م	ن	ب	ط	ش
(٨)	(٩)	(١٠)	(١١)	(١٢)	(١٣)	(١٤)
ا	ل	ب	ط	ش	ت	ا
(١٥)	(١٦)	(١٧)	(١٨)	(١٩)	(٢٠)	(٢١)
ل	ك	ب	ر	ى	ا	ن
(٢٢)	(٢٣)	(٢٤)	(٢٥)	(٢٦)	(٢٧)	(٢٨)
ا	م	ن	ت	ق	م	و
(٢٩)						
ن						

وهذا هو أقصى القول الممكن ....!

والله أعلَى وأعلَم .. وأعَزُّ وأحْكَم ...

وإِنَّا للهِ وإِنَّا إليه راجِعُون ...

....



طلقة
ما قبل النهاية ...!

....

.. إن كان الشيعة ينتظرون ... فنحن وهُم ننتظر نفس المنتظَر ...

فأذيبوا ما بنى الوهم بيننا وبينهم ... فلا فرق بين المسلمين ...

فالأول منّا والتالى منهم ... والأخير هو المنتظر .. يا مسلمين ...

.. أما أنتِ يا ابنة صهيون ..

.. فحيث وُلدتِ كدولة تُحاكَمين ... وحيث وُلدتِ كأمّة تُعَاقَبين ... وتُرْدَعين ... وتنكمشين ... ..

فيد الله فى يد ذى الكُنية ٧٦ والذى مجموعِ ميلاده ... بحساب القمر ... هو كل عمرك على المسلوبة ... ولوزن اسمه « دوِى هائل » ...!!! ،

.. البابلىّ ... الصخرىّ ... الآشورى ... اللّذين* سيجعلانكِ ... كطين الأزقة من المدوسين ...

ولا تفرحى حين ينسحب الأول ... فصخرة أركانة – قائد السبعة – هو ملح رأس ابن على قبل الأخير ... وحتى مصافحة الأخير ...

.. ولقد أودع البابلىُّ الصخرةَ وصيته ... ولن يحيد ... ولن يحيد ابن على ... فهو عصر المحامين .. حملة كلمة الله ...

.. هو عصر استقامة هامة عمود ركن مسجد المدينة ... !

.. أما المخسوف به فى البيداء ... فغير كل هؤلاء ...!

---

* ليست هناك ثمة أخطاء لغوية أو مطبعية ...!

.. وفى الجراحة الناجحة ... ستُستأصلين ... وتُفتتين يا حصاةً بِكُلى المُبَاركين ...

... ولئن أردتِ عن نفسك معرفةً أكثر ... وعن أذيالك المتواطئين ... من كل لسان ودين ... فراجعى « سنة دخول القدس » ...!

وانتظرى - ولينتظروا - من الأحداث المعاصرة الموصوفة[1] عشرة ، تحقق أولها - بسقوط مَنْ سقط - وباقى تسعة ...!

....

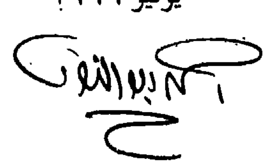
وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وآله ، وموسى ، والمسيح ...!

....

... والعصر ، إن الإنسان لفى خُسْر ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر .

....

يونيو ١٩٩٩



(١) بـ « سنة دخول القدس » ...!

صَدَرَ للكاتب

سلسلة

رسائل آخر الزمان (١)

سنة نزول المسيح

و

سنتا ظهور المهدي والمسيح الدجّال

الزمن الباقي من عمر أمة الإسلام



سلسلة

رسائل آخر الزمان (٢)

سنة دخول القدس

و

سقوط دولة قاتلي النبيين والمرسلين

ومُهيني العذراء مريم ونبي الأولين والآخرين

أحمد أبو النور

سلسلة

رسائل آخر الزمان (٣٠)

العائدون إلى الله

قراءة في سر الأسرار

لإجابة ما هو صعب الإجابة ..!

أحمد أبو النور

سلسلة

رسائل آخر الزمان (٤)

أشهد للمسيح والمسيح يشهد معي..!

+؟!!!

أحمد أبو النور

فهرس بالموضوعات

الموضوع **رقم الصفحة**

الموضوع	رقم الصفحة
* أول حرب الشيطان أن تقتنع أنه ليس هناك شيطان	٢٣
- سقطتَ من السماء يا كوكب الصبح	
- إننا نتوب عن سجودنا لك لأنك غير عادل !	
- الشيطان عادل وبرئ ..!!	
- العدائية وخطتها الشيطانية	
* الشيطان كان يعلم من علوم الكتاب قبل خلقك ..!	٢٧
- إبليس أهل علم وعبادة ...!	
- إبليس يُعلِّم الملائكة ...!	
- قاطع طريق	
- سلاح إبليس الرئيسى	
- الشيطان يساعدك إن لزم الإمر ..!!	
* شيطان مريد ، وإنسان مريد ، وتحليل نفسي للشيطان ..	٤١
- هل تغيرت نفس إبليس ...؟!	
- إن كان ابليس يغوى الناس فمن ذا الذى قد أغواه ؟!	
- عبد المكانة والمقام الرفيع	
- قضية السجود	
- الكتب والعلوم لدى ساكنى الأرض قبل آدم	
* لماذا كان إبليس منذ البداية ..؟!	٤٩
- كيف .. سمح الله لإبليس بالتواجد منذ البداية بالرغم من علمه بما سيكون منه ؟!	
- فرصة المخلوقات فى الظهور والأداء	

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة
* أما بعد ... فما زال للكلام بقية ولا مفر من استكماله ... !	١٩٧
* برقيات حقائقية ونبوءاتية ، بمناسبة قص شريط الزمن الأخير .. !	١٩٩
*١- حتمية البداية من أجل النهاية ... !	٢٠٣
*٢- بل الساعة موعدهم ... بل الساعة أدهى وأمّر ... !	
*٣- لا شئ يزول من هذا الكون ... ذى الذاكـرة القــوية ... !	
*٤- جهالة إبليس اللعين بنِسبِيَّة أينشتين ... أفسدت الأمور ... ! .	
*٥- مُقدِّمات ما قبل انسحاب الكونيَّة فى لحظة موتها الـمَهِيبة .. ! (ونهاية عمر أمة الإسلام)	
*٦- القُدس الرابع مصرى ...	
*٧- رؤوس أموال اليهود بالكامل مصرية .... (مطلوب استعادتها قبل نهاية اسرائيل ... !)	
*٨- موجز رحلة الأرقام .. وفـك شفرة الكتب المقدسة . !	
*٩- البطشة الكبرى وبداية أحداث اليوم الأخير ... !	
(٩ / أ) إثبات وتأكيد لتطمئن القلوب .. !	
(٩ / ب) حقيقة سر الـ «٥٣» ... !!	

رقم الإيداع بدار الكتب

٩٩/١١٦٦٤

الترقيم الدولى I.S.B.N

977-19-9597-9

دار وهدان للطباعة

٥٩٢٣٣٤٤ - ٥٩٠٥٠٣٦